القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
www.alquds.co.uk
الأسبوعي
Weekly
السنة الخامسة والثلاثون العدد 11322 الأحد 21 نيسان (ابريل) 2024 – 12 شوال 1445 هـ
Volume 35 - Issue 11322 Sunday 21 April 2024

حوار: أيمن عودة رئيس الجبهة/ العربية للتغيير

طنطا المصرية: عاصمة المتصوفة وبلد «المشبك»

كورتوا وغافي: نجوم لامعة خارج «يورو 2024»

استهداف أصفهان: خلية للموساد داخل إيران؟ 03
الاختفاء القسري: سوريا بين الأسوأ عالمياً 18
فواز طرابلسي: سحر التسمية ووهم الخرائط 28

غزّة: إبادة متواصلة وإقليم يلتهب

تواصلت حرب الإبادة الإسرائيلية ضد قطاع غزة رغم تطورات إقليمية نوعية أبرزها الضربات المتبادلة بين إيران ودولة الاحتلال، واتضاح المزيد من مظاهر التباين في مواقف الساسة الإسرائيليين تجاه ملفات عسكرية وسياسية، وتلميح الدوحة إلى مراجعة ما اعتمدته حتى الآن من مقاربات الوساطة بين المقاومة الفلسطينية والاحتلال، إضافة إلى استخدام واشنطن حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن الدولي لتعطيل مشروع قرار يمنح فلسطين العضوية الكاملة في المنظمة الأممية. وعلى نقيض ما يرى البعض أنه مسرح تُحسب خطواته بعناية، ثمة علاقة اشتعال مباشرة بين إبادة إسرائيلية متواصلة وأوضاع إقليمية ملتهبة.
(حدث الأسبوع، 8-15)

Price List
■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

إسرائيل ترد بعملية أمنية محدودة على ضربة عسكرية إيرانية واسعة: ولادة معادلة عدم تناسب الردع

براميل البارود في الشرق الأوسط قابلة للانفجار الكبير، والولايات المتحدة وحلفاؤها النوويون لا يريدون لهذا الانفجار أن يحصل وبالمقابل فإن محور إيران وحلفاءها لا يريدون حصول المعركة الكبرى.

لندن – «القدس العربي»: محمد نون

لم تعلن إسرائيل مسؤوليتها عن العملية الأمنية المتمثلة في مهاجمة قاعدة عسكرية إيرانية في شرقي محافظة أصفهان فجر الجمعة 19 نيسان/ابريل الجاري ردا على الهجوم الإيراني غير المسبوق بالصواريخ والطائرات المسيرة فجر السبت – الأحد 14 نيسان/ابريل. كما أن إيران لم تتهمها رسميا بالمسؤولية عما قالت إنه هجوم بثلاث طائرات مسيرة صغيرة الحجم، تم إسقاطها بمضادات أرضية متوسطة قرب القاعدة من دون وقوع إصابات أو أضرار في الجانب الإيراني، وأن التحقيق المهني والتقني انطلق لمعرفة كافة ملابسات ما حصل.

لكن المؤشر الأبرز على وقوف تل أبيب وراء هذه العملية الأمنية المحدودة كان تعليق وزير الأمن الإسرائيلي ايتمار بن غفير عليها ووصفه الرد الإسرائيلي بأنه مسخرة، وهو موقف أثار ضده انتقادات من داخل دوائر صنع القرار الإسرائيلي، لأنه قد يورط تل أبيب في المسؤولية عن ذلك.

والمؤشر الثاني كان إعلان مسؤولين أمريكيين وإسرائيليين عبر وسائل إعلام أمريكية وليس إسرائيلية عن قيام تل أبيب بذلك الرد، لكن دون الإفصاح عن أسمائهم.

الغموض مقابل الوضوح

جاء الرد الإسرائيلي غامضا من غير تبنيه رسميا، وكان أشبه بعمليات أمنية سابقة مثل اغتيال علماء نوويين أو مهاجمة مراكز عسكرية مثل قاعدة أصفهان ذاتها، وتمت الإشارة حينها إلى أصابع جهاز الاستخبارات الإسرائيلي، الموساد والمتعاونين معه من المجموعات المسلحة التي تنفذ عمليات داخل الأراضي الإيرانية بعد تسللها عبر الحدود المجاورة، سواء عبر ما يعرف بمنطقة مثلث الموت المحاذي للحدود مع أفغانستان وباكستان، أو المناطق المتوترة المحاذية للحدود مع شمال العراق، أو الحدود مع دولة أذربيجان التي تربطها علاقات هامة مع إسرائيل. كما جاء الرد الإسرائيلي دون المعتاد، ولم يصل إلى المستوى المعروف عن ردود إسرائيل على أعدائها، والمثال الأوضح هو أن الجيش الإسرائيلي ما زال يواصل الحرب المدمرة على قطاع غزة منذ سبعة أشهر، ويصفها بأنها رد على عملية هجوم حماس يوم السابع من أكتوبر 2023.

بالمقابل كان الرد الإيراني على قصف الطائرات الإسرائيلية للقنصلية الإيرانية في دمشق، واضحا ومعلنا وواسعا ومركبا بمزيج من الطائرات المسيرة والصواريخ بما فيها المجنحة والباليستية، وبمجموع اطلالات تجاوز عددها عتبة 330 جسما طائرا متفجرا وانقضاضيا، أصاب بعضها قواعد عسكرية إسرائيلية وخاصة قاعدة نيفاتيم الجوية في صحراء النقب، وهي التي يوجد فيها مفاعل ديمونة النووي.

وما بين غموض العمل الأمني الإسرائيلي، ووضوح الهجوم الجوي الإيراني، ولدت معادلة جديدة يمكن وصفها بأنها معادلة الردع غير المناسب.

الترسانة العسكرية الإسرائيلية والضوابط الأمريكية

يعرف الجميع أن إسرائيل تملك ترسانة أسلحة عسكرية ضخمة ومتنوعة في قواتها الجوية والبحرية والبحرية بما فيها الغواصات والقنابل النووية والمقاتلات الحديثة من طراز إف 35 أمريكية الصنع، ويضاف إليها دعم الأساطيل الأمريكية في الشرق الأوسط والجسر الجوي الأمريكي للذخائر المدمرة والفتاكة وهو الجسر الذي لم يتوقف منذ بدء الحرب على قطاع غزة، وذلك في التزام أمريكي معلن للدفاع عن إسرائيل، وهو التزام استراتيجي لم يتغير رغم الخلافات المرحلية والتكتيكية التي تطبع علاقة الرئيس الأمريكي جو بايدن برئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو.

لكن السؤال الذي يراود أذهان كثيرين داخل إسرائيل وخارجها، هو كيف لم تستطع ترسانة الأسلحة الإسرائيلية تلك، ردع إيران عن تنفيذ تهديدها بالرد على إسرائيل إثر تدمير القنصلية وقتل جنرالات إيرانيين في دمشق؟

وهنا يتفرع سؤال آخر، وهو من الذي منع إسرائيل من استخدام أفضل ما في ترسانتها للرد على الهجوم الجوي الإيراني بالصواريخ والطائرات المسيرة؟

الجواب المتداول على ألسنة السياسيين في عواصم القرار هو إن الإدارة الأمريكية وضعت ضوابط للرد الإسرائيلي، بحيث لا يؤدي إلى تدحرج الأمور نحو حرب إقليمية كبرى، وذلك بعدما أكدت طهران لواشنطن عبر القنوات الدبلوماسية الوسيطة بأنها سترد بقوة هائلة بعشرة أضعاف وخلال ثوان معدودة، على إسرائيل وكل من يدافع عنها بما فيها القواعد العسكرية الأمريكية في المنطقة.

مناورة حرب تجريبية

ويعزز ذلك الاعتقاد أن ما شهدته المنطقة خلال الرد الإيراني كان بمثابة مناورة تجريبية لحرب كبرى محتملة بين محورين:

المحور الأول، هو إيران وحلفاؤها الذين ما زالت أصابعهم على الزناد وهم المقاومة في غزة وحزب الله في لبنان وجماعة أنصار الله الحوثيين في اليمن والفصائل في العراق بالإضافة إلى سوريا.

والمحور الثاني هو إسرائيل وحلفاؤها الذين شاركوها في التصدي للهجوم الصاروخي الإيراني، وهم الدول النووية الثلاث أي الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا، ومن كان معهم أو قد ينضم إليهم لاحقا.

والخلاصة أن تلك الهجمة الإيرانية الجوية على إسرائيل أفرزت واقعا جديدا هو أن براميل البارود في الشرق الأوسط قابلة للاشتعال والانفجار الكبير، وأن الولايات المتحدة وحلفاءها النوويين لا يريدون لهذا الانفجار أن يحصل وهم غير جاهزين له نظرا للضرر الكبير الذي سيصيب مصالحهم انطلاقا من مضيق هرمز مرورا بمضيق باب المندب في البحر الأحمر، وصولا إلى شرق البحر الأبيض المتوسط، وبالمقابل فإن محور إيران وحلفاءها ورغم قولهم بأنهم لا يريدون حصول المعركة الكبرى، لكنهم في الوقت ذاته يعلنون بشكل واضح أنهم جاهزون لها، وهذا ما يعني ولادة معادلة ردع جديدة يتعطل فيها تدريجيا مفعول الترسانة العسكرية الإسرائيلية، وهذا واقع له ما بعده.

هل نفّذت خلية إيرانية تعمل لصالح الموساد الهجوم بطائرات مسيرة على أصفهان؟

عدم رصد الرادارات الإيرانية للطائرات من جهة، واستعمال مضادات أرضية وليس أنظمة الدفاع الجوي لتدمير المسيرات الصغيرة يؤكد فرضية إطلاقها من الأراضي الإيرانية.

لندن – «القدس العربي»: حسين مجدوبي

تعرضت منشآت عسكرية في مدينة أصفهان لعمليات قصف عسكري تثير الكثير من الغموض، هل هي بصواريخ بعيدة المدى أو طائرات مسيرة انتحارية؟ ويبقى الراجح هو استعمال هذه الأخيرة من طرف جواسيس إيرانيين يعملون لصالح إسرائيل، ولا يعتبر الأمر سابقة بل من الأحداث المألوفة التي وقعت خلال السنوات الأخيرة.

وكانت إسرائيل قد قصفت القنصلية الإيرانية في دمشق يوم ا نيسان/أبريل الجاري واغتالت بعض القادة العسكريين الإيرانيين، وردت إيران بهجوم ليلة 14/13 نيسان/أبريل الجاري بـ380 طائرة مسيرة وصواريخ باليستية ومجنحة استهدفت منشآت عسكرية. وتعهدت إسرائيل بالرد، ويبدو أنها نفذت التهديد فجر الجمعة من الأسبوع الجاري ولكن دون الإعلان عنه رسميا حتى الآن تجنبا لتفاقم الوضع وتفاديا لرد إيراني مباشر. وإذا كانت إيران قد أعلنت تبنيها هجوم 14/13 نيسان/أبريل، تلتزم إسرائيل الصمت في الهجوم على أصفهان وتنوب عنها مصادر أمريكية في تقديم توضيحات مفادها حسبما نقلت جريدة «نيويورك تايمز» الجمعة بأن إسرائيل ردت بشكل طفيف تجنبا للتصعيد ولكن يحمل رسالة واضحة للإيرانيين مفادها «قادرون للوصول الى برنامجكم النووي».

مسيرات من داخل إيران

ويبقى المعطى الرئيسي والواقعي من زاوية عسكرية حتى الآن هو عدم تنفيذ الهجوم ضد منشآت أصفهان العسكرية بصواريخ بعيدة المدى لسببين، الأول وهو أن الصواريخ ستحدث دمارا إذا لم يتم اعتراضها من أنظمة طيران مضادة، وثانيا أن الأقمار الاصطناعية لعدد من الدول مثل الصين وروسيا وتركيا سترصد هذه الصواريخ وستعلن عنها خاصة روسيا.

وعليه، كل قراءة عسكرية لاسيما استحضار أحداث الماضي ستقود إلى أن إسرائيل استعملت طائرات مسيرة لم تنطلق من القواعد العسكرية الإسرائيلية بل من داخل إيران. وارتباطا بهذا، أوردت قناة «العالم» الإيرانية الجمعة من الأسبوع الجاري نقلا عن مصادر رسمية في طهران أن التصدي للمسيرات لم يتم بأنظمة دفاع صاروخية بل بمضادات أرضية على ارتفاع منخفض جدا ما أحدث أصوات انفجارات كما أكدتْ عدمَ حصولِ أي هجوم صاروخي من خارج البلاد.

هذه الفرضية توحي بأن الهجوم قد يكون جرى تنفيذه من طرف خلايا إيرانية نائمة تعمل لصالح إسرائيل أو كوماندو إسرائيلي تسرب للبلاد وإن هذا المعطى الأخير صعب في الوقت الراهن. ويبقى الأساسي أن عدم رصد الرادارات الإيرانية للطائرات من جهة، واستعمال مضادات أرضية وليس أنظمة الدفاع الجوي لتدمير المسيرات الصغيرة يؤكد فرضية إطلاقها من الأراضي الإيرانية من طرف خلايا نائمة وبالضبط من مناطق لا تبعد كثيرا عن أصفهان. ويمكن تفسير هذا بما يلي:

أولا، تعرضت منشآت عسكرية في أصفهان ليلة 28 كانون الثاني/يناير 2023 لقصف عسكري بمسيرات انتحارية خلفت بعض الأضرار مثل الحرائق، واستهدفت مصانع تصنيع الطائرات المسيرة الشاهد. ووقتها، لم تسجل وزارة الدفاع الإيراني اختراق الأجواء الإيرانية. وهذا يعني السيناريو نفسه مع هجوم الجمعة 19 نيسان/أبريل 2024.

ثانيا، نفذ جواسيس إيرانيون يعملون لصالح إسرائيل عددا من عمليات اغتيال علماء كبار يعملون في المشروع النووي، وكان الاعتقاد هو نجاح الموساد في التسلل إلى إيران عبر كوماندوهات، لكن الواقع يكشف تجنيد عملاء إيرانيين. ومن ضمن الأمثلة الشهيرة، تبين أن طريقة اغتيال العالم النووي فخري زادة يوم 27 تشرين الثاني/نوفمبر 2020 قد تمت بواسطة روبوت زرعه عملاء إيرانيون يعملون لصالح الموساد، حيث قاموا بتنصيب رشاش/روبوت فوق شاحنة صغيرة وتركوها في الطريق، وعندما مر العالم النووي فتح الروبوت النار عليه لأنه كان يجري التحكم به عبر الأقمار الاصطناعية. وكما جرى إدخال الروبوت على مراحل إلى إيران، قد تكون إسرائيل بدعم من الدول الغربية قد أدخلت طائرات مسيرة صغيرة الحجم عبر مراحل إلى إيران، مفككة وجرى إعادة تركيبها وانتظار لحظة تنفيذ العمليات.

خطر الخلايا النائمة

ويعتبر وجود خلايا نائمة مكونة من مواطنين إيرانيين تعمل لصالح إسرائيل من أكبر التحديات التي تهدد الأمن القومي الإيراني. إذ تبين أن معظم عمليات الاختراق والاغتيال نفذها إيرانيون زرعتهم إسرائيل. وكان الرئيس الأسبق أحمد نجاد قد صرح يوم 12 حزيران/يونيو 2021 «إن مسؤول مكافحة إسرائيل في وزارة الاستخبارات الإيرانية كان جاسوسا لإسرائيل». مفسرا بأن هذا جعل إسرائيل تنجح بتنفيذ عمليات تجسس كبيرة في إيران، من بينها الاستيلاء على وثائق نووية وفضائية من مراكز حساسة. ويعتبر هذا المعطى أكبر ضربة لمخططات إيران. واعتادت إيران تفكيك خلايا إيرانية تعمل لصالح إسرائيل، ويبدو أنها لم تنجح في القضاء النهائي على جميع الخلايا النائمة.

وعمليا، وفي ظل المراقبة الشديدة التي تفرضها الأجهزة الأمنية والاستخباراتية الإيرانية على المجتمع الإيراني، يعتبر عدم تفكيك جميع خلايا إسرائيل فشلا لهذه الاستخبارات. في الوقت ذاته، لا أحد يعلم كيف نجحت إسرائيل في تجنيد خلايا نائمة تحركها في أوقات معينة ليكون دورها حاسما مثل الاغتيالات أو تنفيذ عمليات مسلحة مثل الفرضية الكبيرة للهجوم على منشآت عسكرية في أصفهان.

السنة الخامسة والثلاثون العدد 11322 الأحد 21 نيسان (ابريل) 2024 – 12 شوال 1445 هـ

تحذيرات في مجلس الأمن من مغبة تغذية الصراع في السودان بسلاح الداعمين الأجانب

قدم أربعة سيناتورات في لجنة العلاقات الخارجية بالكونغرس طلبا إلى الرئيس الأميركي لتصنيف زعيم قوات الدعم السريع متهما بارتكاب انتهاكات كبيرة وموثقة، والقائد العام للجيش السوداني لإعاقة الانتقال المدني.

الخرطوم ـ «القدس العربي»: ميعاد مبارك

في وقت حذرت عدد من الدول الأعضاء في مجلس الأمن الدولي من مغبة تغذية الصراع في السودان بسلاح الداعمين الأجانب، قدم أربعة سيناتورات في لجنة العلاقات الخارجية بالكونغرس الأميركي طلبا إلى الرئيس الأميركي جو بايدن لتصنيف زعيم قوات الدعم السريع محمد حمدان دقلو «حميدتي» متهما بارتكاب انتهاكات كبيرة وموثقة، والقائد العام للجيش السوداني عبد الفتاح البرهان لإعاقة الانتقال المدني.

وحذرت نائبة الأمين العام للأمم المتحدة للشؤون السياسية وزوماري ريكارلو من تغذية الصراع السوداني بسلاح الداعمين الأجانب، ممن يواصلون انتهاك عقوبات الأمم المتحدة بالخصوص.

ودعت خلال مخاطبتها الجلسة الخاصة بالسودان في مجلس الأمن الدولي مساء الجمعة إلى إيقاف تلك التدخلات مشددة على أنها غير أخلاقية كما أنها تخالف القوانين الدولية.

وقالت إن أطراف القتال في السودان فشلت في حماية المدنيين مبدية استعداد الأمم المتحدة لمضاعفة الجهود مع شركائها في الاتحاد الأفريقي والإيغاد وجامعة الدول العربية بالإضافة إلى الدول الأعضاء في المجلس للمساعدة في إنهاء الأعمال العدائية في السودان وتعزيز جهود الوساطة الدولية الشاملة.

وقال ممثل الولايات المتحدة الأمريكية روبرت وود إن الأوضاع على الأرض في السودان تمضي نحو طريق مسدود في ظل الصراع طويل الأمد الذي يتخذ في عدة أوجه طابعا عرقيا، داعيا الأطراف الإقليمية إلى الوقف الفوري لتوفير الأسلحة للأطراف في السودان.

وأضاف: «علينا جميعا أن نشعر بالقلق المتزايد إزاء انهيار الدولة في السودان واتساع نطاق الصراع الإقليمي» داعيا إلى زيادة الضغط على الأطراف المتقاتلة من أجل الوصول إلى حل تفاوضي.

وأولى الخطوات نحو تسوية الصراع في السودان حسب وود يجب أن يكون محورها إسكات صوت السلاح وإيصال المساعدات الإنسانية، مشيرا إلى انه في نهاية المطاف يجب على المدنيين السودانيين تحديد مسار السودان للمضي قدما واستعادة التحول الديمقراطي في البلاد.

وكانت الولايات المتحدة الأمريكية قد أعلنت عن استئناف مباحثات جدة بين الجيش السوداني وقوات الدعم السريع الشهر المقبل بمشاركة عدد من الفاعلين الدوليين والإقليميين في الشأن السوداني.

ولفت ممثل الاتحاد الأفريقي محمد بن شمباس إلى الانتهاكات الصارخة للقانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الإنساني الدولي، مؤكدا على ضرورة استئناف مباحثات جدة على نحو عاجل بمشاركة الاتحاد الأفريقي من أجل التوصل إلى وقف غير مشروط لإطلاق النار في السودان.

ويتواصل الضغط الدولي على الأطراف المتقاتلة في السودان منذ أكثر من عام، حيث قدم سيناتورات في لجنة العلاقات الخارجية بالكونغرس الأمريكي طلبا للرئيس الأمريكي جو بايدن لتصنيف زعيم قوات الدعم السريع محمد حمدان دقلو «حميدتي» متهما بارتكاب انتهاكات كبيرة وموثقة، والقائد العام للجيش السوداني عبد الفتاح البرهان لإعاقة الانتقال المدني.

ويأتي الطلب المقدم للرئيس الأمريكي وفق قانون ماغنيتسكي الدولي لمعاقبة منتهكي حقوق الإنسان.

ودعا السيناتورات إلى وضع الشبكات المالية لقوات الدعم السريع ومصادر إيراداتها تحت المراقبة والفحص، مطالبين بايدن باتخاذ قرار عاجل بالخصوص.

وكانت الحكومة السودانية قد اتهمت دولة الإمارات العربية المتحدة بإشعال الحرب المندلعة في البلاد منذ منتصف نيسان/ابريل الماضي.

وقدمت في 28 آذار/مارس الماضي شكوى رسمية في مجلس الأمن الدولي في مواجهة أبو ظبي متهمة إياها بالعدوان والتدخل في الشؤون الداخلية للبلاد.

وطالب المندوب الدائم للسودان في الأمم المتحدة الحارث إدريس في شكوى مقدمة إلى رئيس مجلس الأمن الدولي كازويوكي يامازاكي الإمارات بالوقف الفوري لتجنيد «المرتزقة» وقطع الدعم العسكري واللوجيستي والإمدادات والمؤن إلى قوات الدعم السريع والمجموعات المتحالفة معها.

ونصت المذكرة على مطالبة دولة الإمارات بـ«جبر الأضرار والتعويض عن الخسائر التي تسبب فيها هجوم قوات الدعم السريع المدعومة من قبلها وفقا لمبادئ القانون الدولي المتصلة بمسؤولية الدول عن الأفعال غير المشروعة دوليا».

وطالبت مجلس الأمن الدولي باستخدام كل الأدوات المتاحة له لـ«لجم العدوان الإماراتي على السودان بما يتوافق مع نصوص المواد 41 و 42 من ميثاق الأمم المتحدة.

وتمنح المادة 41 من ميثاق الأمم المتحدة، مجلس الأمن أن يقرر ما يجب اتخاذه من التدابير التي لا تتطلب القوات المسلحة لتنفيذ قراراته وله أن يطلب من الدول الأعضاء تطبيق هذه التدابير ويجوز أن يكون من بينها وقف الصلات الاقتصادية والمواصلات الحديدية والبحرية والجوية والبريد وغيرها من وسائل المواصلات جزئيا أو كليا وقطع العلاقات الدبلوماسية.

وفي حال رأى مجلس الأمن أن التدابير المنصوص عليها في المادة 41 لا تفي بالغرض، تجيز له المادة 42 أن يتخذ عن طريق القوات الجوية والبحرية والبرية من الأعمال ما يلزم لحفظ السلم والأمن الدولي أو لإعادته إلى نصابه.

وطالت الاتهامات كذلك دولتي تشاد وأفريقيا الوسطى متهمة إياها بالمشاركة الفعالة في تنفيذ مخطط العدوان على السودان عبر التغاضي عن عمليات تجنيد المقاتلين الشباب في أراضيها لتعزيز المجهود الحربي للدعم السريع والسماح للمرتزقة بالمرور عبر أراضيها.

وفي السياق قالت سفيرة واشنطن لدى الأمم المتحدة ليندا غرينفيلد في تصريحات الأسبوع الماضي أن بلادها أجرت مباحثات مع بلدان ربما كانت منخرطة في تغذية الصراع في السودان، مشيرة إلى أنهم على تواصل مستمر مع جهات أشارت إليها التقارير الإخبارية؛ بما فيها مصر والإمارات.

وأضافت في تصريحات للصحافيين في مبنى وزارة الخارجية الأمريكية: «لدينا مناقشات مع عدة بلدان في المنطقة شجعناهم خلالها على الضغط على إيران لئلا تنخرط في الصراع السوداني».

Volume 35 - Issue 11322 Sunday 21 April 2024

السوداني يُخفق في الاتفاق مع الأمريكان على تحديد جدول زمني لانسحاب قوات التحالف من العراق

يتّكأ السوداني على قوى سياسية شيعية تمتلك أغلبها فصائل مسلحة تكنّ العداء لواشنطن، وتطالب باستمرار بتحرير العراق من سطوة قواتها التي تصفها في العادة بالمحتلّة.

بغداد ـ «القدس العربي»: مشرق ريسان

عاد رئيس الوزراء العراقي، محمد شياع السوداني، إلى العاصمة العراقية بغداد، مُختتماً زيارة استمرت نحو أسبوع إلى الولايات المتحدة الأمريكية، التقى خلالها الرئيس جو بايدن وعددا من المسؤولين الأمريكان، من دون التوصل إلى اتفاق يقضي بتحديد «جدول زمني» لإنهاء مهام قوات التحالف الدولي بزعامة واشنطن، والذي يعدّ المطلب الأبرز للأحزاب والفصائل الشيعية.

السوداني الذي لم يصطحب معه أي مسؤول عسكري أو أمني عراقي إلى واشنطن، اكتفى بتصريحات حول انتفاء الحاجة للتحالف الدولي، ورهن أمري إخراج القوات الأجنبية– الأمريكية على وجه الخصوص– للجان العسكرية المشتركة التي تعكف على تقييم مهام التحالف، ومستوى التهديد الذي يشكّله تنظيم «الدولة الإسلامية» فضلاً عن مدى قدرة القوات العراقية للحفاظ على الأمن، قبل اتخاذ قرار الانسحاب من عدمه.

وبخالف ذلك التصريحات السياسية– الشيعية على وجه الخصوص– التي سبقت زيارة السوداني إلى واشنطن، وتعويلها على رئيس الوزراء في حسم ملف التحالف هناك في الولايات المتحدة الأمريكية.

ويتّكأ السوداني على قوى سياسية شيعية تمتلك أغلبها فصائل مسلحة تُكنّ العداء لواشنطن، وتطالب باستمرار في «تحرير» العراق من سطوة الولايات المتحدة الأمريكية وقواتها التي تصفها في العادة بـ«المحتلّة».

لكنها اتخذت موقفاً مغايراً خلال وجود السوداني في واشنطن، وعلّقت آمالها في أن تحرز الزيارة «تقدما في العلاقة ما بين العراق والولايات المتحدة، على المستويات المختلفة وخصوصا الطاقة والاستثمار والاقتصاد والتكنولوجيا».

وفي بيان صحافي أصدره «الإطار التنسيقي» الشيعي الأسبوع الماضي، عبّر عن رغبته في أن تسهم زيارة واشنطن في تأسيس «شراكة ثنائية استراتيجية مستدامة مع الولايات المتحدة» خصوصا بعد انتهاء مهمة التحالف الدولي، والاستعداد لجدولة الانسحاب ورغبة العراق في بناء علاقات ثنائية مع الأطراف الأساسية في التحالف «وفي مقدمتها الولايات المتحدة» وأن تكون هذه العلاقة قائمة على الاحترام المتبادل، وحفظ أمن العراق وسيادته ووحدة أراضيه.

وتعليقاً على الزيارة، يقول المحلل السياسي العراقي محمد علي الحكيم لـ«القدس العربي» إنه «بينما تتجه الأنظار إلى نتائج زيارة رئيس الوزراء العراقي محمد شياع السوداني إلى واشنطن وتداعياتها على الواقع العراقي، إلا أن المعطيات السياسية تشير إلى أن نتائج الزيارة وتداعياتها لا تختلف عن نتائج زيارات رؤساء الوزراء السابقين للبيت الأبيض، لأنها لا تحتوي في طياتها على الخوض في ملفات مجدية ومهمة للشعب العراقي والتي تعتبر أزمات حقيقية في البلاد».

ورأى أن «غياب أبرز ملفين وعد السوداني بطرحهما أمام القادة الأمريكان، وهما انتفاء الحاجة للقوات الأجنبية في العراق وتحرير العملة العراقية من الهيمنة والسطوة الأمريكية، جعل الزيارة بروتوكولية وسياسية لا أكثر، ناهيك عن أنها زيارة (مشروطة) مسبقاً بعد ما قدم مكتب رئيس الوزراء 11 طلبا لزيارة واشنطن، لكن جميعها جوبهت بالرفض من قبل الإدارة الأمريكية، إلا أنه في المرة 12 تم قبول تقديم الدعوة للسوداني، لكنها مشروطة مقابل عدم فتح ملف خروج القوات الأجنبية وتحرير العملة العراقية وفتح ملفات محددة متفق عليها مسبقاً» حسب قوله.

وحسب الحكيم فإن «زيارة السوداني إلى البيت الأبيض، والتي تعوّل على الملف الاقتصادي وطلب الدعم الأمريكي، وخلوّ الوفد الذي يتجاوز 134 شخصية– يعد الأكبر في زيارة الولايات المتحدة– من شخصيات سياسية أمنية أو رتب عسكرية مثل وزير الدفاع ووزير الداخلية ورئيس أركان الجيش ومستشار الأمن القومي، يوحي أن التباحث في مهمة التحالف الدولي بالعراق وخروج القوات الأمريكية لم يكن حاضراً، ولم يأخذ حيزاً مع الجانب الأمريكي، خلافاً للوعود التي أطلقها بعض زعماء الإطار التنسيقي بأن ملف خروج القوات الأمريكية سيتربع على عرش المباحثات بين السوداني والرئيس الأمريكي بايدن».

وأكد رئيس الحكومة العراقية خلال لقائه الرئيس الأمريكي في وقت سابق من الأسبوع الماضي الأمريكي قائلاً: «نعمل على الانتقال من العلاقة العسكرية إلى الشراكة الكاملة مع الولايات المتحدة، مبيناً أن «العلاقات الأمريكية - العراقية وصلت لمنعطف مهم ونهدف إلى بحث الشراكة».

ويرى السوداني أن المرحلة تشهد «منعطفاً مهماً» في علاقة العراق بالولايات المتحدة، التي ركزت، لأعوام، على التعاون الأمني والعسكري، معتبراً أن زيارته إلى واشنطن شهدت «وضع الأسس الصحيحة» للانتقال إلى علاقات شاملة في كل القطاعات والجوانب الاقتصادية والسياسية والثقافية، فضلا عن الجوانب الأمنية ضمن إطار التعاون الثنائي.

وأشار حينما عقد لقاءً بالعاصمة الأمريكية

مع عدد من ممثلي ومراسلي وسائل الإعلام الأمريكية والغربية والشبكات الإخبارية، إلى «تأكيد العراق التزامه بمخرجات اللجنة العسكرية العليا المعنية بإنهاء مهمة التحالف الدولي في العراق بعد 10سنوات» مستدركاً بالقول: «العراق اليوم يختلف عما كان عليه في عام 2014 وأن عصابات داعش لم تعد تمثل تهديداً للعراق ومن الطبيعي العمل على إعادة النظر في التحالف واستمراره».

وأوضح رئيس الوزراء أن «المسار الثاني في العمل المشترك مع الولايات المتحدة، تمثل بالاجتماع الأول للجنة التنسيقية العليا لاتفاقية الإطار الاستراتيجي، الذي تناول ملفات الطاقة والاستثمار والنقل والتعليم وتحديات التغيّر المناخي».

ولفت إلى أن «الحكومة رفعت شعار العراق أولاً، وأن المصلحة المستدامة تقتضي بناء شراكات متينة لا يقتصر وجودها على الحكومات أو الإدارات، إنما تمتدّ إلى المصالح المتبادلة للشعبين الصديقين».

وعلى الرغم من أن الزيارة جاءت متأخرة وقبل أشهر فقط من الانتخابات الأمريكية المزمع إجراؤها نهاية العام الجاري، يشير الحكيم إلى رأي يرى «أهمية الزيارة من أجل تعزيز العلاقات الاقتصادية و(ضبط تقلبات) أسعار الدولار ومكافحة منافذ التهريب ومستقبل التحالف العسكري الذي تقوده الولايات المتحدة».

كما جدد السوداني والرئيس بايدن التزامهما بـ«الشراكة الثنائية لمصلحة البلدين» وقررا «توسيع التعاون في جميع المجالات التي تمت مناقشتها في الاجتماع وفي اجتماعات اللجنة التنسيقية العليا طبقاً لاتفاقية الإطار الاستراتيجي» المبرمة بين البلدين عام 2008.

ووفق الحكيم فإن أهداف الزيارة التي تم بحثها مع زعماء القوى السياسية في «الإطار التنسيقي» قبل إجرائها، «لم يتم التطرق لها إطلاقاً، بل كانت زيارة سياسية بامتياز ولا ترتقي لحجم التسويق الذي قام به بعض المقربين للحكومة ولائتلاف إدارة الدولة».

بعد شهر من تعزيز قواته في بادية حمص

لواء القدس تأسس لقمع أي حراك ثوري معارض لنظام الأسد، ليتلقى بعد أقل من عام دعما إيرانيا لحماية مطار النيرب العسكري.

منهل باريش

قتل 22 عنصرا من «لواء القدس» الفلسطيني الموالي للنظام السوري في هجوم بالأسلحة الرشاشة شنه عناصر تنظيم «الدولة الاسلامية» على سيارة عسكرية بين بلدتي الكوم والطيبة شمال السخنة بريف حمص الشرقي، وهو الطريق الذي كثفت خلاليا التنظيم كمائنها عليه خلال الأشهر القليلة الأخيرة. وقالت معرفات اللواء إن عناصر التنظيم هاجموا حافلة مبيت بالصواريخ ما أدى إلى احتراقها ومقتل كل من فيها. كما انفجرت عبوة ناسفة بالقرب من سيارة مبيت عسكرية تابعة لقوات النظام على طريق المحطة الثالثة T3 في بادية تدمر دون أن تحدث أضرارا.

وفي الإطار، أفاد المرصد السوري لحقوق الإنسان، أن هجوما آخر لعناصر التنظيم على مقرات عسكرية لقوات النظام في قرية حسرات بريف البوكمال أسفر عن مقتل 6 عناصر من قوات النظام، وأسر عنصرين آخرين حسب ما ورد عن المرصد الذي وثق مقتل 268 عنصرًا من قوات النظام والميليشيا الموالية له منذ مطلع العام الجاري على يد عناصر خلايا تنظيم «الدولة» في البادية السورية شرق حمص وبادية الجزيرة في ريف دير الزور.

بدوره أعلن نائب رئيس المركز الروسي للمصالحة في سوريا في 18 نيسان (أبريل) الجاري، اللواء يوري بوفوف، عن «تدمير سلاح الجو الروسي قاعدتين لإرهابيين» لم يحدد أنهما لخلايا التنظيم في باديتي حمص ودير الزور، واكتفى بوفوف بالإشارة إلى أن «الإرهابيين» غادروا منطقة التنف التي تسيطر عليها القوات الأمريكية، وكانوا يختبؤون في مناطق يصعب الوصول إليها.

الجدير بالذكر، أن «لواء القدس الفلسطيني» التابع لقوات النظام كان قد نشر عبر معرفاته على شبكات التواصل الاجتماعي في آذار (مارس) الماضي عن دفعه بتعزيزات قوامها أكثر من 7 آلاف عنصر– حسب زعمه– لتمشيط منطقة البادية السورية امتدادًا من دير الزور شمالاً، إلى تدمر جنوبًا، وعلى طول الحدود السورية العراقية حيث ينتشر ضمنها عناصر خلايا تنظيم «الدولة» و تداول عناصر «اللواء» حينها صورًا لقائده المهندس محمد سعيد مع عدد من العناصر ضمن ما أشاروا إليه على انه غرفة عمليات تمشيط البادية السورية، وجاءت تعزيزات «اللواء» حينها على خلفية نشاط خلايا التنظيم وتنفيذها عمليات عدة في البادية السورية تجاوزت 32 عملية ضد قوات النظام والقوات الموالية لها في شهر شباط (فبراير) الماضي وبعد عثور عمال جمع الكمأة على جثث ثمانية عناصر من «قوات الدفاع الوطني» المساندة لقوات النظام في بادية البشري غربي دير الزور.

وتجدر الإشارة إلى أن «لواء القدس» تأسس بعد أشهر قليلة على انطلاق الثورة السورية في 2011 في مخيم النيرب شرق حلب باسم «كتيبة أسود القدس» لقمع أي حراك ثوري معارض لنظام الأسد، وليتلقى بعد أقل من عام دعما إيرانيا لحماية مطار النيرب العسكري، وينتقل لمسمى «لواء القدس» بعد أن ضم في صفوفه أكثر من 6 آلاف مقاتل نهاية 2013. ومع بداية التدخل الروسي الفعلي في العمليات العسكرية في سوريا انتقل «اللواء» لمرحلة الرعاية والتبني من قبل القوات الروسية وعاد في تموز (يوليو) إلى الدعم الإيراني بعد تقليص الدعم العسكري الروسي عن القوات المحلية في سوريا، وتوسع انتشار اللواء عام 2017 خارج محافظة حلب وخاصة بعد سيطرة قوات النظام على المدينة، لينتشر في البادية السورية منتصف 2018 بدعم عسكري ومالي روسي في معارك قوات النظام مع تنظيم «الدولة الإسلامية في العراق والشام».

مظاهرات غاضبة

بموازاة ذلك، تشهد بلدات وقرى عدة في مناطق سيطرة هيئة «تحرير الشام» مظاهرات واعتصامات احتجاجًا على ممارسات وسياسات الهيئة في إدارة المنطقة، فقد شهدت مدن وبلدات دارة عزة والدانا وأبين وبنش وطعوم وتلعادة وتفتناز ودير حسان والفوعة ومخيمات الكرامة مظاهرات غاضبة، تطالب بالإفراج عن المعتقلين في سجون جهاز «الأمن العام» التابع للهيئة، كما ردد المتظاهرون هتافات تطالب بإسقاط الهيئة ورحيلها، ومن الهتافات التي رددها المتظاهرون «يالله ارحل جولاني» تسقط هيئة «تحرير الشام».. يسقط جهاز «الأمن العام».. تسقط حكومة «الإنقاذ» كما حملوا لافتات كتب عليها عبارات تسقط الجولاني وهيئته وتطالبه بالرحيل لا الإصلاح. وارتفعت وتيرة الاحتجاجات ضد «الهيئة» على خلفية اعتقال عناصر جهاز الأمن العام لمتظاهرين من حزب التحرير خلال توجههم للمشاركة في مظاهرة مناهضة للجولاني في مدينة دارة عزة بريف حلب الغربي الثلاثاء الماضي، كما شن «الجهاز» يوم الأربعاء حملة اعتقالات واسعة طالت ناشطين مشاركين في الاحتجاجات ضد الجولاني من أبرزهم الناشط «أنس العمر» من دارة عزة، والذي أطلق سراحه يوم الخميس نتيجة الضغط الشعبي المطالب بالإفراج عنه.

الاحتجاجات ضد «تحرير الشام» وزعيمها أبو محمد الجولاني والتي انطلقت منذ 25 شباط (فبراير) الماضي، تصاعدت وتيرتها خلال الأسبوع الماضي، مع انضمام كيانات ثورية، ودينية، وشخصيات «شرعية» من صفوف الهيئة لها، فقد أصدرت «رابطة أهل العلم» بيانًا مرئيًا أعلنت من خلاله على أحقية الحراك ضد الجولاني، وجاء في البيان «خرجت مع بداية آذار مظاهرات سلمية احتجاجا على الغلظة المتسلطة والمستبدة، والتي مارست شتى أنواع التعدي على الأنفس والأموال والممتلكات، ووقع ذلك نتيجة تسلط رؤوس الفساد على رقاب العباد، والمتمثلة بشخص الجولاني، وجهازه الأمني فقط، ولذلك فإن رابطة أهل العلم تقف مع الحركة الاحتجاجية ومع الشعب الثائر ضد الجولاني وأتباعه».

كما أعلنت «مبادرة الكرامة» ببيانٍ لها عن استمرارها في الوقوف إلى جانب الحراك الشعبي ضد ممارسات «تحرير الشام» وأمنييها، واستنكرت المبادرة في بيانٍ لها حملة الاعتقالات الواسعة التي طالت مشاركين في التظاهرات في دير حسان، ودارة عزة، واصفة الهيئة بحكومة الأمر الواقع المستبدة المشابهة لحكم نظام الأسد.

وفي سياق منفصل، قالت فاطمة العبود «أم النور» الناشطة في التظاهرات النسائية ضد الجولاني خلال اتصال مع «القدس العربي» إن الاحتجاجات الحالية «لن تتوقف إلا بإسقاط الجولاني وهيئته» مشيرة إلى أن «الحراك الشعبي في توسع مستمر من ناحية الانتشار والفئات المشاركة به» لافتة إلى أن «المتظاهرات مستمرات في نشاطهن ضد الجولاني على الرغم من قوته واستبداد أمنييه».

وبموازاة مواجهة زعيم «تحرير الشام» الجولاني للحراك الشعبي بالعنف والاعتقال، يحاول تثبيطه وإخراجه عن إطاره الشعبي المحتج من خلال لقاءات مع مراكز دعوية ورجالات دين بهدف تأطيره على أنه حراك يستهدف المشروع السني في شمال سوريا، ومن ضمن هذه اللقاءات اجتماعه مع الشيخ عبد الرزاق المهدي عضو مجلس شورى الهيئة المستقيل، والمؤيد للحركة الاحتجاجية السلمية، والذي برر بدوره اجتماعه مع الجولاني على انه لقاء للنصح، لا لقاء للتفاوض، وقال المهدي في بيان نشره على معرفه في منصة «اكس» (تويتر سابقا) «لاّ يجوز لي ولا لغيري أن نسكت عن الظلم والخطأ، والمظاهرات السلمية المنضبطة هي مشروعة طالما قامت لتحقيق مطالب مشروعة، وطالما هناك ظلم ومخالفات شرعية من قبل السلطة فمن حق الناس التعبير بكل وسيلة سلمية متاحة عن رفضهم لذلك حتى يرفع الظلم».

إن تعاطي الجولاني مع المظاهرات المناهضة والمطالبة برحيله، سواء من خلال العنف والاعتقال، أو من خلال الالتفاف على الحراك، لا يبدو أنه التعاطي المناسب مع ظروف المرحلة التي تعيشها «تحرير الشام» وخاصة بعد تعرضها لصدمات عدة منذ عام، استهدفت بنيتها الداخلية ومنها «ملف العمالة للنظام» ومن ثم ملف الانشقاق، كما حدث مع القيادي جهاد عيسى الشيخ «أبو أحمد زكور» ثالث القياديين في الهيئة، أو ملف التصفية والصراعات كما حدث مع الرجل الثاني في التنظيم «أبو ماريا القحطاني» والذي قتل في عملية يشتبه الكثيرون بأنها مدبرة من قبل الجولاني مطلع الشهر الجاري.

متى تبديل الأولويات والطاقم؟

انتخابات الأردن في «المساحة الرمادية» وإيران عنصر في معادلة الداخل

الصراع الذي أصبح مفتوحا بين إيران وإسرائيل مؤشر على أن الأردن سيسهر ليله الطويل مجددا وأن اضطرابات تتغير معها أولويات المرحلة.

عمان ـ «القدس العربي»: بسام البدارين

في المساحة الرمادية قد يدخل التصعيد بين إسرائيل وإيران في معادلة التأثير على أجندة الانتخابات البرلمانية الأردنية المقررة أو التي ستتقرر قبل نهاية العام الحالي خصوصا بعد ما أثار صدور إرادة ملكية بفض دورة البرلمان العادية الأسبوع الماضي نقاشا حول الاحتمالات والسيناريوهات لأنه لم يترافق بعد مع تنسيب بحل البرلمان.

ثمة من يتصور بين السياسيين الآن وحتى في بعض مفاصل الدولة العميقة بأن انعقاد انتخابات عامة وان كانت استحقاقا دستوريا في ظل مناخ حرب وتصعيد عسكري يتفاعل قد لا يشكل اتجاها حكيما أو منطقيا، وثمة من يعاكس هذا الاتجاه وهو يؤشر على خلاصة مرجعية فكرتها أن مسار التحديث السياسي ينبغي أن يصل إلى محطة انتخابات 2024 اعتمادا على المواصفة الوطنية فقط وبعيدا عن ما يجري في الإقليم. بين الرأيين تتزاحم عدة تصورات لكن الواضح والملموس في قناعة السياسيين الأردنيين أن طبيعة الصراع الذي أصبح مفتوحا بين إيران وإسرائيل مؤشر على أن الأردن سيسهر ليله الطويل مجددا وان اضطرابات تتعلق وتتغير معها أولويات المرحلة.

وهنا يشير المحلل السياسي رامي العياصرة إلى كل الاحتمالات ويتفق مع القول إن حسابات المصالح الوطنية العميقة قد تكون أهم من التشدد في مسألة الانتخابات واستحقاقها الزمني وليس الدستوري، فيما رئيس مجلس النواب أحمد الصفدي مجددا وأمام «القدس العربي» يضع إدارة المشهد برمتها بيد صاحب القرار وتقديراته في حكم السياق الدستوري.

وتراجعت مؤخرا بوضوح في أوساط السياسيين والبرلمانيين تلك الفرضيات التي تعتقد بأن الانتخابات حكما ينبغي أن تجري بصرف النظر عن تطورات الأحداث في فلسطين المحتلة.

لكن مثل هذا التراجع كسب المزيد من الأصدقاء في الأسبوع الأخير بعد ارتفاع مستوى ومنسوب الحرارة الذي شعر به الجميع ليلة التصدي فجر الأحد الماضي للهجوم الإيراني الشهير على إسرائيل.

يفضل سياسي بخبرة برلمانية عريقة مثل الدكتور ممدوح العبادي تأجيل الانتخابات في العام الحالي وهو ما فضله أيضا عندما تحدث لـ«القدس العربي» رئيس الوزراء الأسبق علي أبو الراغب.

وضمنا يمكن القول إن خيار التأجيل لا تمانعه المعارضة السياسية والحزبية إذا ما كانت الفكرة منسجمة مع ما طرحه مراد العضايلة الأمين العام لأكبر أحزاب المعارضة وقد أعلن مبكرا حتى قبل انضمام إيران للحفل بأن «معركة طوفان الأقصى أردنية وأولوية وأهم من الانتخابات».

يحاجج المترقبون بأن عنصرا إيرانيا يدخل الآن ولأول مرة في عمق معادلة الترتيب الأردني. ويرى هؤلاء بأن هذا المستجد الكبير والخطير في ملف القضية الفلسطينية وإسرائيل من الصنف الذي لا يمكن إسقاطه من الحسابات الأردنية ليس فقط لأن إيران اقتربت جدا وقررت قصف إسرائيل من الأجواء الأردنية، ولكن لأن الأردن رد بخطوة سيادية شمولية أسقط بموجبها عشرات الطائرات المسيرة إيرانيا. قبل أحداث تلك الليلة الإيرانية قبل فجر الأحد الماضي كانت معركة طوفان الأقصى لاعب خلف الستائر في كل معطيات ملف الاختبارات الأردنية.

الآن لم يعد الأمر يقتصر على غزة ومعركتها، فإيران موجودة في الصراع وفي أدق الزوايا الحرجة، والجغرافيا الأردنية أصبحت عنصرا ملتهبا في الصراع الإقليمي برمته ضمن موجات الانفعال والاندفاع في إطار جدلية ثنائية الدور والوظيفة.

هذا العنصر المسجل إضافة نوعية في التفكير في مطبخ الانتخابات والمطابخ الإقليم على عدة أسئلة أردنية داخلية حيوية من بينها تأجيل الانتخابات أو عقدها وحل البرلمان أو تمديد ولايته الدستورية قليلا.

ومن بينها بالنتيجة المباشرة حسم مصير الحكومة الحالية ضمن جدلية البقاء أو الرحيل وإعادة برمجة التحديات بسلم أولويات مختلف لإدارة حسابات معقدة اقتصاديا وسياسيا وإقليميا تهدف في النتيجة وعلى طريقة وزير المالية محمد العسعس لحماية الاتجاه والقرار الوطني المستقل.

وهنا يمكن القول إن المقارنات الآن بالجملة والسيناريوهات في برمجة تعيد ضبط الإعدادات للتعامل مع مرحلة جديدة ومختلفة وحمالة أوجه بالجملة أيضا وسط السؤال الذي يطرحه بعض كبار الساسة في عمان، وهو ذلك المرتبط بكيفية توقع نتائج من أي صنف في ظل بقاء الطاقم الذي يدير الملفات كما هو.

ذلك حتما سؤال يتسرب بين أحرفه ذلك الانطباع الذي مرره عبر «القدس العربي» خبير استثنائي من وزن الدكتور جواد العناني عندما تحدث عن قرب الانتقال إلى مستوى تشكيل وتأسيس مطبخ حقيقي يتولى الاشتباك وفقا للرؤية.

وجود باثيلي كان عنصر طمأنة لقطاعات واسعة من الليبيين، الذين كانوا يشعرون أن البعثة الأممية، ما زالت ماضية في محاولات التقريب بين الإخوة الأعداء، وإن تأخرت النتيجة.

رشيد خشانة

استقالة الموفد الثامن للأمين العام للأمم المتحدة إلى ليبيا عبد الله باثيلي خيبٌ سيء لكل من علقوا آمالا على وساطته لحلحلة الأزمة المستفحلة في البلد منذ 2011 لأن البديل هو الفراغ والمجهول والحرب. وليس من المبالغة القول إن وجود باثيلي كان عنصر طمأنة لقطاعات واسعة من الليبيين، الذين كانوا لا يتعمقون ربما في التفاصيل، لكنهم يشعرون أن البعثة الأممية، ما زالت ماضية في محاولات التقريب بين الإخوة الأعداء، وإن تأخرت النتيجة. بهذا المعنى ليس من الدقيق القول إن المبعوث الأممي الخاص فشل في مهمته بعد أكثر من سنتين، بل الأصح القول إنه أفشل. ويمكن أن نلحظ هنا تشابها بين ما حصل معه وما حصل مع سلفه غسان سلامة، فباثيلي حاول جمع أطراف الصراع الخمسة حول «طاولة» واحدة، لكن بلا جدوى، لأن زعماء المنطقة الشرقية أصروا على أن يشارك في الحوار، رئيس الحكومة الموازية أسامة حماد غير المعترف بها دوليا. ولعل الضربة الكبرى التي تلقاها باثيلي تمثلت بإرجاء المؤتمر الوطني الجامع الذي كان مُزمعا عقده يوم 28 نيسان/ابريل الجاري في مدينة سرت (شمال الوسط) والذي بنت عليه الأمم المتحدة أملا كبيرا لكسر الجمود السياسي. كما أن إرجاء الانتخابات العامة، التي كانت مقررة كانون الثاني/ديسمبر المقبل، شكل عنصرا من عناصر الاحباط، التي جعلت باثيلي يحزم قراره في اتجاه الاستقالة.

ويُشبه ما حصل لهذه المبادرة، المصير الذي آلت إليه دعوة الأمم المتحدة إلى مؤتمر وطني جامع، كان مُقررا عقده في مدينة غدامس (شمال غرب) يومي 10 و11 نيسان/ابريل 2019 بمشاركة ألف شخصية ليبية، على أن تصدر عنه 22 وثيقة تشمل جميع القطاعات. غير أن القائد العسكري للمنطقة الشرقية اللواء المتقاعد خليفة حفتر، قطع الطريق على المؤتمر بزحف قواته على العاصمة طرابلس، في الرابع من الشهر نفسه، فذهبت جميع الجهود التي بذلها الموفد الأممي السابق غسان سلامة أدراج الرياح.

اليوم، تعود الأزمة الليبية إلى المربع الأول. والمربع الأول ليس خلافا على شكل «الطاولة الخماسية» ولا تنازعا على إشراك هذه الشخصية أو تلك في أعمالها، بقدر ما هو خلاف جوهري حول تقاسم السلطة وتوزيع الثروة. ومن الطبيعي أنه كلما زادت عوائد البلد من صادرات النفط والغاز، زادت معها حدة الصراع، الذي يمكن أن يتحول إلى صراع مسلح، في أي وقت. في هذه الأجواء شكل أخيرا رئيس حكومة الوحدة الوطنية عبد الحميد الدبيبة لجنة للتفاوض مع شريكي ليبيا الرئيسيين وهما مجموعة «توتال إينرجي» الفرنسية و«كونوكو فيليبس» الأمريكية، بُغية تعديل اتفاقية الامتياز والمشاركة في حقول شركة الواحة النفطية، وهي أكبر الحقول الليبية، بالرغم من اعتراض كل من النائب العام وديوان المحاسبة على تشكيل اللجنة. كما أتى قرار التفاوض بعد أسبوعين فقط من عزل وزير النفط محمد عون. وهذه شبهة فساد واضحة، خصوصا أن المطالبة بتعديل الاتفاقية تم باقتراح من رئيس المؤسسة الوطنية للنفط فرحات بن قدارة، وقد أجاب عليه الدبيبة فورا بالموافقة، من دون استشارة أهل الذكر، أو إشراك الكوادر الليبية العليا في العملية، وهذه شبهة فساد أيضا.

وتطالب المجموعتان الأمريكية والفرنسية بزيادة هامش الربح من 6.5 إلى 13 في المئة، وهو ما يرفع حصتهما من الانتاج إلى أكثر من 40 في المئة. يُضاف إلى ذلك تمديد صلاحية العقود المبرمة مع «مؤسسة النفط» إلى العام 2046 أي أن الارتفاع الدوري لأسعار النفط العالمية، على مدى 22 سنة القادمة لن يُؤخذ في الاعتبار، وهو إهدار لمصالح ليبيا وحقوقها في ثرواتها. أيعد من ذلك، انتقى الدبيبة أعضاء لجنة التفاوض مع الشركتين الأجنبيتين، بغاية الدقة، كي يكونوا من الموالين له. وفي السياق كشف ديوان المحاسبة في تقريره السنوي بعض الوقائع، من بينها موافقة الدبيبة، على شراء سيارات للوزراء ووكلاء الوزارات والنيجر وبوركينا فاسو. وقد وصلت على متن سفينتين أرستا في ميناء طبرق، آتيتين من قاعدة طرطوس البحرية الروسية في سوريا. وكشفت وكالة «بلومبيرغ» الأمريكية النقاب عن تشكيل المجموعة القتالية الجديدة، تحت اسم «الفيلق الأفريقي» والتي قوامها 20 ألف جندي، وهي تتلقى التعليمات مباشرة من وزارة الدفاع في موسكو، لتنفيذ عمليات في خمس دول أفريقية.

وبحلول منتصف العام الجاري، سينطلق «الفيلق الأفريقي» إلى العمل، في بوركينا فاسو وليبيا ومالي وجمهورية أفريقيا الوسطى والنيجر، وهو وريث شركة «فاغنر» العسكرية الروسية، لكنه سيتلقى التعليمات مباشرة من وزارة الدفاع في موسكو. ووفقا لوكالة «بلومبيرغ» أيضا ستجند الفيلق الروسي من جمهورية أفريقيا الوسطى مقرا إقليميا جديدا له، كاشفة عن تخطيط موسكو لتجنيد مقاتلين سابقين في «فاغنر» ومجندين جُدُدا لضمهم إلى الفيلق. وهذا يعني أن ليبيا هي واحدة من الساحات الأفريقية الخمس المستهدفة من التمدُّد الروسي، بينما نلحظ في الجهة المقابلة، ترتيبات أمريكية لإدخال خبراء ومستشارين ومدربين عسكريين إلى المنطقة الغربية، بعنوان تأهيل عناصر المجموعات شبه العسكرية، الساهرة على حماية أعضاء حكومة الوحدة الوطنية. من هنا ستكون ليبيا، بحكم الجغرافيا ومخزون الثروات الطبيعية الغزير والمتنوع، ساحة للصراع الدولي، مثلما توقع باثيلي في إحاطته، في ظل غياب دولة موحدة، تتحكم في كافة مناطق البلد، وتحتكر السلاح، وتوزع إيرادات النفط توزيعا عادلا على جميع المناطق والفئات الاجتماعية.

اشتراطات الزعماء

بعد ستة مبعوثين أمميين إلى ليبيا، وثامنهم باثيلي، لا يمكن لبعض النخب التي تتحدث عن فشل البعثة تحميل أولئك المبعوثين مسؤولية إخفاق الحل السياسي، لأن الزعماء هم الذين يُقدمون اشتراطات للموافقة على الجلوس إلى مائدة الحوار. وهؤلاء المقاطعون يتغيرون من ظرف إلى آخر، لكنهم ينجحون في إجهاض أي مشروع للحوار الشامل والمصالحة، لأنه يُهدد مصالحهم. واستطرادا فهم يسعون لاستمرار الأمر الواقع، على هذه الخلفية تُقرأ زيارة اللواء حفتر، بوصفه الحاكم العسكري للمنطقة الشرقية، إلى موسكو، حيث استقبله الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، للمرة الأولى منذ العام 2019 وخاضا معا في الأوضاع الليبية والإقليمية، حسب ما أفادت وسائل إعلام روسية، من دون إعطاء تفاصيل. لكن من الواضح أن الملف الذي كان يُديره زعيم «فاغنر» الراحل يفغيني بريكوجين، سيتولى إدارته بوتين بنفسه، مع وزير دفاعه شويغو، وبالتنسيق مع السفير الروسي لدى ليبيا أيدار أغانين.

وفي السياق أفادت وكالات أنباء غربية، نقلا عن مسؤول ليبي مطلع لم تسمه، أن نائب وزير الدفاع الروسي يونس بك يفكوروف زار ليبيا، من أجل «طمأنة الحلفاء» على بقاء مقاتلي مجموعة «فاغنر» في البلاد، لكن تحت سيطرة موسكو، كما أبلغ القائد العسكري للمنطقة الشرقية حفتر، أن المجموعة ستتبع «قائدًا جديدًا».

«ذوي النيات الحسنة»

مع القتامة التي تُغلف الوضع الراهن في ليبيا، وجمود العملية السياسية إلى حين تسمية رئيس جديد للبعثة الأممية، وهي عملية معقدة وبطيئة، ترك باثيلي في إفادته الأخيرة، بعض خيوط الضوء، حين أشاد بـ«العناصر الصادقة» في المجتمع المدني، وبعض الأحزاب السياسية، والشباب والمرأة، ممن سماهم «ذوي النيات الحسنة». لكن من المؤكد أن أنطونيو غوتيريش سيفكر مليا قبل الإنطلاق في البحث عن مبعوث جديد، لأن الأوضاع الإقليمية والدولية تتغير بسرعة غير مسبوقة، وأيضا لأن من الصعب إيجاد من يُقدم على تولي هذه المهمة، في ظل الحرائق المنتشرة من غزة ولبنان إلى أوكرانيا وإيران.

ومن الأكيد أن دور نائبة رئيس البعثة الجديدة ستيفاني خوري، سيكون محدودا، إذ ليس بيدها فتح حوارات جديدة حول الملفات العالقة مع الزعماء الليبيين، بعدما وصفهم باثيلي بأنهم «يضعون مصالحهم الشخصية فوق حاجات البلاد». وبالتالي ستبقى نار المائدة الحوار. وهؤلاء المقاطعون يتغيرون من ظرف إلى آخر، لكنهم ينجحون في إجهاض أي مشروع للحوار الشامل والمصالحة، لأنه يُهدد مصالحهم. واستطرادا فهم يسعون لاستمرار الأمر الواقع، على هذه الخلفية تُقرأ زيارة اللواء حفتر، بوصفه الحاكم العسكري

ليبيا: بعض النخب «الأنانية» تحترف إجهاض مبادرات الحل السياسي

للمنطقة الشرقية، حيث استقبله الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، للمرة الأولى منذ العام 2019 وخاضا معا في الأوضاع الليبية والإقليمية، حسب ما أفادت وسائل إعلام روسية، من دون إعطاء تفاصيل. لكن من الواضح أن الملف الذي كان يُديره زعيم «فاغنر» الراحل يفغيني بريكوجين، سيتولى إدارته بوتين بنفسه، مع وزير دفاعه شويغو، وبالتنسيق مع السفير الروسي لدى ليبيا أيدار أغانين.

وفي السياق أفادت وكالات أنباء غربية، نقلا عن مسؤول ليبي مطلع لم تسمه، أن نائب وزير الدفاع الروسي يونس بك يفكوروف زار ليبيا، من أجل «طمأنة الحلفاء» على بقاء مقاتلي مجموعة «فاغنر» في البلاد، لكن تحت سيطرة موسكو، كما أبلغ القائد العسكري للمنطقة الشرقية حفتر، أن المجموعة ستتبع «قائدًا جديدًا».

«ذوي النيات الحسنة»

مع القتامة التي تُغلف الوضع الراهن في ليبيا، وجمود العملية السياسية إلى حين تسمية رئيس جديد للبعثة الأممية، وهي عملية معقدة وبطيئة، ترك باثيلي في إفادته الأخيرة، بعض خيوط الضوء، حين أشاد بـ«العناصر الصادقة» في المجتمع المدني، وبعض الأحزاب السياسية، والشباب والمرأة، ممن سماهم «ذوي النيات الحسنة». لكن من المؤكد أن أنطونيو غوتيريش سيفكر مليا قبل الإنطلاق في البحث عن مبعوث جديد، لأن الأوضاع الإقليمية والدولية تتغير بسرعة غير مسبوقة، وأيضا لأن من الصعب إيجاد من يُقدم على تولي هذه المهمة، في ظل الحرائق المنتشرة من غزة ولبنان إلى أوكرانيا وإيران.

ومن الأكيد أن دور نائبة رئيس البعثة الجديدة ستيفانيي خوري، سيكون محدودا، إذ ليس بيدها فتح حوارات جديدة حول الملفات العالقة مع الزعماء الليبيين، بعدما وصفهم باثيلي بأنهم «يضعون مصالحهم الشخصية فوق حاجات البلاد». وبالتالي ستبقى نار المائدة الحوار. وهؤلاء المقاطعون يتغيرون من ظرف إلى آخر، لكنهم ينجحون في إجهاض أي مشروع للحوار الشامل والمصالحة، لأنه يُهدد مصالحهم. واستطرادا فهم يسعون لاستمرار الأمر الواقع، على هذه الخلفية تُقرأ زيارة اللواء حفتر، بوصفه الحاكم العسكري

بري وجعجع: علاقة محكومة بالاحترام حتماً رغم التباين

القوات بحاجة إلى بري كمرجعية نيابية قادرة على ابتكار الحلول للأزمات في المراحل الدقيقة، والرئيس بري بحاجة إلى طرف مسيحي وازن يتميّز بصدقيته وبوضوح مواقفه وثوابته.

بيروت ـ «القدس العربي»: سعد الياس

لم يحصل في تاريخ العلاقة بين رئيس مجلس النواب نبيه بري ورئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع منذ خروجه من سجن وزارة الدفاع في 26 تموز/يوليو 2005 أن حصل هذا الكم من التراشق بالبيانات رغم التباعد السياسي بين الطرفين. فطالما كانت العلاقة متناغمة بين الرئيس بري والقوات اللبنانية وتحكمها المودة بخلاف العلاقة بين القوات وحزب الله أو العلاقة بين بري والتيار الوطني الحر.

وفي استعادة للعلاقة بين «أمل» و«القوات» فهي شهدت بالإجمال علاقة احترام متبادل على الرغم من عدم تصويت نواب القوات اللبنانية منذ فوزهم في أولى الدورات الانتخابية في أيار/مايو 2005 للرئيس بري رئيساً للمجلس. والبعض يتذكّر الزيارة اللافتة التي قامت بها النائبة ستريدا جعجع إلى عين التينة قبل الإفراج عن زوجها من أجل تحضير الأجواء لجلسة إقرار العفو العام بعد التحوّل الكبير الذي شهدته البلاد إثر اغتيال الرئيس رفيق الحريري والذي أتاح لجعجع الخروج من سجنه السياسي وتصويت أغلبية الكتل النيابية بمن فيها كتلة «التنمية والتحرير» على قانون العفو العام في 18 تموز/يوليو 2005 باستثناء نواب حزب الله وحزب البعث والحزب السوري القومي الاجتماعي. وقد سأل الرئيس بري حينها ستريدا جعجع عن موقف آل فرنجية وكرامي وما إذا كان لديهما اعتراض ووعد بالمساعدة بالتعاون مع رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط لخروج رئيس القوات من السجن، معرباً عن اعتقاده أنه «تم تركيب شيء لجعجع في قضية كنيسة سيدة النجاة». فيما اعتبرت ستريدا جعجع بعد الجلسة النيابية «أن الثواب عبّروا بإسم الشعب اللبناني عن طي صفحة الحرب نهائياً والعبور نحو المصالحة الوطنية الحقيقية».

بناء على هذا الموقف، بُنيت علاقة طيبة بين رئيس المجلس والقوات اللبنانية ولم يشُب هذه العلاقة أي شيء غير عادي، وانتهجت القوات سياسة إبداء الاحترام للرئيس بري والتعاطي معه بموضوعية في الملفات التشريعية رغم بعض التباينات السياسية بدءاً من نائب رئيسها النائب جورج عدوان الذي بات على دورتين رئيساً للجنة الإدارة والعدل بمباركة ضمنية من رئيس المجلس إلى أمين سر هيئة مكتب المجلس آنذاك النائب أنطوان زهرا الذي عهد إليه الرئيس بري المتابعة والإشراف على ورشة إعادة ترميم المجلس بحلته الجديدة. وحتى في عز الجدل والخلاف الذي دار حول إنشاء المحكمة الخاصة باغتيال الحريري وانسحاب الوزراء الشيعة من الحكومة، سرعان ما كان يعود التنسيق والنقاش بين بري والقوات سواء تحت قبة البرلمان أو حتى في بعض جلسات مجلس الوزراء حول آلية التعيينات في وظائف الدولة أو سبل مكافحة الفساد والهدر وخصوصاً في حكومات عهد الرئيس ميشال عون، وهو ما كان يثير حفيظة التيار الوطني الحر ورئيسه جبران باسيل. وكان جعجع يحرص في أغلب تصريحاته الإعلامية على وصف الرئيس بري بـ«صديقنا العزيز» وكانت الاتصالات متبادلة بين عين التينة ومعراب في الأعياد المسيحية والإسلامية.

قبل ذلك، وفي فترة تفاهم معراب ودعم القوات ترشيح الجنرال ميشال عون للرئاسة حصل تباعد في الخيار الرئاسي بين معراب وعين التينة التي كانت تزكّي خيار رئيس «تيار المردة» سليمان فرنجية، وتخلل هذا التباعد انتقاد ملطّف من الرئيس بري لجعجع الذي كما قال «يجلس فوق ويتسلى بناء ليرد عليه رئيس القوات «صديقي الرئيس نبيه بري، معاذ الله أن أتسلى بكم. جل ما في الأمر أنني أتسلى معكم.»

لكن هذا التباعد في الخيار الرئاسي لم يُفسد في الود قضية، ففي فترة «كورونا» التي هددت العديد من المناطق اللبنانية وبينها بشري، حرصت «حركة أمل» على نشر شريط مصور تراكم للبلدة تحت عنوان «بشري عاصمة الأرز» وأرفقته بعبارات وجدانية عن تاريخ بشري مسقط جبران خليل جبران وملجأ الموارنة المضطهدين، ومؤكدة أن «بشري ستتجاوز أزمتها وستبقى حارسة وادي القديسين وستخرج من العزلة بشفاعة السيدة مريم العذراء».

ولكن رياح التناغم بين بري والقوات بدأت تنقلب بعد تفجير مرفأ بيروت وما رافق جلسات التحقيق وصولاً إلى حادثة الطيونة التي شهدت مواجهة مسلحة وتوتراً على الأرض واتهامات مباشرة من الثنائي الشيعي للقوات بالتقصير على المتظاهرين، وهو ما نفاه جعجع متحدثاً «عن خروج مجموعات مسلحة من الضاحية عن مسار التظاهرة إلى أحد أحياء عين الرمانة والبدء بتحطيم السيارات وهذا موثق في الفيديوهات».

بعد تلك الحادثة بدأت العلاقة تشهد برودة وما أسهم في تراكم البرودة أكثر هو الشغور الرئاسي ورفض القوات دعوة بري إلى الحوار واتهامه بإقفال المجلس النيابي وعدم الالتزام بالأصول الدستورية لانتخاب رئيس الجمهورية، إلى أن خرج بري في أول موقف علني ليرد على جعجع «قبلا كان يقول عني الصديق العزيز. لا أنا صديقه ولا عزيزه». وهنا أيضاً اكتفى جعجع بتعليق مقتضب على كلام بري قائلاً «لن أستطيع النوم الليلة».

بعد ذلك، عاد بري وجعجع ليتلاقيا على موقف داعم للتمديد لقائد الجيش العماد جوزف عون، وكسر نواب القوات مقاطعتهم الجلسات التشريعية ونزلوا إلى ساحة النجمة للتصويت على اقتراح التمديد نظراً للأوضاع الأمنية المقلقة وتفادياً لأي فراغ على مستوى قيادة الجيش كمؤسسة ضامنة للأمن والاستقرار بمعزل عن موقف بعض الكتل من قائد الجيش كمرشح للرئاسة.

أما اليوم، فقد تراكمت القضايا الخلافية أكثر بعد فتح حزب الله منفرداً جبهة الجنوب والمواقف الاعتراضية من قبل القوات على مصادرة قرار الحرب والسلم وتوريط لبنان في الحرب ودعوة جعجع إلى إعادة النظر بالتركيبة اللبنانية، ثم الخلاف على التمديد للمجالس البلدية والاختيارية واشكالية استثناء الجنوب من هذه الانتخابات بسبب المواجهات العسكرية. وهنا لفتت النبرة العالية من الرئيس بري تجاه جعجع، معتبراً أن «الخطورة في كلام جعجع هو عن الفيدرالية وهذا يعني أننا لا نزال في حالات حتماً».

وبغض النظر عما إذا كان رفع شعار «حالات حتماً» اتهاماً في محله أم لا في ضوء اعتبار مطار حالات في مرحلة الثمانينات ضرورة للمناطق الحرة في ظل خطر الانتقال إلى مطار بيروت، فإن المشاكسة الحالية بين «أمل» والقوات لا تخدم البلد. فالقوات بحاجة إلى بري كمرجعية نيابية قادرة على تدوير الزوايا وابتكار الحلول للأزمات في المراحل الدقيقة، والرئيس بري بحاجة إلى طرف مسيحي وازن يتميّز بصدقيته وبوضوح مواقفه وثوابته ولا يمارس الأعيب حتى لو لم يكن دائماً على وفاق سياسي معه.

يبقى أن المكوّنات اللبنانية وقياداتها عليها تفهم هواجس بكركي والمسيحيين الذين يشعرون بقلق متعاظم على الوجود والدور وبخوف من تغيير هوية لبنان ووجهه الحضاري في ظل الخطر الديموغرافي المتمثل بالنازحين السوريين وذلك في غياب رئيس للجمهورية ضامن للتوازن والشراكة والوحدة الوطنية. وهنا يبرز دور الرئيس بري القادر على طمأنة البطريركية المارونية والمسيحيين إلى المستقبل وإلى حضورهم المتوازن والفاعل في الدولة وعدم السماح بإعادة عقارب الساعة إلى الوراء والتعامل مع المسيحيين كما حصل في زمن الوصاية السورية، لأن التجارب أثبتت أنه لا يمكن لفريق الغلبة على فريق لبناني آخر مهما طال الزمن.

في الخيارات السياسية

حدث الأسبوع

تصعيد وراء تصعيد... ماذا تريد إسرائيل من غزة؟

غزة ـ «القدس العربي»: أشرف الهور

رغم دخول الحرب الدامية التي تشنها دولة الاحتلال على قطاع غزة شهرها السابع، إلا أن وتيرة الهجمات لم تهدأ بعد، ولا تزال تزداد يوما بعد يوم، رغم مرور هذا الوقت الذي شهد إسقاط كم القنابل الكبير فاق تأثير القنابل النووية، وأحدث ولا يزال خرابا كبيرا وغير مسبوق، ما يدلل على أن خطط جيش الاحتلال لا تذهب فقط باتجاه إرجاع القطاع لعشرات السنين للوراء، بل ستتعدى ذلك باتجاه منع الحياة في غزة، ودفع السكان الناجين إما للهجرة القسرية، أو القبول بواقع احتلال من نوع خاص وجديد.

ولم يكن انسحاب جيش الاحتلال الأخير من مدينة خانيونس بعد أربعة أشهر من شن أكبر وأطول هجوم بري منذ بدء الحرب، يستهدف منطقة معينة في القطاع، وسحب قوات كبيرة من جيش الاحتلال من القطاع، راجع كما جرى الاعتقاد لاقتراب التوصل إلى تهدئة، وانتقال جيش الاحتلال لتنفيذ «المرحلة الثالثة» من الحرب، التي تقوم على تنفيذ هجمات محددة وخاطفة تستهدف مراكز أو أهدافا محددة داخل قطاع غزة، بما في ذلك تنفيذ عمليات توغل نوعية، بل كان ضمن مخطط عسكري يقوم على أساس الانتقال من منطقة قتال وتوغل إلى منطقة أخرى.

فالتحليلات التي توقعت ذهاب إسرائيل لتنفيذ «المرحلة الثالثة» من الحرب، ارتبطت بجولة محادثات التهدئة الأخيرة التي جرت في القاهرة، برعاية مصرية وقطرية وأمريكية، بعد مزاعم تحدثت عن وجود «ضغط» أمريكي على إسرائيل لإنجاز الصفقة، إضافة إلى الضغط الذي أظهرته مؤخرا دول أوروبية وهيئات أممية، انتقدت سلوك إسرائيل العسكري، وقد تجاهل أصحاب التحليل، سياسة إسرائيل المعروفة في تعاملها مع الملف الفلسطيني، والقائمة على «صم الآذان» وانتهاج سياستها القائمة على التدمير الكبير في أي مكان تعمل فيه عسكريا، لتحميل الخصم خسائر كبيرة في الأرواح أولا ومن ثم المنشآت.

ولم يدم هذا الاستنتاج طويلا، حتى أثبتت إسرائيل العكس تماما، فلم يمر سوى أيام على الخروج من خانيونس، مخلفة دمارا كبيرا في المباني والمنشآت، حتى أن سكانها لم يتعرفوا على كثير من المواقع، وفي الأرواح، حيث لا تزال فرق الإنقاذ تنتشل جثث الضحايا إما من تحت الركام، أو من مقابر جماعية دفن الاحتلال فيها الجثث، حتى قام جيش الاحتلال بالعودة للعمل عسكريا ضد مناطق وسط القطاع، مهددا بتوسيع رقعة العمليات هناك، والتلويح باتجاه العمل عسكريا في مدينة رفح التي تعج بالنازحين والسكان، بعد قراره باستدعاء لوائي احتياط من قوات الجيش، وكذلك عودة جيش الاحتلال للعمل بريا ضد مناطق تقع شمال قطاع غزة، وتحديدا في بلدة بيت حانون، والطلب من السكان الذين عادوا للإقامة هناك في مراكز الإيواء النزوح القسري من جديد، وإصرار قوات الاحتلال على منع عودة نازحي الحرب من جنوب القطاع إلى شماله، بعد أن هاجمت مناطق نزوحهم، وأوقعت في صفوفهم ضحايا كثر، خلال الأيام الماضية.

بداية العمل ضد المنطقة الوسطى عسكريا من قبل جيش الاحتلال، تركز على قصف جوي عنيف على الأطراف الشمالية لمخيم النصيرات، الذي يعتبر من أكبر مخيمات القطاع من حيث المساحة، والثاني من حيث عدد السكان، وقد بات حاليا الأكبر من ناحية عدد السكان، بسبب نزوح غالبية سكان شمال القطاع إلى مناطق جنوب وادي غزة، ومكوث أعداد كبيرة في المخيم.

ولم يهدأ الاستهداف على تلك المنطقة التي يخشى سكانها من تمدد التوغل البري لجيش الاحتلال، الذي يتواجد في بلدات الزهراء والمغراقة على الأطراف، إلى داخل المخيم، بعد أن تعمد خلال الأيام الأخيرة تدمير عمارات سكنية، واستهداف مراكز الإيواء، وإيقاع عشرات الضحايا، والدفع بسكان المناطق الشمالية للنزوح القسري، وهي عمليات تشابه كثيرا ما كان عليه الوضع في مدينة غزة وشمالها في بدايات الحرب، ومن ثم في مدينة خانيونس، وكذلك في المنطقة الوسطى في شهر كانون الثاني/يناير الماضي، حيث كان التوغل البري يتمدد شيئا فشيئا.

هذا الهجوم الكبير المصحوب بغارات وقصف مدفعي، مخيم النصيرات، حتى قامت تلك القوات بالتوغل في مناطق شمال القطاع، مرتكبة مجازر دامية هناك، تخللها قصف منازل ومساجد ومحاصرة مراكز إيواء، واعتقال الرجال منها والاعتداء على النساء بالضرب، وإجبارهم على النزوح القسري مع أطفالهن من تلك المناطق.

ومن أجل تنفيذ المخطط بعيدا عن أي أخبار تفضح تلك المجازر، قطع جيش الاحتلال مع بداية الهجوم الاتصالات عن تلك المناطق.

وقبل ذلك قامت تلك القوات، بمنع نازحي الحرب الذين تركوا قسرا أماكن سكنهم في مدينة غزة والشمال من العودة إليها، بعد أن احتشد الآلاف منهم على الطريق الساحلي، وبعد أن ضاقوا ذرعا من الأوضاع التي يعيشونها مهجرين في مراكز إيواء أو في خيام بلاستكية، ويزيد على ذلك هجمات جيش الاحتلال التي لم تستثنهم من القتل.

في تلك العملية التي حاول فيها النازحون العودة، وجبالها.

ولم يكد يمضي أسبوع على الهجوم البري على شمال مخيم النصيرات، حتى قامت تلك القوات بالتوغل في مناطق شمال القطاع، مرتكبة مجازر دامية هناك، تخللها قصف منازل ومساجد ومحاصرة مراكز إيواء، واعتقال الرجال منها والاعتداء على النساء بالضرب، وإجبارهم على النزوح القسري مع أطفالهن من تلك المناطق.

ومن أجل تنفيذ المخطط بعيدا عن أي أخبار تفضح تلك المجازر، قطع جيش الاحتلال مع بداية الهجوم الاتصالات عن تلك المناطق.

وقبل ذلك قامت تلك القوات، بمنع نازحي الحرب الذين تركوا قسرا أماكن سكنهم في مدينة غزة والشمال من العودة إليها، بعد أن احتشد الآلاف منهم على الطريق الساحلي، وبعد أن ضاقوا ذرعا من الأوضاع التي يعيشونها مهجرين في مراكز إيواء أو في خيام بلاستكية، ويزيد على ذلك هجمات جيش الاحتلال التي لم تستثنهم من القتل.

في تلك العملية التي حاول فيها النازحون العودة، تعرضوا لإطلاق نار من الدبابات والطائرات الإسرائيلية وإلى قصف صاروخي، أوقع في صفوفهم عددا من الشهداء وعشرات المصابين.

وقد أثبتت حكومة الاحتلال التي حذرت السكان من العودة إلى شمال غزة، باعتبارها «منطقة حرب» رغم تدميرها على مدار الأشهر الماضية، أن هناك مخططات تتعدى زعمها إجبار السكان في بداية الأمر على النزوح القسري من أجل تنفيذ العملية البرية، حيث يظهر أن الخطط تذهب باتجاه خلق واقع جديد في شمال القطاع، يقوم على أساس منع الحياة هناك، وتخفيف أكثر لعدد السكان، ليسهل عليها بعد كم الدمار الذي الحقته في المباني والمنشآت، إما إعادة الاستيطان هناك، أو بناء مراكز ومواقع لقوات جيشها في تلك المناطق، تمكنها من الانطلاق بسرعة والعمل ضد أي حي أو منطقة فلسطينية هناك بسهولة.

وليس بعيدا عن مشهد العمليات العسكرية في وسط القطاع والشمال، كشف النقاب بعد استدعاء قوات الاحتلال الإضافية، وهي غالبا ما تستدعى للمشاركة في عمليات عسكرية، أن الهدف القادم من الحرب هو مدينة رفح أقصى جنوب القطاع، والتي تأوي نحو 1.5 مليون غزي غالبيتهم من نازحي الحرب.

وذكرت قناة «كان» العبرية أن إسرائيل ستقوم خلال الأسبوعين المقبلين، بنصب 10 آلاف خيمة لجوء خارج مدينة رفح جنوب قطاع غزة، تمهيدا للعملية البرية التي يريد جيش الاحتلال تنفيذها في المدينة، على أن يتم شراء 30 ألف خيمة إضافية واحضارها إلى المنطقة لاحقا.

وذكرت أن الجيش كان يعتزم إرسال بلاغات الأسبوع الماضي تدعو سكان مدينة رفح إلى إخلاء المنطقة، ولكن في اللحظة الأخيرة قرر نتنياهو تأجيل هذه الخطوة، وسبب القرار هو الرغبة في الحصول على الدعم الأمريكي الكامل فيما يتعلق بالهجوم الإيراني.

مخطط التهجير وسرقة الأرض

وتدلل الوقائع على الأرض، من خلال تصاعد وتيرة الحرب، أن إسرائيل لا تريد أن يشعر سكان غزة بأي استقرار أو هدوء، وأنها ذاهبة صوب تنفيذ سياسة خطيرة، تشمل حرق الأرض، وجعل غزة مكانا لا يصلح لأي حياة، وتغيير مفاهيم السكان وإجبارهم على الهجرة القسرية، وهو ما يحول مستقبلا دون قيام أي كيان فلسطيني مستقل، يربط غزة بالضفة الغربية، ويؤسس لدولة مستقلة، ويدفع باتجاه تنفيذ خطط أكبر للاستيطان والاستيلاء على الأراضي الفلسطينية سواء في قطاع غزة أو في الضفة الغربية.

وظهر هذا الأمر في موقف إسرائيل الأخير الذي قدم للوسطاء في جولة التهدئة الأخيرة، وهو موقف لا يقوم على وقف الحرب كاملة، حيث تريد إسرائيل هدوءا مرتبطا بمدة زمنية يتيح لها إبرام صفقة تبادل أسرى، تعيد من خلالها أسراها وجنودها الموجودين في قبضة المقاومة في غزة، ومن ثم تعود للحرب من جديد.

وكانت حركة حماس أشارت بوضوح إلى ذلك، في ردها على مقترحات التهدئة التي سلمتها للوسطاء، والذي جددت فيه موقفها القائم على التمسك بمطالبها المتمثلة في وقف دائم لإطلاق النار، وانسحاب جيش الاحتلال من كامل قطاع غزة، وعودة النازحين إلى مناطقهم وأماكن سكناهم، وتكثيف دخول الإغاثة والمساعدات والبدء بالإعمار.

وتلا ذلك أن حملت الحركة الإدارة الأمريكية المسؤولية عن عدم إنجاز الصفقة، لانحيازها للاحتلال، من خلال تراجعها عن مواقف سابقة أبدتها في مقترحات التهدئة، لتتماشى مقترحاتها الجديدة مع ما تريده إسرائيل.

وأكد ذلك مصدر قيادي في الحركة لقناة «الجزيرة» حيث قال إن التراجع الأمريكي المستمر في طروحاته انحيازا لإسرائيل «أدى لأزمة بمفاوضات صفقة التبادل» وأوضح المصدر القيادي أن حركته قدمت رؤية للصفقة مستندة لورقة الوسطاء بمن فيهم واشنطن بناء على ورقة باريس الثانية، وقال «مع رفض الاحتلال لهذه الورقة تراجعت واشنطن وقدمت ورقة تتبنى الموقف الإسرائيلي كاملا» وأشار المصدر إلى أن السلوك الأمريكي «لن يجلب صفقة، بل سيزيد من حالة التصعيد وسفك مزيد من الدماء».

هذا وعقب عضو المكتب السياسي لحماس عزت الرشق على هجمات الاحتلال الأخيرة بالقول «إن الجنون الصهيوني الموجه ضد المدنيين الفلسطينيين في قطاع غزة يعتبر انعكاسا لفشل الجيش الإسرائيلي أمام المقاومة».

وأكد هذا الجنون يعد «انعكاسا للفشل التام لجيش الاحتلال أمام المقاومة، ومن جهة أخرى انعكاسا للرعب الصهيوني من المتغيرات الأكبر» مشيرا إلى أن «معادلة الردع الصهيوني القائمة على التخويف والبلطجة وخلق الفوضى في منطقتنا دون حسيب ولا رقيب انتهت وصرنا أمام معادلة جديدة كليا».

هذا وقد بعث السفير الفلسطيني لدى الأمم المتحدة، الوزير رياض منصور، مؤخرا بثلاث رسائل متطابقة إلى كل من الأمين العام للأمم المتحدة، ورئيس مجلس الأمن لهذا الشهر (مالطا) ورئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة، بشأن مواصلة إسرائيل القوة القائمة بالاحتلال، هجومها الوحشي ضد السكان المدنيين الفلسطينيين وشن حربها غير المسبوقة في قطاع غزة، على الرغم من تبني مجلس الأمن للقرار 2728 الذي يطالب بوقف فوري لإطلاق النار قبل ثلاثة أسابيع.

وأشار فيها إلى استشهاد ما لا يقل عن 1400 فلسطيني وإصابة 1677 آخرين في غزة وحدها منذ تبني القرار 2728 ما رفع عدد الضحايا خلال الستة أشهر الماضية إلى 33797 شهيدا، من بينهم أكثر من 14.000 طفل، و76465 جريحا في غزة، و465 شهيدا و4800 جريح في الضفة الغربية، بما فيها القدس الشرقية، هذا الى جانب أن بعض التقديرات تشير إلى أن هناك ما بين 8000 إلى 10000 شخص مازالوا في عداد المفقودين، أما تحت الأنقاض، أو دفنتهم الدبابات والجرافات الإسرائيلية، أو اختطفوا من قبل إسرائيل.

وشدد على أن الوقت قد حان لاتخاذ تدابير ملموسة لمحاسبة إسرائيل، القوة القائمة بالاحتلال، على جرائمها، وممارسة الضغط لفرض امتثالها للقانون الدولي، بما في ذلك القانون الإنساني الدولي والقانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني والقانون الجنائي الدولي، وطالب بأن يتم ذلك بسرعة بهدف فرض الامتثال من أجل وقف حرب الإبادة الجماعية التي تشنها إسرائيل على الشعب الفلسطيني ووضع حد لاحتلالها الاستعماري غير القانوني ونظام الفصل العنصري، ودعا مجلس الأمن، إلى التحرك العاجل لضمان وقف فوري لإطلاق النار ووقف المزيد من الخسائر في الأرواح البشرية وتدهور الوضع على الأرض، وضمان التدفق الفوري ودون عوائق للمساعدات الإنسانية إلى جميع المدنيين في جميع أنحاء غزة، ووقف التطهير العرقي للفلسطينيين.

وكان وزير الجيش الإسرائيلي، يوآف غالانت، أعلن أنه أجرى مداولات حول مسألة الاستعداد لتنفيذ العمليات اللازمة، تمهيدًا للدخول البري إلى رفح، في إشارة إلى عمليات الإخلاء القسرية.

وتلاه قول رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، حين خاطب عددا من الجنود الذاهبين للعمل في غزة « إنكم تتجندون في وحدات قتالية رائعة لصد عدو قاس» وأضاف «أمامنا ثلاثة أهداف، القضاء على حماس، إعادة المخطوفين (الأسرى) والتأكد من أن غزة لم تعد تشكل تهديدا لإسرائيل».

كذلك أعلن قائد كتيبة بالجيش الإسرائيلي، قبل أيام، أنهم سيتوجهون إلى رفح جنوب قطاع غزة، بعد إنهاء توغلهم، في مخيم النصيرات وسط القطاع.

وجاء ذلك رغم الرفض الدولي الواسع لها، وهو أمر تبنيته الإدارة الأمريكية، بسبب وجود الكم الكبير من النازحين، والذين طلب منهم جيش الاحتلال سابقا التوجه إلى رفح باعتبارها مركز إيواء.

واشنطن والدولة الفلسطينية: حقّ النقض وعربدة التناقض

صبحي حديدي

استخدام واشنطن حقّ النقض (الفيتو)، لتعطيل مشروع قرار يطالب بمنح فلسطين العضوية الكاملة في الأمم المتحدة، ليس آخر حلقات المسلسل الأمريكي في هذا الصدد، فالحلقات المقبلات لن تُعدّ ولن تُحصى أغلب الظنّ. لعله، في المقابل، أحدث مظاهر التناقض الفاضح في السلوك الدبلوماسي للقوّة الكونية الأعظم، كلما اتصل الأمر بمصالح دولة الاحتلال الإسرائيلي.

والأصل في الأمر لا ينطوي على انحطاط صارخ في طرائق التلفيق وحدها، بل يشمل أيضاً ذلك البؤس الهابط في تدبّر اللغة والمفردات، والتحايل على معانيها الأبسط ودلالاتها الدنيا. فما من إدارة أمريكية تخلّت، صراحة ونهائياً، عن خرافة حلّ الدولتين كمخرج لـ«نزاع» فلسطيني ـ إسرائيلي لا يخمد يوماً حتى يندلع أشدّ اشتعالاً؛ ومع ذلك، ما من إدارة أمريكية إلا واستخدمت حقّ النقض لتعطيل أيّ قرار ينقل التمثيل الفلسطيني في الأمم المتحدة من مستوى المراقب إلى العضوية الكاملة. لا أحد، في أيّ إدارة، سوف يضع السلوك الأمريكي تحت توصيف التناقض، حتى حين يجنح هذا أو ذاك من كبار ممثلي الإدارة إلى منطق كسيح ركيك في تبرير استخدام الفيتو.

الطريف قد يتمثل في أنّ حلقات المسلسل لا تتكرر، على النحو الأعلى إثارة للملل، فحسب؛ بل يحدث أيضاً أن يتكئ التبرير الأمريكي الأحدث لاستخدام الفيتو على تناقض من قلب التناقض، أو في محيطه وأمامه وخلفه. وهكذا يقول وزير الخارجية الأمريكي إنّ «الوصول إلى دولة فلسطينية يتطلب تحقيق التهدئة في غزة أولاً»، ولكنه يتناسى أنّ واشنطن أفشلت مشاريع قرارات وقف إطلاق النار أو هدنة في حرب إبادة تتواصل منذ ستة أشهر ونيف.

ولا سبيل، أيضاً، إلى مساءلة هذا المنطق الأمريكي، المُعاق ذاتياً وإرادياً في الواقع، بصدد تناقض تكويني آخر، يسير هكذا: إذا كان البيت الأبيض يريد دولة فلسطينية عبر الوسائل الدبلوماسية فقط (وكأنّ الأمم المتحدة ساحة حرب وليست هيئة دبلوماسية)؛ فكيف ستتحقق معجزة مثل هذه إذا كان الطرف الآخر، الإسرائيلي، لا يرفض فكرة الدولة الفلسطينية من الأساس فقط، بل يأبى الدخول في أيّ مفاوضات مع أيّ فريق فلسطيني، حتى إذا اختُزل إلى مقاطعة/شبه بلدية في رام الله؟

طرافة أخرى ذات صلة بحكاية (لعلها أقرب إلى الكوميديا، منها إلى التراجيديا) العلاقة الأمريكية مع الهيئة الأممية ذاتها؛ فقبل الهندوبة الدائمة الحالية، ليندا غرينفيلد، كانت سوزان رايس قد رفعت بطاقة الـ «فيتو» مراراً وتكراراً في وجه أيّ إجماع دولي ضدّ أي من جرائم دولة الاحتلال. وقبل الاثنتين شهد العالم إصرار البيت الأبيض على تعيين جون ر. بولتون في المنصب ذاته، رغم أنّ جوهر موقف الرجل من المنظمة التي سيعمل فيها كان، ببساطة: الاحتقار التامّ! كوندوليزا رايس، وزيرة الخارجية آنذاك، دافعت عن بولتون بطريقة مبتكرة حقاً: إنه ليس أوّل كاره هيئة الأمم في لائحة مندوبي أمريكا الدائمين. وبالفعل، قبله كان هناك باتريك موينيهان، وجين كيركباتريك، و... كانت مادلين البرايت.

ففي مطلع عام 1993، أثناء تقديم شهادة تثبيتها في المنصب هذا، قالت البرايت إنها «لن تسمح بالتنازل عن السيادة الأمريكية للأمم المتحدة، في منطقة ذات مصالح حيوية للولايات المتحدة في أيّ مكان من العالم». ولعلّ ذلك «العالم» يتذكّر، ليس دون مزيج خاصّ من الاستطراف والاستياء، صراع الديكة الذي نشب بين البرايت والأمين العام الأسبق بطرس بطرس غالي، حول صلاحيات مجلس الأمن الدولي بالذات؛ حين كانت تتهكم: «أليس من المضحك أن يعتقد أنه قادر على استخدام الفيتو ضدّ سياسات الولايات المتحدة»؟

كان مضحكاً بالفعل، ودفع الرجل ثمنه سريعاً؛ والحال مضحك اليوم أيضاً، وهكذا سيبقى كلما توجّب أن ترتفع يد أمريكية لإعلان النقض و... وعربدة التناقض!

السنة الخامسة والثلاثون العدد 11322 الأحد 21 نيسان (أبريل) 2024 – 12 شوال 1445 هـ

في معهد دراسات الأمن القومي في جامعة تل أبيب

باحثان إسرائيليان يرسمان احتمالات توسيع الحرب بين إسرائيل وحزب الله

الناصرة ـ «القدس العربي»:
وديع عواودة

يرسم باحثان في معهد دراسات الأمن القومي التابع لجامعة تل أبيب سيناريو توسيع الحرب بين إسرائيل وحزب الله في ظل التوتر المتصاعد مع إيران واستمرار الحرب على غزة، ويقدمان بعض النصائح لحكومة الاحتلال. ويقول الباحثان الإسرائيليان يورام شفايتسر وأورنا مزراحي إن القتال الكثيف والمستمر على الحدود الشمالية منذ 8 تشرين الأول/أكتوبر، يحمل طابع «حرب الاستنزاف» لكنه يدور حولها سؤال متى وعما إذا كانت ستتحول إلى حرب شاملة (بما معناه، حرب يستعمل فيها حزب الله سلاحه كله، ويهدد الجبهة الداخلية الإسرائيلية). كما يقولان إن هذه الحرب، ورغم حجمها الحدود على صعيد المناطق الجغرافية والأدوات القتالية، فإنها تنطوي على دينامية تصعيد على صعيد الضربات وخطورتها، وأيضاً على صعيد الضرر المتراكم لدى الطرفين. ويعتقدان أن حزب الله معنيّ بالحفاظ على القتال المحدود، من أجل الحفاظ على بقاء الجيش الإسرائيلي على الحدود الشمالية في إطار ما يسميه الأمين العام للحزب، حسن نصرالله، «جبهة الإسناد» للفلسطينيين وإن حزب الله معنيّ بجعل إسرائيل تواجه صعوبات في تحقيق أهدافها في غزة، وبالدفع إلى إنهاء الحرب. ومع ذلك ينبهان أن حزب الله يستطيع تسجيل عدة إنجازات، يقوم نصر الله، عادةً، بالتفاخر بها في خطاباته: الحفاظ على وجود الجيش في الجبهة الشمالية في محاولة لاستنزافه؛ إلحاق ضرر بمواقع وقواعد الجيش؛ إسقاط عدد من المسيّرات الإسرائيلية؛ هدم بنى تحتية، ومبانٍ مدنية، وبيوت سكنية، وأيضاً مصالح زراعية على طول الحدود؛ وضحايا في الأرواح، حتى لو لم يكن عددهم كبيراً نسبياً (سقط حتى الآن 18 إسرائيلياً، بينهم 10 جنود). وطبقا لهما فإن إنجاز حزب الله الأكبر ينبع من القرار الإسرائيلي إخلاء 43 بلدة على طول الحدود (نحو 60 ألفاً) خلال الأيام الأولى من الحرب، وخلق منطقة واسعة خالية من السكان في الشمال، للمرة الأولى منذ 1948 .

استراتيجية الهجوم

في المقابل يوضح الباحثان الإسرائيليان أنه وبسبب التفوق الجوي والدفاع الفعال للجيش، وأيضاً استراتيجية المبادرة الهجومية التي تبنّاها، فإن إسرائيل استطاعت إلحاق الضرر بحزب الله والمجموعات المقاتلة الأخرى، وتسيطر أيضا على درجات التصعيد. ويقولان إنه حسب أقوال الجيش، خلال النصف عام الذي مضى، تم استهداف نحو 5000 هدف في لبنان وإحباط محاولات اختراق وإطلاق صواريخ من هناك فضلاً عن أن حزب الله تكبد خسائر كثيرة في الأرواح أيضاً. وحسب حزب الله، قُتل أكثر من 275 مقاتلاً، بينهم قياديون كبار و7 مسؤولين كبار من قوة الرضوان (بالإضافة إلى استهداف قيادات من «حماس») ويفترضان أن العدد أكبر من ذلك. كما يرجحان أن ناشطي قوة الرضوان انسحبوا من المناطق الحدودية، وتلقّوا ضربات أيضاً من سلاح الجو خلال القصف المستمر في سوريا (ناشطون، وأيضاً أدوات قتالية كانت في طريقها من إيران إلى الحزب). أمّا بالنسبة إلى إمكان قيام حزب الله بمبادرة لتوسيع القتال في إطار الخطة المقررة مسبقاً، أو استغلال الفرصة بسبب الحرب في غزة – بمرور الوقت، يتعزّز التقدير أن حزب الله غير معنيّ بذلك في هذه المرحلة. هذا ما يراه الباحثان وفي ذلك يضيفان: «فهم حزب الله يستند إلى عملياته العسكرية المحدودة، وأيضاً إلى تصريحات نصر الله العلنية وقيادات الحزب الأخرى. يبدو أن الأسباب التي تكبح حزب الله لم تتغير، وهي: موقف إيران، المعنية بالحفاظ على قوة التنظيم الأساسية لحاجاتها، والاكتفاء باستنزاف إسرائيل لتحقيق هزيمتها في غزة؛ التدخل الأمريكي إلى جانب إسرائيل والتخوف من أن تتحول الحرب إلى حرب إقليمية مع إيران، ونُجّر الولايات المتحدة إلى التدخل بصورة مباشرة؛ وتخوّف حزب الله من الضرر والخسائر المتوقعة جرّاء حرب شاملة على التنظيم نفسه والمجتمع الشيعي الموالي له في لبنان، وعلى الدولة اللبنانية عموما (الوضع في غزة هو نموذج حيّ من قدرة إسرائيل التدميرية وجاهزيتها لتفعيلها)؛ وأيضا عامل المفاجأة– تجهيز الجيش في الجبهة الشمالية وإخلاء البلدات الحدودية».

التفاعلات الداخلية

ويمضي الباحثان في قراءة التفاعلات: «هذا بالإضافة إلى أنه على الرغم من تنسيق الخطاب العلني بين سياسة حزب الله وحكومة تصريف الأعمال في لبنان، فإن الأصوات المعارضة لحزب الله، داخلياً، تتصاعد مع استمرار القتال، والأدّعاء الأساسي أن حزب الله يجرّ لبنان إلى حرب هو غير معنيّ بها، أو ليس جزءاً منها، وهو ما يهدد بتدمير الدولة «الفاشلة» التي تعاني منذ عدة أعوام جرّاء أزمة اقتصادية وفراغ سياسي (منذ أيار/مايو 2022 تحكم لبنان حكومة انتقالية، ومنذ تشرين الأول/أكتوبر، لم يُنتخب رئيس). طبقا لمزاعمها يشارك في هذه الانتقادات جهات كثيرة من الجمهور اللبناني، «حتى أنه تم إعلان إقامة حزب شيعي يعارض حزب الله» وأن أحد الأصوات البارزة في معارضة الحرب يصدر في الأساس عن الأحزاب المسيحية كلها، وضمنها الحزب المسيحي الأكبر «التيار الوطني الحر» الذي يتزعمه جبران باسيل الذي كان حتى وقت قصير في المعسكر الداعم لحزب الله. ويقولان إنه خلال حفل إفطار في رمضان يوم 5 نيسان/أبريل، قال باسيل «إن مَن يعتقد أنه يمكنه هزيمة إسرائيل فهو مخطئ». يشار أن هذا الكلام الصادر عن الباحثين الإسرائيليين مجتزأ، إذ ورد في الخطاب المذكور ما حرفيته: «واهمٌ مَن يظن أنه يمكننا مواجهة عدو كإسرائيل، إذا كنا مشتتين ودولتنا في الأرض ووحدتنا مهددة وشراكتنا على المحك ـ المحرر». كذلك يدعيان أن جميع اللبنانيين غير معنيين بالحرب، وطالب في مؤتمر صحافي يوم 10 نيسان/أبريل بشكل علني الجهات الدولية والإقليمية بالدفع بوقف إطلاق النار في الجنوب اللبناني من دون أي علاقة له بالحرب في غزة، على عكس الموقف المعلن لحزب الله.

جنوب لبنان

في مقالهما المشترك يدعيان أن هناك حالة من عدم الرضى، وخصوصاً في أوساط سكان القرى في الجنوب اللبناني: أكثر من 90 ألف نازح شمالاً. هؤلاء، شأنهم شأن السكان الذين بقوا في منازلهم، فهم يتكبدون خسائر في أملاكهم، ويواجهون صعوبات اقتصادية بسبب الحرب: البنى التحتية دُمّرت، والمدارس أغلقت أبوابها؛ والمناطق الزراعية الواسعة دُمّرت، والأحراش حُرقت؛ وأكثر من 50 مدنياً قُتلوا. ويتابعان في مزاعمهما: «هذا بالإضافة إلى أنه تم الكشف عن معارضة سكان القرية المسيحية رميش استعمال حزب الله القرية لضرب إسرائيل، ومحاولتهم منعه. وفي جلسة حكومة تصريف الأعمال اللبنانية (4 نيسان/أبريل) أعلن رئيس الحكومة نيته إعلان الجنوب اللبناني منطقة منكوبة زراعياً، وطلب مساعدة دولية. وبحسبه، إن المتضرر الأساسي هو القطاع الزراعي (75 في المئة من المزارعين فقدوا مصادر دخلهم) وقدّر وزير الزراعة أن الحديث يدور حول أضرار بمليارات الدولارات».

الحرب الواسعة

وينهيان أنه على الرغم من ذلك، فإنه لا يمكن إلغاء إمكان اندلاع حرب واسعة، قد تتوسع إلى حرب شاملة (تنضم إليها جهات «محور المقاومة» الإضافية) وتكون مدمرة، وتتسبب بسقوط العديد من الضحايا من جميع المشاركين فيها. ويعتبران أن هذا التطور، يمكن أن يحدث في سيناريوهَين مركزيَين: الأول، يستند إلى تقديرات أن ديناميةَ القتال الحالية تتصاعد طوال الوقت، ويمكن أن تؤدي إلى انجرار لا يمكن السيطرة عليه. وفي الأساس بسبب الربط الذي يقوم به حزب الله بين استمرار القتال على الحدود اللبنانية واستمراره في قطاع غزة (نصرالله ومتحدثون آخرون من التنظيم يؤكدون أن وقف القتال سيتحقق فقط بعد أن توقف إسرائيل الحرب في غزة)؛ وأيضاً في حال طلبت منه إيران مزيداً من التدخل، إذا توسّعت المواجهة المباشرة بينها وبين إسرائيل، بالإضافة إلى معلومات عن الغضب الإيراني من التدخل المحدود لحزب الله في الضربة التي نفّذتها ضد إسرائيل نيسان/أبريل، هذا يشير إلى أن التنظيم يحافظ على «استقلالية القرار» (حزب الله اكتفى بإطلاق النار على أهداف الدفاع الجوي في هضبة الجولان بالتزامن مع الضربة الإيرانية، وبرر ذلك بأنه ردّ على ضربات سابقة نفّذتها إسرائيل في الجنوب اللبناني) استناداً إلى الخط العام الذي طرحه حزب الله في خطاباته، وبحسبه، الإيرانيون قادرون على الرد على الضربات الإسرائيلية ضدهم. أمّا السيناريو الثاني، فإنه يتعلق بالقرار الإسرائيلي– خطوة استباقية واسعة تتخطى «قواعد اللعبة» بهدف تغيير الواقع في هذه الجبهة الأمنية، أو الادراك أنه بعد إنهاء القتال الأساسي في القطاع يمكن التفرغ لإزالة تهديد حزب الله في الشمال، أو انطلاقاً من الحاجة الملحّة إلى إعادة النازحين إلى منازلهم في هذه المنطقة.

خلاصات

ويخلص الباحثان الإسرائيليان للتحذير بالقول إنه ما دام القتال لا يزال مستمراً، ولم يتم التوصل إلى وقف إطلاق النار، فمن المهم لإسرائيل الاستمرار في ضرب قدرات حزب الله بقدر المستطاع، ومحاولة تغيير قواعد اللعبة التي يحاول فرضها. كما يقولان انه في الوقت نفسه، على إسرائيل إقامة استعداد من نفس اليوم، شاهدنا الدبابات تمر بجانبنا وتقطع الطريق للانتقال من الشرق للغرب، شاهدنا أيضا جيبا إسرائيليا يعتلي عليه القناصة كان أيضا يبعد أمتارا قليلة عنا، وكانوا ينادوا علينا برفع الهوية في اليد البيسري، وعند وقوفي في المكان بثوان شاهدت بركس حديد كان هناك معتقلون شباب معصبين الأيدي ومكبلي الرجلين، كان عددهم تقريبا من 10–15 شابا، وكنت أمشي وبجانبي أطفالي، كان أحدهم مصابا في رأسه وكنت خائفة عليهم كثيرا، وذلك لأن ابني المصاب كان يدوخ ولا يحتمل المشي على القدمين، وبعد دخول الحلالة الأولى قام الجندي بالمناداة على ابنتي الصغيرة (عمرها 5 سنوات) ناداها بالقول بالمقولة التالية: «يا أم الجاكيت الأحمر، أم الخمار 5 سنوات والثانية البالغة من العمر 19 سنة، وضعوا أسيل في الطابور الأول، وأطلقوا سراح ابنتي التي تبلغ من العمر 5 سنوات بسرعة وابقوا على أسيل في الأسر، وأنا فضلت أنتظر ابنتي، بقيت لغاية الساعة 4:30، وقبل الغروب جاء أحد الناخبين وقال لي أن بعد هذا الوقت يبدأ القناصة بإطلاق النار على المواطنين، حذرنا من اكمال طريقنا».

حرب الإبادة الجماعية

يختم تقرير الهيئة المستقلة أنه في ظل حرب الإبادة الجماعية التي تشنها إسرائيل على الفلسطينيين في قطاع غزة، ومن حقيقة أن إسرائيل لا تلتزم بالقوانين الدولية، وتحديدا مبادئ وأحكام القانون الدولي الإنساني الذي ينص على الزامية حماية المدنيين أثناء الأعمال القتالية، فإن هناك ضرورة بالضغط الجدي على إسرائيل وإجبارها على وقف الإبادة الجماعية للفلسطينيين في قطاع غزة، والضغط عليها من أجل توفير الحماية اللازمة للمدنيين بشكل عام، وللأشخاص الذين يختارون استخدام الممرات الآمنة بعدم التعرض لهم، ووقف استخدام هذه الممرات كمصائد لقتل المدنيين واعتقالهم.

وخلصت الورقة إلى أنه وبعد مرور ستة أشهر على العدوان الحربي فقد أصبح من الضرورة بمكان أن يقوم المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية بالبدء بإجراء تحقيق جنائي فوري في الجرائم التي ما زال جيش الاحتلال ينفذها في قطاع غزة.

يذكر أنه ومنذ بداية العدوان الحربي على غزة أصدر جيش الاحتلال أوامر إخلاء، غير قانونية، للسكان المدنيين يأمرهم فيها بالتوجه إلى مناطق معينة عبر ممرات محددة، حيث حول جيش الاحتلال قرابة 246 كيلومترا مربعا أي ما يعادل 67 في المئة من مساحة قطاع غزة، إلى مناطق خاضعة لأوامر الإخلاء، وكانت هذه المناطق موطنا لحوالي 1.78 مليون فلسطيني قبل 7 أكتوبر عام 2023.

وحسب السيناريوهات الاحتلالية فإنه من المتوقع أن يبدأ الجيش الإسرائيلي في المرحلة الأولى بإصدار بيانات لإجلاء السكان، وإنشاء أماكن يتزحون إليها، ويتم نصب خيام لإيواء الأشخاص الذين سيتم إجلاؤهم من رفح، ويتبع عملية الإجلاء اجتياح عسكري برّي يستمر لمدة أسبوعين أو ثلاثة أسابيع.

ووفقا للسيناريو الإسرائيلي الذي كشفت هيئة البث تفاصيله، فإن العملية المحتملة تشمل نقل النازحين بعيدا عن رفح، بحيث يذهب بعضهم إلى خان يونس، بينما ينتقل الآخر إلى ساحل البحر المتوسط (يبعد 5.5 ميل في اتجاه الغرب من رفح).

ووفق دراسة نشرها مركز السلام للدراسات الاستراتيجية في شباط/فبراير الماضي حملت عنوان «سيناريو عملية رفح وما بعدها من المنظور الإسرائيلي» فإن هناك 4 مقترحات لعملية الاجتياح، الأول يتضمن اجتياحا كاملا لمدينة رفح، والثاني يتضمن اجتياحا جزئيا للمناطق الشرقية من محافظة رفح. وأن يلجأ الاحتلال إلى القيام بعملية عسكرية في الحدود الشرقية وفي المناطق المحيطة بمعبري كرم أبو سالم، ورفح، وأحياء التنور والجنينة والنصر وخربة العدس، كما حدث في المناطق الشرقية من محافظات القطاع من أجل إقامة منطقة عازلة بحدود 1–3 كيلو مترات. أما المقترح الثالث فيهدف إلى استنزاف الألوية التابعة للقسام، من خلال الكشف عن مواقعها، وتسهيل استهدافها جوًا دون الحاجة إلى الانتشار الكبير داخل مناطق رفح السكنية ومخيمها. كما يتضمن تنفيذ عمليات خاصة مثل تحرير المحتجزين، بينما المقترح الرابع وفق الدراسة يشمل السيطرة على محور صلاح الدين.

وفي المقابل وضعت الدراسة 4 خطط لإجلاء سكان رفح، الأولى تتمثل في أن يسمح بعودة النازحين من مدينة رفح إلى محافظتي غزة وشمال غزة، من الأطفال والنساء عبر مراحل، ثم الرجال لاحقًا عبر الحواجز الإسرائيلية التي ستكون بين رفح وخان يونس وعلى أن يكون ذلك ضمن صفقة تبادل.

أما سيناريو الإجلاء الثاني فيكون على أساس تنفيذ خطة مزدوجة، قائمة على إجلاء السكان وتوفير ممرات إنسانية يحددها الجيش الإسرائيلي لخروج سكان رفح، ومن ضمنهم النازحون في مناطق شمال رفح وأراض فارغة بين رفح وخان يونس، حتى لا يؤثر ذلك على العملية العسكرية لجيش الاحتلال، والشق الثاني قائم على استخدام القوة العسكرية ضد كتائب القسام الأربع في رفح.

واستندت الدراسة إلى خطة ثالثة تتمثل في إنشاء معسكرات خيام واسعة في غزة كجزء من خطة إخلاء تمولها الولايات المتحدة قبل الغزو الوشيك لمدينة رفح، حيث تقترح إسرائيل إنشاء 15 معسكر خيام، يضم كل منها حوالي 25 ألف خيمة في الجزء الجنوبي الغربي من قطاع غزة. فيما الخطة الرابعة تشمل إخلاء ونقل السكان لمناطق جنوب مدينة رفح، وعدم نقلهم لمناطق الشمال والوسط، حيث أن وجودهم في هذه المناطق يقوض الخطط الخاصة بإخلاء شمال ووسط القطاع من سكانه، واستبدالها بمستوطنات.

Volume 35 - Issue 11322 Sunday 21 April 2024

مناورات ساسة تل أبيب وإصرار نتنياهو على تفجير الأوضاع يدفع قطر لمراجعة دورها الوسيطي

الدوحة ـ «القدس العربي»:
سليمان حاج إبراهيم

اتخذت السلطات القطرية قراراً جريئاً الأيام الأخيرة، بعد تحليل واف للمعطيات والوقائع التي خلقتها الحرب الإسرائيلية على غزة، والتي تسعى أطراف من تل أبيب لتوسيع مداها الجغرافي وتوريط الإقليم في أزمات تهدد السلم والأمن في العالم خدمة لمصالح سياسية ضيقة.

وراجعت الجهات العليا في قطر بعد تحليل دورها في جهود الوساطة ومخرجات الملف، معطيات الواقع، لتتأكد أنه لابد أن يكون هناك إعادة ترتيب لأوراق الملف الذي دخلته من منطلق داعم للفلسطينيين.

وجاء الإعلان الرسمي عن إعادة تقييم قطر دورها ومشاركتها في جهود الوساطة التي ترعاها مع أطراف إقليمية ودولية بين سلطات الاحتلال الإسرائيلي وحركة المقاومة الإسلامية حماس، بهدف التوصل لاتفاق ينهي الحرب الإسرائيلية على غزة، والصراع في فلسطين، قبيل توسع دائرة الأزمة الحالية في الشرق الأوسط. وتابع مراقبون تداعيات الحرب الإسرائيلية على غزة وتأثيراتها الإقليمية والدولية، وتوصلوا لقناعة أن بنيامين نتنياهو يصعد من لهجته ويرغب فعلياً في تفجير الأوضاع، ولا يسعى للتوصل لأي اتفاق، وهو ما جعل الموقف القطري يبدو واثقاً واتخذ بعد قراءة واسعة ومعمقة للمشهد.

وبعد أن انتصف عام الحرب الإسرائيلية على غزة، ويظهر وكأنه مستمر أكثر وربما لأشهر، وتعمقت أزمة سكان القطاع، اتضح للمسؤولين في العديد من العواصم، أن سلطات الاحتلال تقوم بمناورات، وتغذيها جهات وأطراف سياسية في تل أبيب وواشنطن، ما نحى بالأزمة أن تأخذ مساراً معقداً.

وأعلن الشيخ محمد بن عبد الرحمن آل ثاني رئيس الوزراء وزير الخارجية القطري أن الدوحة «ترفض إساءة استخدام وساطتها لخدمة أهداف سياسية ضيقة من قبل البعض» ليؤكد أن قطر «تعمل حاليا على إعادة تقييم هذه الوساطة بشكل كامل ودقيق».

وأكد العديد من المسؤولين في قطر، الأمير الشيخ تميم بن حمد آل ثاني، ورئيس الوزراء الشيخ محمد بن عبد الرحمن آل ثاني، والناطق الرسمي للوزارة ماجد الأنصاري، أن قطر وضعت نصب عينيها في الجهود الدبلوماسية التي تقوم بها دعم الفلسطينيين، بسبب شراسة الحرب التي يشهدها القطاع. كما تسعى قطر لإنهاء الحرب، وما يترتب عنها من تداعيات وتبعات، وأيضاً من ناحية إنسانية وهي المظلة التي تشمل الجميع، وهذا يعكس فلسفة الجهد الدبلوماسي القطري. وتشارك الدوحة بوصيدها التاريخي وإرثها في مجال دعم الوساطات. ومؤخراً أكد الشيخ محمد بن عبد الرحمن آل ثاني وهو يعلن مراجعة قطر دورها أن الدوحة كان دافعها الأساسي في رعاية جهود الوساطة إنسانياً أولاً، وثانياً دعماً لصمود أشقائهم الفلسطينيين، وثالثاً للمساهمة في أي دور ليحل السلام أينما كان، مثلما فعلت في العديد من المناسبات وفي مواقع مختلفة. وسعت قطر منذ البداية أن تسهم بشكل إيجابي في المفاوضات بين سلطات الاحتلال الإسرائيلي، وحركة المقاومة الإسلامية حماس، من خلال جسر الهوة بين الأطراف، وتقريب المسافات بين وجهات النظر. وعند قراءة في دوافع الموقف القطري الأخير، يظهر واضحاً تبعات تلك التحديات التي واجهتها الدولة الوسيطة من جهات وأطراف، تحديداً لدى سلطات الاحتلال، التي كانت تماطل وتراوغ في موضوع الوساطة. وبالرغم من خبرة الوسيط القطري في مناسبات مختلفة، إلا أنه في الدور الأخير، وجد نفسه في دوامة معقدة استمرت لأشهر.

وما أزعج الوسيط القطري في هذه الحالة لاتخاذ الموقف، هو تكاثر المزايدات التي تظهر من كل جانب، وتحوير المفاوضات عن مسارها.

مناورات سياسية
وحسابات ضيقة تعرقل المفاوضات

المتابع والمحلل لمسار المفاوضات التي رعتها قطر لأسابيع ممتدة، وانطلقت منذ أشهر خلت، يجد أن دوائر سياسية تحديداً في تل أبيب، تراهن على إطالة أمد الحرب التي تشنها سلطات الاحتلال، وهي تسعى جاهدة لتوسيع نطاقها. كما يتضح أيضاً أن تحرير المحتجزين لم يكن هدفاً تسعى إليه فعلياً مثلما تدعي تلك الأطراف، بل تساهم أحياناً في نسف الجهد، وهو ما يطرح إشكالات على الطرف الوسيط الذي يجد نفسه في دوامة لم يكن مخططاً له عبورها. ولهذا كانت الدوحة تجدد في مناسبات مختلفة، التأكيد أن دورها في الوساطة لا يتيح لها فرض أجندات أو شروط على الأطراف، ولا ممارسة ضغوط على جهة أو ابتزاز طرف ما مهما كان السبب.

وكانت التصريحات الإسرائيلية المشيرة صراحة إلى ضرورة ممارسة قطر لابتزاز بأشكال وصيغ مختلفة على حركة المقاومة الإسلامية حماس، مؤشراً على نظرة ساسة تل أبيب لموقف الدوحة.

وتوالت تصريحات سياسيين من تل أبيب وواشنطن، كانت تصب في اتجاه أن قطر مطالبة بممارسة ضغوط على حركة حماس، أو التهديد بطرد مكتبها في حال رفضوا الصفقات التي تخدم وجهة نظر نتنياهو ومجلس أركان حربه. وفي مناسبات مختلفة أعلن بعض السياسيين مواقف تعتبر تدخلاً صريحاً في القرار القطري، من قبيل أن الدوحة مطالبة بفرض ضغط على حماس مقابل استضافة المكتب. ويعتبر الأمر في العرف الدبلوماسي تدخلاً في شأن داخلي. وقبل اتخاذ قطر لموقفها الأخير وإعلان مراجعة دورها الوسيط، التزمت الصمت، وتحاشت الرد المباشر على التصريحات الاستفزازية.

وسألت «القدس العربي» في مناسبات مختلفة الدكتور ماجد الأنصاري الناطق الرسمي لوزارة الخارجية القطرية عن تصريحات وردت من مسؤولين وساسة في تل أبيب، لكن جوابه يكون أن قطر تركز جهودها على إنهاء الحرب ونجاح الوساطة التي تقوم بها بين الطرفين، ولا تريد الدخول في مهاترات سياسية.

وبالرغم من قرار الصمت وعدم الانجرار خلف الاستفزاز «المتعمد» وجدت قطر نفسها تسحب نحو دوامة لعبة سياسية، وهو ما دفعها للتوقف ومراجعة الدور الذي تقوم به وإعادة توضيح الأمور، وتعديل النصاب، بما يجعلها تحافظ على دورها الأساسي.

ازدواجية سياسية

عند إعلان الدوحة مراجعة موقفها من دور الوساطة، كانت ترى وضوح تلك الازدواجية التي يمارسها البعض، عند التصريحات التي تقال في الغرف المغلقة على حد تعبير رئيس الوزراء وزير الخارجية القطري الشيخ محمد بن عبد الرحمن آل ثاني، وما يعلن عنه للصحف، وفي المنابر السياسية.

واعتبرت قطر تلك التصريحات المزدوجة مناورات تعرقل جهود المصالحة والدور الذي تقوم به في رعاية المفاوضات بين الطرفين. وعلى فترة طويلة، رصدت السلطات القطرية العديد من التصريحات المسيئة، وتوسع دائرتها وارتفاع حدتها، وتجاوز السقف الذي يمكن التغاضي عنه. وتأكد للدوحة أن التصريحات المسيئة التي تنشر تزامناً وجهودها في مجال الوساطة، مصدرها أطراف رسمية وغير رسمية في تل أبيب، تستغل موضوع الوساطة سجلاً للمزايدة السياسية بين مختلف التيارات.

ولم تكن قطر راضية عن الزج باسمها من دون مبرر وسط المعارك الضارية بين الفرقاء، لتجاوز حالة الاحتقان نتيجة فشل سياسات بنيامين نتنياهو رئيس الوزراء الإسرائيلي، الذي يواجه المزيد من الضغوط. ولم تسم قطر جهة محددة حينما أطلق الشيخ محمد بن عبد الرحمن آل ثاني تصريحه الذي أعلن عن إعادة تقييم دور الدوحة في مجال الوساطة. لكن رصد التصريحات التي ظهرت ضد قطر في الفترة الأخيرة يحيلها جميعاً إلى تل أبيب، وبعض المصادر في مبنى الكابيتول في العاصمة الأمريكية واشنطن، التي تداول بعض ساساتها والنواب تصريحات تستخدم كلمات من نفس قاموس جهات إسرائيلية.

سيناريوهات احتياج رفح والممرات الإنسانية الاحتلالية «غير الآمنة»

غزة ـ «القدس العربي»: سعيد أبو معلا

تنقل إفادة المواطن الفلسطيني أ. ر من سكان مدينة بيت حانون شمال قطاع غزة، والذي نزح إلى مدينة رفح جنوبي القطاع، جانبا من واقع الهجمات الاحتلالية على السكان الغزيين من خلال الممرات الآمنة الإنسانية، يقول: «بسبب اشتداد القصف في المناطق المجاورة اضطررت للمغادرة إلى مدينة خان يونس وتوجهت جنوبا بناء على تعليمات جيش الاحتلال الإسرائيلي بأنه تم إنشاء ممر آمن لخروج المواطنين من شمال وادي غزة إلى جنوب الوادي عبر شارع صالح الدين، كانت الطريق صعبة حيث أنني من ذوي الإعاقة الحركية ولا أستطيع الحركة إلا على كرسي متحرك، وأيضا كانت أعداد النازحين كبيرة وسمعنا أصوات انفجارات وإطلاق نار، وشاهدت أمتعة متروكة وجثثا متحللة وأشلاء ممزقة أثناء مروري، كما شاهدت عبر المر الإنساني إعدام شخص من ذوي الإعاقة الحركية والسمعية من قبل جنود جيش الاحتلال الإسرائيلي حيث نادى الجنود عليه لكنه لم يسمعهم بسبب إعاقته السمعية فقاموا بإطلاق النار عليه ما أدى إلى مقتله. كما شاهدت اعتقال حوالي 20 شخصا عبر الممر حيث تم المناداة عليهم وإجبارهم على شلح ملابسهم وأجلاسهم على الأرض وتم اعتقالهم».

يكمل المواطن: «حينما وصلت مدينة خان يونس توجهت غربا بسبب وجود إعلانات ومناشير من جيش الاحتلال بأن مناطق غرب خان يونس آمنة، وذهبت لمنشأة تابعة للأونروا (صناعة خان يونس) وفي أحد الأيام ولا أذكره بالتحديد انفجأت بسماع أصوات إطلاق نار وقذائف مدفعية وصوت آليات جيش الاحتلال في محيط المكان الذي نزحت فيه، لقد تمت محاصرتنا لمدة 7 أيام تقريبا، كما تم قصف المقر وقتل حوالي 15 شخصا».

ورغم أن شهادة المواطن أ.ر تعكس تجربة بسيطة لرحلة معاناة الفلسطينيين الذين نزحوا باتجاه رفح، إلا أن أمامه رحلة ربما تكون أصعب مع احتمالات غزو الجيش الإسرائيلي لمدينة رفح التي نزح إليها مئات آلاف الفلسطينيين من شمال قطاع غزة.

ورغم التحذيرات الدولية من تبعات الاجتياح البري الذي تخطط إسرائيل لتنفيذه في رفح، وهو ما يعني مزيدا من التهجير لنحو مليون ونصف مليون فلسطيني، إلا أن سيناريوهات الاحتلال التي تتعامل معها وسائل الإعلام الغربية تبدو وكأنها محاولة «مثالية» للتعامل مع الفلسطينيين النازحين. وحسب السيناريو الذي تروجه وسائل إعلام إسرائيلية فإن المرحلة الأولى لعملية رفح تهدف إلى إخلاء السكان عبر إلقاء منشورات من الجو، متوقعة أن تستمر العملية قرابة أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع. وقالت الصحافة العبرية إن اجتياح رفح سيتم على مرحلتين، الأولى تشمل إصدار بيانات لإجلاء السكان، وإنشاء أماكن ينزحون إليها، على أن تبدأ بعدها العملية البرية.

وتناولت ورقة حقائق صادرة عن الهيئة المستقلة لحقوق الإنسان «ديوان المظالم» بعنوان (الممرات الإنسانية الآمنة، أداة لقتل الفلسطينيين) ماهية الممرات الآمنة وفق القانون الدولي، وكيفية تعامل حكومة إسرائيل الفوق القائمة بالاحتلال مع الممرات الآمنة، ومعاناة المواطنين خلال استخدامهم هذه الممرات.

واستندت الورقة إلى شهادات قدمها نازحون من بيت حانون والفالوجة وشمال قطاع غزة. نزحوا إلى مدينة رفح جنوب القطاع، حيث تعتبر شهادة المواطن أ. ر إحداها، وهي تدلل بعمق إلى حقيقة ما يتوقع أن يتعرض له النازحون فيما لو قرر الاحتلال القيام بمخططاته في رفح.

لقد عرفت الورقة الحقوقية الممر الإنساني الآمن بأنه «منطقة يتم إنشاؤها في خضم النزاعات المسلحة، وتتميز بأنها آمنة ومنزوعة السلاح، تهدف إلى ضمان خروج المدنيين من منطقة النزاع إلى مكان آمن، و/أو إيصال المساعدات الإنسانية إليهم، و/أو إجلاء ضحايا هذا النزاع».

لكن الهيئة المستقلة تؤكد أن حكومة الاحتلال تستخدم المعرات الإنسانية الآمنة من أجل تهجير السكان قسراً عن أماكن سكناهم الأصلية، ولا تحترم مبدأ توفير حماية لحياة المدنيين، واحترام كرامة الإنسان، حيث قام جيش الاحتلال، وفي أكثر من مناسبة، بقصف المدنيين الذين يستخدمون هذه الممرات بناء على تعليمات كان يصدرها الجيش حول أوامر الإخلاء والطرق الآمنة الواجب استخدامها من طرف السكان المدنيين في عمليات النزوح.

وحول معاناة المواطنين خلال استخدام الممرات الآمنة جاء في الورقة أنه «مع بداية العدوان الحربي على قطاع غزة، وصدور أوامر إخلاء السكان في شماله للتوجه نحو الوسط والجنوب، فتحت إسرائيل ممراً آمناً على طول محور المرور الرئيسي طريق صلاح الدين ومنه يصل النازحون عبر هذا الممر غير الآمن، إلى المفترق الرئيسي بجوار وادي غزة سيرا على الأقدام أو بعربات تجرها الدواب، لأن الجيش كان يجبر المدنيين بإيقاف المركبات على بعد حوالي (4–5 كم) من تلك النقطة، وغالبا ما يتعرض مستخدمو هذا الممر إلى التفتيش والاعتقال والتنكيل والضرب والمعاملة الحاطة من الكرامة الإنسانية بما فيها تجريدهم من ملابسهم أثناء التفتيش ولا يسمح لهم إلا بحمل المتعلقات الشخصية، وسجلت حالات كثيرة باستهداف النازحين بإطلاق النار عليهم.

وشددت الورقة أنه لا توجد أي ضمانة لدى المواطنين

السنة الخامسة والثلاثون العدد 11322 الأحد 21 نيسان (ابريل) 2024 – 12 شوال 1445 هـ

وزير الخارجية المصرية في زيارة ثانية لتركيا على واقع العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة

القاهرة – «القدس العربي»: تامر هنداوي

تكتسب الزيارة الثانية لوزير الخارجية المصري سامح شكري إلى تركيا أهمية خاصة لأنها تأتي في ظل العدوان الإسرائيلي المستمر على قطاع غزة.

وتوجه شكري إلى تركيا الجمعة، ومن المقرر أن يلتقي الرئيس التركي رجب طيب اردوغان، بالإضافة إلى عقد مباحثات ثنائية وموسعة مع نظيره التركي هاكان فيدان.

وقال المتحدث باسم الخارجية المصرية أحمد أبوزيد، إن الزيارة تأتي في إطار ما تتخذه مصر وتركيا من خطوات لتعزيز وتيرة التعاون والارتقاء بمستوى العلاقات الثنائية، ومتابعة تنفيذ ما تم الاتفاق عليه خلال لقاء قيادتي البلدين مؤخراً في القاهرة، بالإضافة إلى التنسيق والتشاور حول سبل مواجهة التحديات والأزمات على الساحتين الإقليمية والدولية.

وتعد هذه الزيارة الثانية التي يجريها شكري إلى تركيا منذ بدء الحديث عن تطبيع العلاقات بين البلدين.

وعقب زلزال 6 شباط/فبراير، قام شكري بأول زيارة لوزير خارجية مصري إلى أنقرة منذ 10 سنوات؛ تضامنا معها في محنة الزلزال.

واندلعت خلافات بين القاهرة وأنقرة بعد الإطاحة بالرئيس الإسلامي محمد مرسي عام 2013 بشأن قضايا مصرية وإقليمية، واتهمت مصر تركيا بدعم جماعة الإخوان المسلمين، وللجماعات الإرهابية والميليشيات في ليبيا.

وشهد العامان الماضيان تقاربا بين البلدين، وسعت تركيا لاستعادة العلاقات، وأجرى البلدان جولتي محادثات استكشافية بدأت 2011 برئاسة نائب وزير الخارجية التركي السفير سادات أونال، ونظيره المصري حمدي لوزا.

واتفق الجانبان مع نهاية الجولة الثانية التي عُقدت بأنقرة أيلول/سبتمبر الماضي، على مواصلة المشاورات، وأكدا رغبتهما في إحراز تقدم في قضايا محل نقاش، وتطبيع العلاقات.

وكان وزير الخارجية المصري جدد رفض مصر التام لأية عملية عسكرية في رفح الفلسطينية، نظراً لتداعياتها الإنسانية الخطيرة، وضرورة الوقف الفوري والدائم لإطلاق النار في قطاع غزة، وضمان نفاذ المساعدات الإنسانية بشكل كامل وآمن ودون أية عوائق. وأعرب عن أسفه لعجز مجلس الأمن عن إصدار قرار يُمكن دولة فلسطين من الحصول على العضوية الكاملة في الأمم المتحدة أمس.

جاء ذلك خلال إجراء شكري، مشاورات سياسية مع نالیدي باندور وزيرة العلاقات الدولية والتعاون في جمهورية جنوب أفريقيا في العاصمة بريتوريا، في إطار أعمال اللجنة المشتركة بين مصر وجنوب أفريقيا، حيث بحثا مُجمل العلاقات الثنائية، ومستجدات الملفات الإقليمية والدولية ذات الاهتمام المُشترك.

وأشاد شكري بموقف جنوب أفريقيا الثابت الداعم للقضية الفلسطينية وحل الدولتين كأساس للتسوية النهائية، والداعم للجهود المصرية فيما يتعلق بالدفع قدماً بإيجاد حل عادل ودائم لتلك القضية، مؤكداً على أهمية تكثيف التواصل مع الأطراف الدولية والإقليمية المعنية من أجل وقف التصعيد واحتواء الأزمة الراهنة، مع التحذير من الخطورة البالغة لهذه الأزمة التي يُمكن أن تخرج عن إطار السيطرة.

كما تطرقت المشاورات كذلك إلى مُستجدات الأزمة السودانية، حيث أعرب الجانبان عن التطلع لتكثيف العمل المشترك من أجل التوصل إلى حلول ناجزة للأزمة السودانية تفضي إلى وقف الصراع المسلح ونزيف الأرواح والدماء، والتأكيد على ضرورة الاحترام الكامل لسيادة السودان ووحدته وسلامة أراضيه، وأهمية الحفاظ على الدولة السودانية ومؤسساتها. كما استعرض الوزير شكري الجهود المصرية للتعامل مع التبعات الإنسانية للأزمة، مؤكداً على ضرورة تعامل المجتمع الدولي والأطراف المانحة مع الأمر على نحو جاد وشامل، والوفاء بتعهداتها التي قطعتها في مؤتمر المانحين في حزيران/يونيو 2023 وفي اجتماع باريس الدولي لدعم السودان ودول الجوار الذي عقد في 15 نيسان/ابريل الجاري.

وأعربت مصر عن أسفها البالغ إثر عجز مجلس الأمن، على خلفية استخدام الولايات المتحدة لحق النقض «الفيتو» عن إصدار قرار يُمكن دولة فلسطين من الحصول على العضوية الكاملة في الأمم المتحدة، وذلك في توقيت حرج تمر فيه القضية الفلسطينية بمفترق طرق يحتم على الدول تحمل مسؤوليتها التاريخية باتخاذ موقف داعم للحقوق الفلسطينية وخلق أفق سياسي حقيقي لإعادة إطلاق عملية السلام بهدف التسوية النهائية للقضية الفلسطينية على أساس حل الدولتين.

وأكدت مصر في بيان صادر عن وزارة خارجيتها أن الاعتراف بالدولة الفلسطينية وإقرار عضويتها الكاملة بالأمم المتحدة هو حق أصيل للشعب الفلسطيني الذي عانى من الاحتلال الإسرائيلي على مدار أكثر من 70 عاماً، وخطوة هامة على مسار تنفيذ أحكام القانون الدولي وقرارات الشرعية الدولية المتعارف عليها لإرساء حل الدولتين، والحفاظ على حقوق الشعب الفلسطيني المشروعة وغير القابلة للتصرف، مؤكدة حتمية تمكين الشعب الفلسطيني بصورة كاملة من ممارسة كافة حقوقه الشرعية.

كما اعتبرت مصر أن إعاقة إقرار حق الشعب الفلسطيني في الاعتراف بدولته لا يتماشى مع المسؤولية القانونية والتاريخية الملقاة على عاتق المجتمع الدولي تجاه إنهاء الاحتلال، والتوصل إلى حل نهائي وعادل للقضية الفلسطينية.

وطالبت الأطراف الدولية الداعمة للسلام بالاعتراف بالدولة الفلسطينية، والتعامل بالمسؤولية المطلوبة مع الظرف الراهن لإعادة الأمل في إحياء عملية السلام على أسس جادة تفضي إلى إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة القابلة للحياة والمتصلة الأراضي، على حدود عام 1967 وعاصمتها القدس الشرقية، تعيش في سلام جنباً إلى جنب مع إسرائيل.

وفيما يتعلق بملف المساعدات، أكد المتحدث الإقليمي باسم الخارجية الأمريكية، ساميول وربيرج، أن الولايات المتحدة الأمريكية تنسق مع مصر لإنفاذ المساعدات الإنسانية إلى قطاع غزة.

وقال وربيرج، في تصريحات متلفزة الجمعة لقناة «النيل» للأخبار، إن «واشنطن لم ولن تشارك مع إسرائيل في أي رد أو هجوم ضد إيران داخل الحدود الإيرانية، ولذلك ليس لدينا أي علاقة بهذه الضربة، وليس لدينا أي تعليق على هذا الخبر».

وتابع المتحدث الإقليمي باسم الخارجية الأمريكية «نسعى للتهدئة وعدم التصعيد بين إسرائيل وإيران وفي المنطقة، كما أن كافة الأطراف لا ترغب في التصعيد، كما رأينا في بيان مجموعة السبع» مضيفاً «الدعم الأمريكي لإسرائيل لا يتعارض مع سعينا للتهدئة بالمنطقة».

وكانت مصر توصلت لاتفاق مع الاحتلال الإسرائيلي برعاية أمريكية بعد أيام من بدء العدوان على قطاع غزة، يقضي بتوجه شاحنات المساعدات إلى معبر العوجة للخضوع للتفتيش من قبل قوات الاحتلال، قبل عودتها ودخول القطاع من معبر رفح.

إلى ذلك وصلت إلى ميناء العريش البحري، سفينتا مساعدات تركية وأخرى ليبية، لصالح الفلسطينيين بقطاع غزة.

وقال مصدر في ميناء العريش البحري إن سفينة المساعدات التركية قادمة من ميناء مرسين التركي، ومتجهة إلى قطاع غزة، مضيفا أن السفينة تحمل 3774 طنا من المواد الغذائية والدقيق والمستلزمات الطبية والغذائية، مقدمة من الهلال الأحمر التركي، مشيرا إلى أنه سبق استقبال 9 سفن تركية مساعدات.

وأضاف المصدر أن سفينة المساعدات الليبية، أطلقتها الحملة الدولية لإنقاذ غزة، وتحمل 1600 طن من المساعدات الإغاثية الأساسية والأدوية والخيام والأغطية والملابس المقدمة من منظمات المجتمع المدني في عدد من المدن الليبية.

معبر رفح

وفي السياق، دخلت 150 شاحنة مساعدات إلى غزة من معبري رفح وكرم أبو سالم يوم الجمعة الماضي.

ودخلت 40 شاحنة مساعدات إنسانية من معبر رفح منها 8 شاحنات وقود جرى تسليمها إلى وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين الأونروا والهلال الأحمر الفلسطيني في غزة.

كما دخلت 110 شاحنات عن طريق معبر كرم أبوسالم، منها 21 محملة بالدقيق، و7 محملة بمواد تنظيف، وشاحنتا أدوية، وشاحنات أخرى محملة بالمياه والسكر والمفروشات والأغطية.

وفيما يخص حركة الأشخاص، استقبل معبر رفح 250 مصريا من أصل فلسطيني و400 فلسطيني من أصحاب الإقامات، و40 مصابا و109 مرافق لهم، تم نقلهم إلى مستشفيات شمال سيناء لتلقي العلاج.

Volume 35 - Issue 11322 Sunday 21 April 2024

تهجير واعتقال وتعرية نساء

ماذا يجري في بيت حانون؟ مخطط جديد من الاحتلال

غزة – «القدس العربي»: بهاء طباسي

فجر يوم الثلاثاء 16 نيسان/أبريل الحالي، تقدمت آليات الاحتلال صوب بلدة بيت حانون، شمالي قطاع غزة، وقصفت مسجدًا ومنزلًا، وحاصرت مدرسة مهدية الشوا التي تأوي مئات النازحين بالإضافة إلى العديد من المنازل في محيط المدرسة، كما اعتقلت قوات الاحتلال عشرات المواطنين والأطفال واعتدت على النساء، وأطلقت النيران بشكل مباشر على المواطنين الفلسطينيين داخل مراكز الإيواء.

شهود عيان من بيت حانون أفادوا خلال أحاديث منفصلة لـ«القدس العربي» بأن قوات الاحتلال هاجمت بلدة بيت حانون من 4 اتجاهات، إذ تقدمت آليات الاحتلال في شارع البنات وشرق منطقة أبو صفية، وفرضت طوقًا أمنيًا في محيط مدرسة مهدية الشوا، كما شهدت منطقة شعشاعة قصفًا مدفعيًا عنيفًا، منذ الساعات الأولى من صباح الثلاثاء الماضي.

الصحافي الفلسطيني عماد زقوت أوضح أن العملية العسكرية التي ينفذها جيش الاحتلال في بيت حانون، شمالي غزة، منذ فجر الثلاثاء، تهدف لإفراغ المدينة الشمالية المتاخمة للحدود الإسرائيلية من المواطنين الغزاويين تمهيدًا لاستيطانها من قبل المستوطنين اليهود.

زقوت أكد خلال حديثه لـ«القدس العربي» أن تحركات جيش الاحتلال في بيت حانون تزامنت مع قصف مدفعي وجوي عنيف وحصار المدارس التي تؤوي آلاف النازحين خاصة مدرسة مهدية الشوا.

وأشار إلى أن قوات الاحتلال أنشأت مركز تحقيق ميداني خلف تلك المدرسة، وجردت الرجال والنساء من ملابسهم الخارجية، وأجبرت النساء على خلع الحجاب، كما اعتقلت عشرات الشباب والأطفال.

ونقلت «القدس العربي» شهادات عن نازحين ومواطنين فلسطينيين في مدرسة مهدية الشوا والمنازل المحيطة بها، أن قوات الاحتلال فرضت حصارا على حوالي 3 آلاف نازح في بلدة جباليا وشرق مدينة جباليا، وأطلقت النيران من الطائرات المسيرة «الكواد كابتر» بشكل مباشر تجاههم، وأوعزت للنازحين بالذهاب إلى منطقة جنوب وادي غزة.

تعرية النساء

علاء أبو داير أكد ما تردد عن إجبار قوات الاحتلال للنساء بخلع أحجبتهن، من أجل التحقق منهن وتفتيشهن عبر الحلابات الإلكترونية. مشيرًا خلال حديثه لـ«القدس العربي» إلى حملة اعتقالات واسعة بين صفوف النازحين لم تفرق بين كبير وصغير أو امرأة أو شيخ.

وأضاف أن جيش الاحتلال أخبر النازحين في مراكز الإيواء والمواطنين في المنازل بضرورة الخروج من بلدة بيت حانون؛ لأنه «سيتم قصف مراكز الإيواء في المدينة الشمالية وتدميرها بشكل كامل».

وبين أن بعض النازحين تمكنوا من الوصول إلى مخيم جباليا بعد إجبارهم على النزوح تحت الخطر الشديد في ظل القصف المدفعي العنيف وإطلاق النيران بشكل كثيف.

وأوضح أن الاحتلال الإسرائيلي تعمد قطع الاتصالات والإنترنت عن محيط مدرسة مهدية الشوا، بغرض التعتيم عما يحدث هناك من انتهاكات بحق النازحين.

اعتقالات بالجملة

«لقد نجونا بأعجوبة تحت زخات الرصاص والقصف المستمر» هذا ما أكده النازح خالد بدر، 45 عامًا، والذي تمكن من الخروج من مركز الإيواء في مدرسة مهدية الشوا واتجه ناحية مخيم جباليا، مؤكدًا رواية تعرية النساء ونزع أحجبتهن.

النازح الأربعيني أشار خلال حديثه لـ«القدس العربي» إلى أن قوات الاحتلال اعتقلت عشرات الأطفال والنساء وكبار السن، كما أجبرت آلاف النازحين من مدارس مهدية الشوا، ووكالة غوث وتشغيل اللاجئين «أونروا» وغازي الشوا بالإضافة إلى منطقة الزيتون على الخروج باتجاه منطقة في شمال القطاع تسمى «قليبو».

تفريغ بيت حانون

المحلل السياسي الفلسطيني تيسير عبد الله أوضح هدف الاحتلال من العودة إلى بلدة بيت حانون منذ فجر الثلاثاء بعد أكثر من ثلاثة أشهر على الخروج منها، وهو تفريغ البلدة الشمالية الملاصقة لحدود الاحتلال الإسرائيلي من سكانها، ودفعهم نحو معسكر جباليا؛ الجهة الوحيدة المسموح للغزاويين بالتوجه نحوها. واستبعد المحلل السياسي الفلسطيني أن «تكون تحركات الاحتلال في بيت حانون لدوافع أمنية بحتة» لأن «عمليات المقاومة توقفت في هذه المدينة منذ أشهر».

وأكد خلال حديثه لـ«القدس العربي» أن الهدف هو التفريغ الكامل للمدينة من السكان كتجربة احتلالية قد تتعدد إلى محافظات شمال قطاع غزة التالية.

وأوضح تيسير عبد الله أن بيت حانون هي أقصى نقطة في شمال قطاع غزة وملاصقة لحدود سيطرة جيش الاحتلال، الذي يسعى إلى تنفيذ خططه الاستيطانية في شمال القطاع، في الوقت الذي يلهي فيه الجميع بالتهديدات العسكرية حول الاقتحام البري لمدينة رفح وجنوب قطاع غزة.

من جهته ذكر المكتب الإعلامي الحكومي في قطاع غزة، أن الاحتلال الإسرائيلي يسعى لإفراغ مدينة بيت حانون والمنطقة الشرقية من جباليا شمال غزة، وذلك في جريمة جديدة ضد أبناء الشعب الفلسطيني.

وأوضح في بيان له، الثلاثاء، أن «جيش الاحتلال نفذ الليلة الماضية عملية عسكرية، وتقدمت جرافاته ودباباته تجاه مراكز الإيواء في بيت حانون، وحاصرت مدرسة مهدية الشوا التي يتواجد فيها مئات النازحين».

وأشار إلى أن «الاحتلال أنشأ مركز تحقيق ميداني خلف المدرسة، وطلب من الجميع الخروج تحت تهديد السلاح».

وتطرق البيان إلى أن «قوات الاحتلال أجبرت النساء على خلع الحجاب، وجردت الرجال من الملابس الخارجية، وأجبرت كل العائلات المتواجدة في بيت حانون على النزوح منها، وجرى اعتقال عدد من الشبان». وأضاف أن «الجريمة الجديدة تحت غطاء قصف مدفعي عنيف ومن الطيران الحربي وإطلاق نار كثيف». وأكمل: «لم يكتف الاحتلال بمئات المجازر التي ارتكبها في هذه المناطق وتدمير منازل الأهالي فيها بشكل تام وإجبار أهلها على النزوح منها لشهور طويلة، وها هو اليوم يعيد سيناريو تهجير سكانها منها قسرا بقوة السلاح، بعدما عادوا خلال الأسابيع الماضية وعملوا على إعادة الحياة فيما تبقى منها».

صمت دولي

وطالب المجتمع الدولي بوضع حد لهذه الجريمة الجديدة بملاحقة الاحتلال لأبناء شعب فلسطين وتهجيرهم من أماكن سكناهم، رغم أنهم يتواجدون فيها ويصرون على البقاء فيها في ظل ظروف غير إنسانية بعد هدم المنازل وانعدام البنى التحتية والخدمات.

وللشهر السابع على التوالي، تستمر حرب الإبادة الإسرائيلية على قطاع غزة، وسط صمت من المجتمع الدولي عن المجازر التي يرتكبها جيش الاحتلال في القطاع المحاصر، والتي أسفرت عن قتل عشرات الآلاف من الغزيين وهدم المنازل فوق رؤوس ساكنيها، وأجبرت أكثر من 1.5 مليون مواطن فلسطيني على النزوح إلى مناطق وسط وجنوب قطاع غزة.

صمت واشنطن بشأن انتهاكات بايدن للقانون الدولي والتشريعات الأمريكية يثير التساؤلات

واشنطن – «القدس العربي»: رائد صالحة

ليس هناك أي غموض بشأن حقيقة أن إدارة الرئيس الأمريكي جو بايدن تنتهك بشكل صارخ القانون الدولي بسبب دعمها للحرب الوحشية التي تشنها إسرائيل على غزة، ولكن صناع السياسة في واشنطن لا يهتمون مطلقاً بهذا الأمر. ولا أحد تقريباً يتحدث عن «حكم القانون» وكما هي الحال مع أشياء كثيرة في الخطاب السياسي الأمريكي، يستخدم الديمقراطيون «سيادة القانون» مثل «الاستبداد» و«الديمقراطية» باعتبارها أكثر من مجرد نقطة حوار حزبية لغرض ضيق يتمثل في تقويض الرئيس السابق دونالد ترامب وحملته الرئاسية.

وهنا يسأل الكاتب برانكو مارسيتش من مجلة «جاكوبن» ما الذي يفسر الصمت الشامل على انتهاك الرئيس جو بايدن الصارخ للقوانين الأمريكية طوال أشهر الحرب التي شنتها إسرائيل على غزة؟ ليجيب «بالأمس، ذكرت صحيفة ProPublica أن وزير الخارجية أنتوني بلينكن يتجاهل ببساطة توصيات مسؤوليه منذ أشهر بقطع المساعدات العسكرية عن وحدات الجيش والشرطة الإسرائيلية المتهمة بالتعذيب وغيره من الانتهاكات، كما يقتضي القانون الأمريكي. هذه الانتهاكات على وجه الخصوص – والتي تشمل تعذيب واغتصاب مرافق وعمليات قتل خارج نطاق القضاء – لا ترتبط حتى بسلسلة لا تنتهي من الفظائع التي شاهدها العالم وهي تحدث كل يوم على مدار الحملة في غزة؛ إنها تثير قلقًا بحتًا. الحوادث التي وقعت قبل بدء الحرب، وأغلبها في الضفة الغربية، التي لا تسيطر عليها حماس.

وليس هناك غموض هنا. قوانين ليهي التي تم إقرارها في عام 1997 والتي سميت على اسم عضو مجلس الشيوخ عن ولاية فيرمونت باتريك ليهي الذي خدم لفترة طويلة والذي كان المؤلف الرئيسي لها، تنص بشكل قاطع على أن أموال البنتاغون لا يجوز استخدامها لأي تدريب أو معدات أو أي مساعدة أخرى لوحدة قوات أمن أجنبية، إذا هناك معلومات موثوقة تفيد بأن هذه الوحدة ارتكبت انتهاكًا جسيمًا لحقوق الإنسان».

وفي حين أن إدارة بايدن تحايلت على هذا الأمر من خلال الزعم ببساطة أنها «لم تشهد أي انتهاكات» فإن مسؤولي وزارة الخارجية الذين تحدثوا إلى «ProPublica»بالإضافة إلى الوثائق الرسمية التي تم تقديمها إلى المنفذ، تظهر أن هذا كذب واضح: تم إبلاغ بلينكن بهذه الانتهاكات تحديدًا في كانون الأول/ديسمبر الماضي.

وقال مارسيتش: «لقد أصبح هذا الأمر مندمجاً بعمق في السياسة الأمريكية عبر الخطوط الحزبية ومن قبل السياسيين والصحافة على حد سواء، حيث إن حكم القانون لا ينطبق ببساطة على السياسة الخارجية».

واتهم ليهي نفسه، الذي تقاعد في عام 2023 إدارة حزبه بانتهاك القانون، بعد أن سُئل في وقت سابق من هذا العام عما إذا كان تدفق الأسلحة المستمر من بايدن إلى إسرائيل يتماشى مع تشريعاته. «لا. هل هذا موجز بما فيه الكفاية بالنسبة لك؟» فأجاب مضيفاً أن «عدد المدنيين الذين أصيبوا أو قتلوا بأسلحة مدفوعة الأجر من الولايات المتحدة» يشكل انتهاكاً واضحاً لأحكامه.

وعلى الرغم من سوء هذا الأمر، إلا أنه مجرد قانون واحد انتهكه بايدن بتسهيله غير المشروط للحرب الإسرائيلية.

وفي الشهر نفسه الذي تم فيه إبلاغ بلينكن بانتهاكات حقوق الإنسان من قبل إسرائيل، استخدم بايدن سلطة الطوارئ بموجب قانون مراقبة تصدير الأسلحة لتجاوز الكونغرس وبيع قذائف دبابات بقيمة تزيد عن 106 ملايين دولار. لكن هذا القانون ينص على وجه التحديد على أنه يمكن تقديم المساعدة العسكرية الأمريكية «فقط لأغراض الأمن الداخلي (بما في ذلك لأغراض مكافحة الإرهاب ومنع انتشار الأسلحة النووية) أو للدفاع المشروع عن النفس» أو للمشاركة في عمليات تحت مظلة الأمم المتحدة أو تلك المتسقة مع ميثاق الأمم المتحدة - الذي لا يصف أي منه ما تفعله إسرائيل في غزة.

وتشمل القوانين الأخرى القسم 620I من قانون المساعدة الخارجية (الذي «يحظر على الولايات المتحدة تقديم المساعدة الأمنية أو مبيعات الأسلحة إلى أي دولة» تقيد حكومتها المساعدات الإنسانية الأمريكية) وسياسة نقل الأسلحة التقليدية الخاصة بايدن اعتبارا من شباط/فبراير 2023 «لن يتم نقل الأسلحة» و«إذا كان من المرجح أن يتم استخدام الأسلحة التي سيتم نقلها في ارتكاب جرائم إبادة جماعية، وغيرها من انتهاكات حقوق الإنسان». والمعاهدات القانونية التي وقعتها الولايات المتحدة وصدقت عليها، ما يجعلها قانونًا أمريكيًا أيضًا.

اعتبارًا من الشهر الماضي، أصبح بايدن أيضًا ينتهك رسميًا قرار سلطاتي الحرب، الذي أقره الكونغرس الديمقراطي لكبح جماح الرؤساء المنشقين في المستقبل بعد أن قام ريتشارد نيكسون سرًا بتوسيع الحرب في فيتنام لتنفيذ حملة قصف ضخمة في كمبوديا. وبدأ بايدن من جانب واحد الحرب المستمرة منذ ثلاثة أشهر (ولا تزال مستمرة) ضد الحوثيين في اليمن بدون حتى ظل للمبرر القانوني الذي تم استخدامه تاريخياً لإعفاء الرؤساء من انتزاع هذا الامتياز من الكونغرس.

لقد كان من الناحية النظرية لا يزال ضمن القانون طالما أنه أبلغ الكونغرس بالحرب في غضون ثمان وأربعين ساعة من بدايتها (وهو ما فعله) وحصل على تفويض من الكونغرس بعد ستين يومًا (وهو ما لم يفعله). وقد وصفها جيمس سيبينز من مركز ستيمسون بأنها «أزمة دستورية كامنة».

لم يحظ أي من هذه الانتهاكات ولو بذرة من الاهتمام أو الإدانة الشديدة باعتبارها أكثر لوائح الاتهام الجنائية تافهة لدونالد ترامب (وينبغي عدم الخلط بينه وبين التهم الخطيرة للغاية) مثل تلك التي أحاطت بمدفوعاته القذرة لنجمة الأفلام الإباحية السابقة ستورمي دانيلز، والمحاكمة التي بدأت هذا الأسبوع. ولكن مهلا: بدء الحروب بشكل غير قانوني، وانتهاك المعاهدات، وكسر الحظر على تسهيل انتهاكات حقوق الإنسان – أمور صغيرة مثل هذه بالكاد تقارن في أهميتها بدفع مرشح رئاسي أموالا لعشيقته، على حد تعبير مارسيتش في مقال «جاكوبن».

وفي سياق متصل، التجاوزات لا تقتصر على بايدن بل تمتد إلى الكونغرس بشكل واسع، حيث يتداول مجلس النواب الأمريكي إجراءات من شأنها منع الإدارة الأمريكية من إنفاق الأموال لإعادة بناء قطاع غزة الذي دمرته الحرب الإسرائيلية الدموية على القطاع.

وزعم الجمهوريون وغالبيتهم من داعمي الاحتلال الإسرائيلي، أن الإجراء يأتي بسبب مخاوف متزايدة من أن هذه الأموال ستمكن حماس من إعادة إنشاء شبكة الأنفاق تحت القطاع.

وقدم الإجراء النائب بريان ماست (جمهوري من فلوريدا) عضو لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب، الخميس الماضي، كتعديل لمشروع قانون التمويل الإضافي الأجنبي الذي يجري حاليًا طريقه عبر الكونغرس.

ويتضمن مشروع قانون التمويل مساعدات طارئة لإسرائيل وأوكرانيا، وهو تشريع يجب أن يمرره رئيس مجلس النواب مايك جونسون (جمهوري من لويزيانا).

ويقول الإجراء إنه «لا يُسمح بتخصيص أي أموال فيدرالية أو إتاحتها بطريقة أخرى لبناء أو إعادة بناء قطاع غزة».

وتشير التقديرات الأمريكية إلى أن جهود إعادة إعمار غزة تبلغ تكلفتها حوالي 20 مليار دولار، وقد تعهدت إدارة بايدن بأن تكون مصدرًا رئيسيًا للدخل لهذه المشاريع.

> بايدن ينتهك رسميًا قرار سلطات الحرب، الذي أقره الكونغرس

السنة الخامسة والثلاثون العدد 11322 الأحد 21 نيسان (ابريل) 2024 – 12 شوال 1445 هـ

تداعيات رد إسرائيلي واسع النطاق أكبر من أن تتحملها

إبراهيم نوار

السؤال الذي يطرح نفسه بقوة بعد الاجتماعات التي عقدتها حكومة الحرب الإسرائيلية في أعقاب الهجوم الجوي الإيراني غير المسبوق، هو هل تعاني السياسة العسكرية الإسرائيلية من التخبط والتوازن بعد الهجوم، أم أنها تعكس عمدا تكتيكا من تكتيكات التمويه والتضليل الاستراتيجي، حتى لا يعرف الخصم تماما كيف سيتصرف الطرف الآخر؟ حكومة الحرب الإسرائيلية عقدت اجتماعات متواصلة منذ الهجوم، أحيانا اجتماعين في اليوم، لاتخاذ قرار بشأن طبيعة الرد. الصورة التي رسمها رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو بعد لقائه مع كل من وزير الخارجية البريطاني اللورد كاميرون، ووزيرة خارجية ألمانيا أنالينا بيربوك يوم الأربعاء الماضي ترسم ملامح الرد الإسرائيلي بوضوح: إسرائيل تتخذ القرار الذي يناسب مصالحها ولن تخضع لضغوط خارجية، ولن تقبل نصائح من أحد. في اليوم السابق كان وزير الخارجية الأمريكي أنطوني بلينكن قد التقى وفدا من قيادات المنظمات الصهيونية الأمريكية في مقر الوزارة في واشنطن وقال إن بلاده لن تملي على إسرائيل كيف يتعين عليها في الرد على الهجوم الإيراني، لكنها تقدم نصيحة للحكومة الإسرائيلية بأن أي رد غير محسوب على إيران ليس في مصلحة الولايات المتحدة وليس في مصلحة إسرائيل. على التوازي فإن وزير الدفاع الأمريكي لويد اوستن خاطب نظيره الإسرائيلي يؤاف غالانت هاتفيا مؤكدا الرسالة نفسها التي أعلنها بلينكن، لكنه في الوقت نفسه طلب من إسرائيل ضرورة التشاور مع الولايات المتحدة بخصوص الرد المحتمل لأن ذلك يرتبط بأمن وسلامة القوات الأمريكية في المنطقة.

ومع أن واشنطن أعلنت يوم الخميس حزمة ضخمة من العقوبات على إيران تستهدف البرنامج الصاروخي وبرنامج إنتاج الطائرات المسيرة، وكانت تهدف من ذلك إلى إقناع إسرائيل بوجود وسائل أخرى لإصابة القوة العسكرية الإيرانية، فإن رد الفعل الإسرائيلي تجاه فرض تلك العقوبات جاء باردا. هذا ربما يؤدي لترجيح خيار توجيه ضربة عسكرية مباشرة واسعة النطاق إلى إيران. لكن هذا الاستنتاج تنقصه الدقة نظرا للتعقيدات التي ينطوي عليها. فما هي هذه التعقيدات؟

صعوبات عسكرية

إذا عادت بنا الذاكرة إلى واقعة إسقاط طائرة التجسس الأمريكية عام 2019 لأنها اقتربت من المجال الجوي الإيراني فوق مضيق هرمز، فربما نعلم جزءا من الصعوبات العسكرية التي تواجه أي خيار لهجوم إسرائيلي جوي واسع النطاق على إيران. حسابات المكسب والخسارة في أي ضربة جوية انتقامية إسرائيلية موجهة ضد إيران لا تتوقف فقط على إمكان اختراق الدفاعات الجوية الإيرانية، ولكنها ترتبط أيضا بثلاثة عوامل أخرى جوهرية، الأول هو القدرة على إصابة أهداف استراتيجية والعودة بسلام بدون اصابات، والثاني هو إمكان استخدام قذائف تدمير الأهداف العميقة المخبأة في باطن الجبال، والثالث هو مدى توفر القوة الجوية الكافية بما فيها طائرات التزود بالوقود في الجو والكم الكافي من القذائف الفعالة. ومن المعروف أن إمداد إسرائيل بطائرات وقود إضافية، وقذائف الأعماق الثقيلة اللازمة لاختراق الجبال والوصول إلى المواقع النووية والصاروخية الحصينة كان وما يزال مصدر نزاع بين إسرائيل والولايات المتحدة. ورغم أن إسرائيل استطاعت تطوير إنتاج قذائف مضادة للأهداف العميقة، واستخدمتها في حرب غزة عام 2021 في ضرب أهداف داخل الأنفاق، إلا أن هذه القنابل ليست لها القدرة على اختراق أعماق كبيرة حيث تواجد مواقع تطوير التكنولوجيا النووية والوقود النووي المخصب في إيران، ولا على القوة التدميرية الكافية لإصابة الأهداف على هذه الأعماق. ومع أن الجنرال (احتياط) زفيكا هايموفيتش قائد الدفاع الجوي الإسرائيلي سابقا قال إن الطيران الإسرائيلي وطيران قوات الحلفاء سبق وأن تدرب كثيرا على اختراق الأجواء الإيرانية، ولن يواجه مشاكل كثيرة في ذلك، فإنه يتجاهل حقيقة أن الولايات المتحدة نفسها تعرضت لاختبار حاسم في حزيران/يونيو عام 2019 عندما قام الدفاع الجوي الإيراني بإسقاط طائرة تجسس متطورة من طراز RQ-4A غلوبال هوك، ولم تستطع الولايات المتحدة الرد على ذلك خشية التداعيات المحتملة. فهل تغامر إسرائيل باتخاذ موقف ضد إيران لم تجرؤ على اتخاذه الولايات المتحدة؟ وهل نسيت إسرائيل خلال أيام قليلة أنها دون مساعدة الولايات المتحدة والإمارات والسعودية والأردن في اعتراض وإسقاط عشرات الطائرات المسيرة والصواريخ لكانت الخسائر التي تعرضت لها قد بلغت أضعاف ما حدث فعلا؟

ويمكننا القول بأن اجتماعات حكومة الحرب الإسرائيلية في الأيام التالية للهجوم الإيراني حتى يوم الأربعاء الماضي، بعد أن اصطدمت بفساد التقديرات المسبقة عن طبيعة وقوة الرد الإيراني، الذي ظل محدودا بمقاييس القوة الإيرانية باعتراف الولايات المتحدة، فإنها اضطرت إلى مراجعة خطط كانت معدة مسبقا للرد على إيران، لأسباب عسكرية وسياسية. ومن ثم فإن الرواية التي شاعت منذ يوم الخميس الماضي عن أن نتنياهو قرر تأجيل الهجوم على إيران مقابل موافقة الولايات المتحدة على اجتياح رفح بريا هي رواية كاذبة، لا أساس لها، وأن السبب الحقيقي لتخبط القرار الإسرائيلي بشأن الرد على إيران يعود إلى مراجعة تجري حاليا لخطط سابقة كانت قد أعدت في الشهر الماضي، بعد أن ثبت خطأ التقديرات التي بنيت عليها.

أشرت في السطور السابقة إلى أن مراجعة الخطة يرتبط أيضا بأسباب سياسية، وهذا يعود إلى التعقيدات السياسية التي تواجهها إسرائيل مع الرأي العام العالمي والأمريكي ومن داخل الدول الحليفة لها في الشرق الاوسط، خشية خروج تداعيات المواجهة مع إيران عن نطاق السيطرة، الأمر الذي يمكن أن يؤدي إلى صدمة نفطية خطيرة تقصم ظهر الاقتصاد العالمي وتوقف ضخ النفط من الشرق الأوسط ربما لأشهر وليس لأسابيع.

خيار اجتياح رفح

في حال تعليق الرد الإسرائيلي على إيران، حتى إذا كان ذلك لعدة أيام، فإن مصير نتنياهو السياسي وحكومة اليمين الديني الصهيوني المتطرف هو إلى زوال، ذلك أن سكوت المدافع سيخلق فراغا كبيرا في ساحة السياسة الإسرائيلية لن تلبث ان تحتله فورا حركات المعارضة المناوئة للحكومة، من جانب أهالي المحتجزين الذين تخلى عنهم نتنياهو، وقوى التيار الليبرالي المعارضة للمراجعات القضائية التي تهدم استقلال القضاء، وزيادة الضغوط القضائية على نتنياهو نفسه في شأن محاكمته في القضايا المتهم فيها بالرشوة والفساد. ولن يسمح نتنياهو بظهور هذا الفراغ في ساحة السياسة الإسرائيلية لأنه يعرف أن فيه نهايته السياسية. ويأمل نتنياهو في أن يمنحه استمرار الحرب رخصة حياة سياسية ممتدة. وليس أمامه الآن، حتى يستعيد توازنه بعد الهجوم الإيراني إلا أن يعمل بكافة الطرق على إعادة تركيز الجهود العسكري على كل من المقاومة الفلسطينية في غزة، وتحدي حزب الله في لبنان. لكنه في كل من الجبهتين يواجه معضلة كبيرة. في شمال إسرائيل لقنه حزب الله درسا مريرا في عملية عرب العرامشة الأخيرة، وأوقع بالقوات الإسرائيلية خسارة بشرية وعسكرية ثقيلة، تمثل في جوهرها مذاقا لما يمكن أن يأتي بعد في مواجهة واسعة. أما في رفح فإن الأمر يبدو أكثر تعقيدا مما هو على السطح، فبعد الهجوم الإيراني، أعلنت إسرائيل في اليوم التالي أنها قررت تأجيل الهجوم البري على رفح، حتى تتمكن من التركيز على الجبهة الإيرانية، وبعد أقل من أسبوع على هذا الإعلان، باسم مجلس الأمن القومي الأمريكي أكد أن إسرائيل كانت قد تعهدت بألا تمضي قدما في خطتها لاقتحام رفح إلا بعد عقد لقاء حضوري مع المسؤولين الأمريكيين لمناقشة الأمر، بعد أن فشل اللقاء الذي تم في الأسبوع الأول من الشهر الحالي، عبر دائرة فيديو مغلقة، في التوصل إلى اتفاق بشأن شروط العملية البرية الإسرائيلية في رفح. كما علق كبيري على انسحاب القوات الإسرائيلية من خان يونس بأنه لا توجد أي دلائل على إعادة توجيه هذه القوات إلى رفح للمشاركة في هجوم بري.

وعاد نتنياهو للتأكيد مرة بعد المرة بأن اقتحام رفح بريا والسيطرة عليها هو الطريق الوحيد للقضاء على حماس في قطاع غزة بأكمله، وأنه بدون دخول رفح تستمر إسرائيل مكشوفة لهجمات المقاومة الفلسطينية. كذلك فإن مائير ميلار المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية الأمريكية كان قد علق في 9 من الشهر الجاري على تصريحات نتنياهو بشأن تحديد موعد لاقتحام رفح قائلا إن الإدارة الأمريكية لا تعلم شيئا عن ذلك، ولم يتم إبلاغها به من جانب إسرائيل، وأنها تعارض أي عملية برية واسعة النطاق في رفح بدون خطة واضحة وعملية قابلة للتنفيذ لتقليل الخسائر بين السكان المدنيين. مساء الخميس الماضي جرت جلسة مشاورات عن بعد عبر دائرة فيديو مغلقة بين وفدين أمنيين، إسرائيلي بقيادة رون درمر وزير الشؤون الاستراتيجية وتساحي هنغبي مستشار الأمن القومي، وأمريكي بقيادة جيك سوليفان مستشار الأمن القومي، لمناقشة الوضع بعد الهجوم الإيراني على إسرائيل والجهود الجماعية المطلوبة لتعزيز أمن إسرائيل وتوسيع نطاق التعاون المشترك لزيادة قدراتها العسكرية. كما ناقش الجانبان الوضع في غزة، وأعاد الجانب الأمريكي التعبير عن قلقه من الإجراءات إسرائيلية تستوفي الشروط المتفق عليها من الطرفين بخصوص ضمان تقليل حجم الخسائر بين المدنيين. وحتى أيام قليلة مضت فإن الجنرال جون كيربي المتحدث الرسمي باسم البنتاجون كان يقول إنها قررت شن العملية العسكرية البرية ضد رفح بعد أن وافقت الولايات المتحدة على خطتها. إسرائيل في الحالتين كانت تكذب وما تزال. الحقيقة أن قواتها في غزة كلها تواجه مأزقا شديدا بسبب المقاومة المنتشرة من شمال غزة إلى جنوبها. القوات الإسرائيلية ما تزال تشن عمليات ضد المقاومة في مناطق مثل بيت حانون والشجاعية والنصيرات وجباليا ودير البلح ورفح نفسها، بعد أن كانت قد أعلنت أنها قضت على المقاومة. هي فشلت حتى الآن في تحقيق ذلك. وبعد المدد المعنوي الذي حصلت عليه المقاومة من الهجوم الإيراني على إسرائيل فإن عمليات المقاومة ستزيد، وستواجه القوات الإسرائيلية موقفا أشد تعقيدا. هذا الاستنتاج ليس مجرد افتراض نظري، ذلك أن الجيش الإسرائيلي بعد أن كان قد سحب قواته من خان يونس في 8 من الشهر الحالي، فإنه يستدعي الآن قوات جديدة إضافية للتصدي للمقاومة في شمال غزة وفي مناطق الوسط والجنوب، شملت لواء ناحال، اللواء 401 ووحدات تابعة للفرقة 162. كما تضم القوات الإسرائيلية في غزة الآلوية كارميلي لقوات الاحتياط، واللواء 679 المدرع. وتتضمن مهام هذه القوات احتلال محور نيتساريم الذي يفصل بين شمال قطاع غزة وجنوبه، وتأمين منطقة الميناء البحري المؤقت الذي تقيمه الولايات المتحدة على شاطئ غزة. وكانت القيادة العسكرية الإسرائيلية قد أمرت برفع حالة التأهب لهذه القوات مساء الأحد 14 من الشهر الحالي، استعدادا لاقتحام رفح بريا، مع تقديم إسناد جوي كثيف لها بواسطة الطائرات القاذفة والطائرات المسيرة. لكنها تراجعت عن ذلك، ثم هي تعلن الآن أنها بصدد إحياء خطة الهجوم البري مرة أخرى.

لم يصدر عن الولايات المتحدة ما يشير إلى قبولها خطة قبل عقود، أي الوقوف ضد دولة إسلامية ودعم دولة ظلت العدو المركزي للنظام العربي.

وكما أشار موقع «ذي انترسبت» (2024/4/18) فقد حاولت الدول التي شاركت في الدفاع عن إسرائيل إخفاء دورها، مع أن الصحافة الإسرائيلية لم تترك لها أي مجال للتخفي. وكان التعاون جزءا من الأحلاف العسكرية والأمنية والقواعد الأمريكية المنتشرة في المنطقة من أجل حماية إسرائيل وإن قدمتها أمريكا كوسيلة لمواجهة إيران وخطرها على المنطقة. وجاء في تقرير الموقع أن الشركاء السريين يبذلون الآن قصارى جهدهم لإنكار أدوارهم، في حين يقومون في الوقت نفسه بتسليم رسالة خفية إلى إسرائيل (والولايات المتحدة) مفادها أنهم لن يكونوا متعاونين إلى هذا الحد في حال قيام إسرائيل بالتصعيد أكثر. وكان الأردن الذي شاركت طائراته أف–16 الأمريكية الصنع غامضا في تحديد الدور أو الكشف عن الطائرات التي أسقطها. فيما تعاونت دول مثل السعودية والإمارات في المجال الاستخباراتي وتمرير معلومات إلى الولايات المتحدة عن الخطط الأمريكية.

واستبعد ستيفن كوك من مجلس العلاقات الخارجية الأمريكي في مقال نشرته مجلة «فورين بوليسي» (2024/4/18) أن تكون المشاركة العربية بداية «شرق أوسط جديد» فهذا التعاون كان دافعه المصلحة للأنظمة العربية التي تفتقد الشرعية بين سكانها، وخاصة في ظل موقفها من الوضع في غزة وقمع الفلسطينيين. ورأى أن التعاون الذي تم تحت رعاية القيادة المركزية الأمريكية في الشرق الأوسط، كان محاولة من إدارة بايدن إظهار أنه وبعد سنوات من الابتعاد عن التورط في الشرق الأوسط، يمكن أن تكون أمريكا مصدرا للأمن لإسرائيل ولحلفائها العرب. وأضاف أن الحملة الإسرائيلية القاسية في غزة وضعت الكثير من الضغوط على العلاقات العربية–الإسرائيلية. ومن هنا كان الموقف العربي من المشاركة تحت مظلة القيادة المركزية والتأكيد انه للدفاع عن النفس كما قال العاهل الأردني، عبد الله الثاني. ونقل عن مراقب للشرق الأوسط أن تعامل الدول العربية يعتمد في النهاية مع العمل العسكري وشرعيته، فمقارنة بتعاونها ضد إيران لم تنضم ولا أي دولة عربية– باستثناء البحرين– للتحالف البحري الذي قادته أمريكا ضد الحوثيين في اليمن. ومن هنا تم تصوير ضرب المسيرات والصواريخ الإيرانية بأنه محاولة للدفاع عن السيادة ومنع الحرب الإقليمية. ويشير كوك أن محاولة الأنظمة العربية وخاصة النظام الأردني الحفاظ على علاقات مع إسرائيل، دافعها الأساسي هو الحفاظ على العلاقات مع الولايات المتحدة التي تعتبر المانح الأكبر له وخاصة في المجال العسكري. كما أن الولايات المتحدة فرضت بوضعها إسرائيل ضمن مسؤوليات القيادة المركزية في 2021 معادلة جديدة على الدول العربية وهي إجراء حوار مع إسرائيل. وحتى مصر التي لم تلعب دورا مهما في رد الهجوم الإيراني ضد إسرائيل، حاولت التأكد من الحفاظ على حوارها الأمني والقوي مع إسرائيل رغم الأزمات المتكررة في العلاقات وبسبب حرب غزة.

ويرى كوك أن التعاون الأمني الذي حدث ضد إيران أظهر قدرة القيادة الأمريكية، فبعد عقود من الاستثمار في الشرق الأوسط، بدون نتائج، كان تعاون 13 نيسان/أبريل دليلا على قدرة أمريكا تحقيق الفرق لو أرادت التحرك. لكن النقاد سيقولون إن هذه القيادة كانت مدمرة في غزة لأنها واصلت منح الجيش الإسرائيلي السلاح الفتاك لقتل الأبرياء والعزل وتدمير كل مظاهر الحياة هناك، وهي نقطة قوية، لكن كوك يقدم وجهة نظر مضادة وإن كان النقاد يريدون حربا شاملة بدلا من هذا.

أبعدوا الملف عني

وفي الوقت الذي أظهرت فيه واشنطن قيادة لحماية أمن إسرائيل لم تظهر نفس القيادة لحماية الفلسطينيين ولا في التعامل مع إيران. ففي تقرير لمجلة «بوليتيكو» (2024/4/17) سألت فيه معدة التقرير إن كان لدى بايدن استراتيجية واضحة تجاه إيران، فقوبلت بالضحك، وقال مسؤول أن الجواب «لا» هناك أساليب ولكن الرئيس يفضل أن يكون الملف بعيدا عنه أو حتى نسيانه. ومن هنا فعندما تكون «القيادة الأمريكية» انتقائية، فلا أحد يصدقها. وبدا هذا واضحا في موقفها من طلب فلسطين للعضوية الكاملة في الأمم المتحدة، بدلا من وضع مراقب. فبعد تصويت 12 دولة في مجلس الأمن، صوتت أمريكا ضد القرار وكان هو لا غيره، روبرت وود، نائب السفيرة الغائبة عن الجلسة، مع أنه لم يرفع اصبعه بل أحد أعضاء البعثة.

صيف ساخن

لكل هذا لا يزال بايدن يواجه غضبا من قواعده الانتخابية، واستمرار الحرب في غزة وزيادة الجماعات المؤيدة لإسرائيل حملتها ضد مؤيدي إسرائيل تحمل نذر شؤم له والذي وإن قلل الفجوة بينه ومنافسه دونالد ترامب إلا أن هناك مخاوف من خسارته قواعد دعمته في عام 2020. وأشارت صحيفة «واشنطن بوست» (2024/4/16) في تقرير إن المظاهرات المؤيدة للفلسطينيين بداية الأسبوع التي تسببت باختناقات لحركة المرور في المدن الأمريكية يمكن أن تنذر بصيف متقلب من الاحتجاجات، ما يخلق تحديا للرئيس بايدن. ويشير المحللون إلى أن الحركة المؤيدة للفلسطينيين أصبحت الآن عبارة عن شبكة متراصة الأطراف من المجموعات، التي لدى العديد منها وجهات نظر مختلفة حول التكتيكات المقبولة أو الفعالة. تتمتع العديد من الجماعات بنية قيادية منتشرة – أو لا يوجد قائد على الإطلاق – وهذا يمكن أن يجعل من الصعب بشكل خاص التنبؤ بالخطوات التالية للحركة. ومن هنا زادت دعوات قمع المتظاهرين وإن بشكل متطرف، كما السناتور عن تكساس حيث دعا السناتور الجمهوري عن أركنساس، توم كوتن المواطنين الأمريكيين لأخذ القانون بأيديهم ومنع المتظاهرين المؤيدين لفلسطين الذين يحاولون إجبار الرئيس جو بايدن على تغييرسياسته من الحرب الدائرة في غزة.

محاكم التفتيش

ولعل أقصى صورة عن محاكم التفتيش ما أورده موقع «ميدل إيست آي» (2024/4/15) عن تعليق عمل محاضرة أمريكية لأنها كتبت مقالا خالف السرد الأمريكي المؤيد لإسرائيل. فقد كتبت العالمة السياسية جودي دين مقالا تصف فيه كيف حاولت الأوساط الأكاديمية والعلمية السائدة مراقبة شعور الناس تجاه الهجوم الذي قادته حماس من غزة في 7 تشرين الأول/أكتوبر، فتم منحها إجازة من منصبها التدريسي في كلية هوبارت أند وليام سميث. ولكن التخويف ماض والمكارثية تظهر في أعلى صورتها قبحا، كما كشفت جلسة استماع مع رئيسة جامعة كولومبيا نعمت شفيق التي ضحت بالحرية الأكاديمية على حساب مصلحتها الشخصية وتجنبا لمصير رئيستي جامعتي هارفارد وبنسلفانيا، اللتان اتهمتا بمعاداة السامية. وقد شملت المحاكمة لشفيق استعدادات من سفر التكوين والعهد الذي قطعه الرب لإبراهيم لمباركة إسرائيل، وهوجم الباحث المعروف جوزيف مسعد.

غزة هي البوصلة

وفي النهاية تريد الإدارة من الناس نسيان فلسطين والتركيز على إيران، لكن «الغارديان» (2024/4/18) تذكرنا إن «شبح الصراع الإقليمي واسع النطاق، والوفيات العديدة التي يمكن أن تنجم عن ذلك، يجب ألا يصرف الانتباه عن ما يقرب من 34 ألف فلسطيني قتلوا بالفعل في غزة، وفقا للسلطات الصحية في غزة، وغيرهم الكثير الذين سيموتون قريبا إن لم تكن هناك مساعدة فورية. وقف إطلاق النار وزيادة هائلة في المساعدات فيما وصفه غوتيريش بمشهد الجحيم الإنساني».

Volume 35 - Issue 11322 Sunday 21 April 2024

وحدها والمنطقة قد تتجه إلى توازن الردع النووي

في ظل المواجهة الإيرانية–الإسرائيلية المستمرة علينا ألا نحرف أنظارنا عن غزة فهذا ما يريده بايدن وحليفه نتنياهو

إبراهيم درويش

كان الحديث طوال الأسبوع الماضي حول الأزمة الإيرانية–الإسرائيلية وخروج الحرب المفتوحة بينهما للعلن، ففي الوقت الذي أصرت فيه حكومة اليمين المتطرف بقيادة بنيامين نتنياهو على أنها ستدر بطريقتها على هجوم إيران في 13 نيسان/أبريل، حاولت إدارة بايدن «تخفيض التصعيد» وامتصاص الأزمة عبر تقديم تنازلات ووعود للحكومة التي لم تتوقف عن دعمها. وفجأة تغيرت نبرة الساسة الغربيون، من إسرائيل، فقد نجحت حكومتها باستثمار المواقف الغربية المتعاطفة معها بعد هجوم إيران، وعلينا ألا ننسى أن الأخيرة ضربت ضربتها، ردا على عدوان إسرائيل على قنصليتها في دمشق، حيث تدفق المسؤولون الغربيون وعلى رأسهم وزير خارجية بريطانيا ديفيد كاميرون، الذي هاتفه لي لندن بخفي حنين وبرفض إسرائيلي لمطالب عدم التصعيد.

والمهم في الجولات الدبلوماسية أن نتنياهو استثمر الضربة الإيرانية لحرف الانتباه عن ما يقوم به من مجازر في غزة والضفة الغربية وعمليات استيطان متسارعة في القدس الشرقية كما كشفت صحيفة «الغارديان» (2024/4/17) عن المشاريع الاستيطانية في القدس الشرقية التي تزايدت بوتيرة لا مثيل لها منذ هجمات أكتوبر. وتمت المصادقة على آلاف الوحدات السكنية على أراضي الفلسطينيين في باب العمود وضاحية بيت صفافا قرب القدس. وبالمقابل زاد تغول المستوطنين وعنف الجيش الإسرائيلي في مناطق الضفة الغربية.

حرب نتنياهو الأبدية

ففي الماضي كان الجيش إذا أراد ملاحقة فلسطينيين يدخل تحت جنح الليل أو يرسل وحدات المستعربين الذين يتخفون كفلسطينيين ويقومون باغتيال من يريدون، أما اليوم فيقوم باستدعاء دوريات الجيش والجرافات ليمعن في الهدم والتدمير كما حدث في مخيم نور شمس في عملية قتل فيها خمسة شبان فلسطينيين، وخلف الجيش وراءه عندما انسحب دمارا هائلا، امعانا في العقاب الجماعي للفلسطينيين. وهي استراتيجية واضحة في ما بعد الدمار الذي أحدثه الجيش الإسرائيلي في غزة، وبدت واضحة في عملياته بمستشفى الشفاء الشهر الماضي حيث خلف وراءه دمارا لا مثيل له وحطاما لأهم مركز طبي في كل قطاع غزة ومقابر جماعية لا يزال الفلسطينيون يكتشفونها كل يوم.

وتكرر المشهد في مخيم النصيرات، وتريد حكومة نتنياهو تكرار العملية في رفح، حيث سرت تقارير عن موافقة إدارة بايدن على عملية اقتحام رفح، مقابل عدم رد إسرائيل على الضربة الإيرانية. لكن نتنياهو الماهر في استغلال الدول الغربية يريد قضم الكعكة كلها، وبدون تقديم تنازلات، والشعار هو أنه لو بدا ضعيفا أمام تحالفه المتطرف فسيخسره ويدخل انتخابات جديدة، فالحرب الأبدية هي ما يريدها، وهي الحقيقة التي لم تفت عن ملاحظة كيث غاسين في مجلة «نيويوركر» (2024/4/13) التي قدم فيه رؤية بيروقراطيين ومحللين في شؤون السياسة الخارجية الذين وصفوا فشل بايدن في التدخل لوقف الحرب، وطبيعتها الاستثنائية في غزة، فهي حرب ليست كالحروب الأخرى، سكان غزة عالقون بين رفض مصر للتخفيف عنهم وضربات الجيش الإسرائيلي، وطريقة إدارة الحرب التي لم تميز بين مقاتل ومدني، حيث زاد عدد القتلى، إلى جانب إصرار بايدن على عدم التدخل ووقف الكارثة في غزة. وعندما هدد بالتدخل، عاد مرة أخرى للتأكيد على دعمه المطلق لإسرائيل. وسارع لتنظيم تحالف «الدول الشريكة» من أجل مواجهة الرد الإيراني على إسرائيل. ورغم إعلان طهران عن ضربتها المتوقعة لإسرائيل إلا أن الضربة فقدت عنصر المفاجأة وسقطت معظم الصواريخ والمسيرات الإيرانية قبل وصولها للأجواء الإسرائيلية. واعتبرت إيران أن ردها قد انتهى وأعربت عن عدم رغبة للتصعيد. لكن نتنياهو الذي كشف الدعم الخارجي له عن ضعفه واعتماده على المساعدة الخارجية وخاصة من دول عربية حاولت أن تخفي دورها، أصر على الرد، وفعل صباح يوم الجمعة بدون إخبار راعيته أمريكا، كما كشف تقرير لموقع «ميدل إيست آي» (2024/4/19) وأن إسرائيل لم تكشف ردها على طهران مع أنها أعطت المسؤولين تأكيدات بأنها لن ترد إلا بعد نهاية «عيد الأنوار» اليهودي. كان الهجوم الذي نفذته مسيرت وصواريخ ضد قاعدة جوية في أصفهان محدودا بهدف عدم التصعيد. وحسب التقارير الإيرانية فالأضرار محدودة ولم تطل المفاعلات النووية في نطنز وغيرها وهو ما أكدته الوكالة الدولية للطاقة الذرية. وكشف وزير الخارجية الإيطالي أنطونيو تاجاني أن إسرائيل أخبرت الولايات المتحدة في الدقيقة الأخيرة من تنفيذ ردها على إيران. في وقت رفض فيه وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن التعليق على هامش مؤتمر مجموعة الدول السبع التي أقرت في مدينة كابري الإيطالية حزمة عقوبات ضد صناعة المسيرات والصواريخ الإيطالية. وهي عقوبات لن تترك أثرها على إيران التي تعتبر أكبر دولة تواجه عقوبات في العالم، واستطاعت على مدى السنوات الماضية التحايل عليها من خلال أحلاف مع روسيا والصين وكوريا الشمالية.

توريط أمريكا

وعلى خلاف غياب عنصر المفاجأة في هجوم طهران تأكدت الأنباء من سريتها، وحتثث بوعدها بألا تتصرف قبل أن تخبر الولايات المتحدة. فقد اشتكى لويد أوستن لنظيره الإسرائيلي يواف غالانت بعد عملية القنصلية بأن التصرفات الإسرائيلية تعرض حياة الجنود الأمريكيين للخطر. ولهذا كان رد الفعل الأمريكي بعد الهجوم في دمشق هو إرسال رسائل لطهران أنها لم تشارك في العملية.

وهو نفس التصرف بعد رد إسرائيل، حيث أكد بلينكن أنه لا يريد الحديث عن الهجوم وأن أمريكا لم تهاجم أو تشارك في أي هجوم بالمنطقة. وكشفت صحيفة «نيويورك تايمز» (2024/4/17) عن الوطة التي خلقتها إسرائيل لأمريكا في هجومها ضد قنصلية إيران. وقالت إن الإسرائيليين أخطأوا في حساباتهم بشدة، معتقدين أن إيران لن ترد بقوة. وحتى بعد أن أصبح من الواضح أن إيران سترد، اعتقد المسؤولون الأمريكيون والإسرائيليون في البداية أن حجم الرد سيكون محدودا إلى حد ما، قبل أن يتدافعوا لمراجعة تقييمهم مرارا. وعندما وقع الرد، كان استعراض القوة الإيراني كبيرا. وفي محاولة ردع إسرائيل عن الرد استخدم بايدن لعبة المقايضة مع نتنياهو «لديك فوز، فخذ الغوز». وكان بايدن يعني بهذا التحالف الإقليمي أو الشراكة الأمنية التي ليست صيغة «ناتو شرق أوسطي» بل شراكة دخلت فيها دول عربية ولأول مرة في مواجهة ضد إيران، وقد اندفعت هذه الدول بمصالح ضيقة من ناحية التقارب مع الولايات المتحدة والحصول على حظوة واشنطن ومباركة منها.

تحالف مصالح

وقد التقطت الصحف الأمريكية هذا الخط وأكدت على أهمية التحالف وما فعلته دول عربية ولم يكن مفكرا به دماريا لا مثيل له وحطاما لأهم مركز طبي في كل قطاع غزة ومقابر جماعية لا يزال الفلسطينيون يكتشفونها كل يوم.

وتكرر المشهد في مخيم النصيرات، وتريد حكومة نتنياهو تكرار العملية في رفح، حيث سرت تقارير عن موافقة إدارة بايدن على عملية اقتحام رفح، مقابل عدم رد إسرائيل على الضربة الإيرانية. لكن نتنياهو الماهر في استغلال الدول الغربية يريد قضم الكعكة كلها، وبدون تقديم تنازلات، والشعار هو أنه لو بدا ضعيفا أمام تحالفه المتطرف فسيخسره ويدخل انتخابات جديدة، فالحرب الأبدية هي ما يريدها، وهي الحقيقة التي لم تفت عن ملاحظة كيث غاسين في مجلة «نيويورك» (2024/4/13) التي قدم فيه رؤية بيروقراطيين ومحللين في شؤون السياسة الخارجية الذين وصفوا فشل بايدن في التدخل لوقف الحرب، وطبيعتها الاستثنائية في غزة، فهي حرب ليست كالحروب الأخرى، سكان غزة عالقون بين رفض مصر للتخفيف عنهم وضربات الجيش الإسرائيلي، وطريقة إدارة الحرب التي لم تميز بين مقاتل ومدني، حيث زاد عدد القتلى، إلى جانب إصرار بايدن على عدم التدخل ووقف الكارثة في غزة. وعندما هدد بالتدخل، عاد مرة أخرى للتأكيد على دعمه المطلق لإسرائيل. وسارع لتنظيم تحالف «الدول الشريكة» من أجل مواجهة الرد الإيراني على إسرائيل. ورغم إعلان طهران عن ضربتها المتوقعة لإسرائيل إلا أن الضربة فقدت عنصر المفاجأة وسقطت معظم الصواريخ والمسيرات الإيرانية قبل وصولها للأجواء الإسرائيلية. واعتبرت إيران أن ردها قد انتهى وأعربت عن عدم رغبة للتصعيد. لكن نتنياهو الذي كشف الدعم الخارجي له عن ضعفه واعتماده على المساعدة الخارجية وخاصة من دول عربية حاولت أن تخفي دورها، أصر على الرد، وفعل صباح يوم الجمعة بدون إخبار راعيته أمريكا، كما كشف تقرير لموقع «ميدل إيست آي» (2024/4/19) وأن إسرائيل لم تكشف ردها على طهران مع أنها أعطت المسؤولين تأكيدات بأنها لن ترد إلا بعد نهاية «عيد الأنوار» اليهودي. كان الهجوم الذي نفذته مسيرت وصواريخ ضد قاعدة جوية في أصفهان محدودا بهدف عدم التصعيد. وحسب التقارير الإيرانية فالأضرار محدودة ولم تطل المفاعلات النووية في نطنز وغيرها وهو ما أكدته الوكالة الدولية للطاقة الذرية. وكشف وزير الخارجية الإيطالي أنطونيو تاجاني أن إسرائيل أخبرت الولايات المتحدة في الدقيقة الأخيرة من تنفيذ ردها على إيران. في وقت رفض فيه وزير الخارجية الأمريكي أنتوني

كوك أن محاولة الأنظمة العربية وخاصة النظام الأردني الحفاظ على علاقات مع إسرائيل، دافعها الأساسي هو الحفاظ على العلاقات مع الولايات المتحدة التي تعتبر المانح الأكبر له وخاصة في المجال العسكري. كما أن الولايات المتحدة فرضت بوضعها إسرائيل ضمن مسؤوليات القيادة المركزية في 2021 معادلة جديدة على الدول العربية وهي إجراء حوار مع إسرائيل. وحتى مصر التي لم تلعب دورا مهما في رد الهجوم الإيراني ضد إسرائيل، حاولت التأكد من الحفاظ على حوارها الأمني والقوي مع إسرائيل رغم الأزمات المتكررة في العلاقات وبسبب حرب غزة.

ويرى كوك أن التعاون الأمني الذي حدث ضد إيران أظهر قدرة القيادة الأمريكية، فبعد عقود من الاستثمار في الشرق الأوسط، بدون نتائج، كان تعاون 13 نيسان/أبريل دليلا على قدرة أمريكا تحقيق الفرق لو أرادت التحرك. لكن النقاد سيقولون إن هذه القيادة كانت مدمرة في غزة لأنها واصلت منح الجيش الإسرائيلي السلاح الفتاك لقتل الأبرياء والعزل وتدمير كل مظاهر الحياة هناك، وهي نقطة قوية، لكن كوك يقدم وجهة نظر مضادة وإن كان النقاد يريدون حربا شاملة بدلا من هذا.

أبعدوا الملف عني

وفي الوقت الذي أظهرت فيه واشنطن قيادة لحماية أمن إسرائيل لم تظهر نفس القيادة لحماية الفلسطينيين ولا في التعامل مع إيران. ففي تقرير لمجلة «بوليتيكو» (2024/4/17) سألت فيه معدة التقرير إن كان لدى بايدن استراتيجية واضحة تجاه إيران، فقوبلت بالضحك، وقال مسؤول أن الجواب «لا» هناك أساليب ولكن الرئيس يفضل أن يكون الملف بعيدا عنه أو حتى نسيانه. ومن هنا فعندما تكون «القيادة الأمريكية» انتقائية، فلا أحد يصدقها. وبدا هذا واضحا في موقفها من طلب فلسطين للعضوية الكاملة في الأمم المتحدة، بدلا من وضع مراقب. فبعد تصويت 12 دولة في مجلس الأمن، صوتت أمريكا ضد القرار وكان هو لا غيره، روبرت وود، نائب السفيرة الغائبة عن الجلسة، مع أنه لم يرفع اصبعه بل أحد أعضاء البعثة.

صيف ساخن

لكل هذا لا يزال بايدن يواجه غضبا من قواعده الانتخابية، واستمرار الحرب في غزة وزيادة الجماعات المؤيدة لإسرائيل حملتها ضد مؤيدي إسرائيل تحمل نذر شؤم له والذي وإن قلل الفجوة بينه ومنافسه دونالد ترامب إلا أن هناك مخاوف من خسارته قواعد دعمته في عام 2020. وأشارت صحيفة «واشنطن بوست» (2024/4/16) في تقرير إن المظاهرات

حوار

رئيس تحالف الجبهة/العربية للتغيير أيمن عودة: الواجب الأكثر وطنية وأخلاقية علينا هو وقف هذه المقتلة الإسرائيلية في غزة

حاوره: وديع عواودة

قال رئيس تحالف الجبهة/العربية للتغيير النائب أيمن عودة في حديث لـ«القدس العربي» إن الواجب الأكثر وطنية وأخلاقية علينا هو وقف هذه المقتلة الإسرائيلية في غزة، مشددا على ضرورة بقاء التناقض الأساسي ليس بين الفصائل الفلسطينية المختلفة بل بينها مجتمعة ضد الاحتلال حتى يتم إنهاؤه. قال عودة (49 عاما) الذي يشغل عضوية الكنيست كنائب عن الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، منذ 2015 وترأس خلال ذلك القائمة المشتركة إنه يستعد لقيادة مشروع نضالي فلسطيني إسرائيلي لإنهاء الاحتلال رغم ما تتركه الحرب على غزة بل بسببها، منبها أن التاريخ يشير إلى أن ساعات ما قبل الفجر هي الأكثر حلكة، وأن المحتلين أبدوا مواقف الأكثر تشددًا في الفصل الأخير قبيْل إنهاء احتلالهم. ويضيف «هذا ما حصل في الجزائر وفي الفيتنام وفي جنوب أفريقيا وغيرها». في هذا الحديث يتحدث أيمن عودة عن نفسه وعن تجربته كفلسطيني في البرلمان الإسرائيلي خلال فترة الحرب على غزة وهو على بعد أمتار فقط من المسؤولين الإسرائيليين الذين يصدرون تعليمات تؤدي لقتل آلاف النساء والأطفال الفلسطينيين. كذلك يتوقف أيمن عودة عند الموقف الرافض لمشاركة فلسطينيي الداخل في انتخابات الكنيست والعضوية فيه ويرون أن ذلك مصلحة لإسرائيل التي تستغل وجودهم فيها باقة ورد على طاولتها لتزيين ديمقراطيتها المزيفة، مشددا على حيوية المعركة على يهودية الدولة وعلى المساعي التي تريد تحويل إسرائيل لدولة ثنائية القومية بالتواجد في المواقع المختلفة فيها، كما يقدم ترجيحه متى تنتهي الحرب على غزة ويتوقع انفجار موجة احتجاج واسعة داخل إسرائيل، ويعلل رفضه القاطع لمن يحاول تسخيف الضربة الجوية الإيرانية على إسرائيل ويعتبرها حدثا جللا ومؤسسًا له ما بعده، وفيما يلي نص الحوار.

الموقف السياسي السليم. أؤمن أن النقاش الفلسطيني الأساسي الذي يحدد المصطلحات والتحالفات وكل شيء هو الحل النهائي للقضية الفلسطينية. ما دام حل الدولتين مطروحا علينا هنا أن نضع وزننا لإنهاء الاحتلال ومحاولة التأثير على الرأي العام الإسرائيلي من خلال إلقاء وزننا في المعترك السياسي في إسرائيل أيضا فهذا الحضور استراتيجي. من هنا استنتج أن المشكلة ليست بوجود نواب عرب في الكنيست الإسرائيلي بل العكس وبالعزوف عن المشاركة فيه. لو صوت المواطنون العرب في إسرائيل كما صوت اليهود لما وصل نتنياهو وائتلافه العنصري المتشدد للحكم ولا مرة من المرات الست. صحيح أن المشكلة أكبر وأعمق من نتنياهو ومن الخطأ حصرها به بيد أن القصد هنا أن نملك أوراق تأثير.

○ ما هي توقعاتك للانتخابات المقبلة فالحرب على غزة من شأنها أن تبعد المواطنين العرب في البلاد عن المشاركة فيها؟

● عندما يخرج الوزيران غانتس وايزنكوت من الحكومة، على ما يبدو في حزيران/يونيو المقبل، ستشهد إسرائيل موجات احتجاج واسعة ولا أستبعد خروج مليون إسرائيلي للشارع وهذا سيكون إيذانا ببدء سقوط حكومة نتنياهو. هما المفتاح وبقاؤهما في الائتلاف اليوم يخدم نتنياهو. بعد مغادرتهما الحكومة ستجتاح المظاهرات إسرائيل وستكون مميزة كما وكيفا وأتوقع محاصرة الكنيست بآلاف الإسرائيليين ممن سيبيتون داخل خيم لأيام طويلة ومحاصرة الوزراء والنواب في بيوتهم حتى تسقط الحكومة وتذهب إسرائيل لانتخابات عامة في مطلع العام 2025.

○ وما هي توقعاتك لكيفية مشاركة الأحزاب العربية في انتخابات الكنيست، وما هي احتمالات عودة القائمة العربية المشتركة؟

● أنا شخصيا أؤيد عودة القائمة المشتركة بما يشمل القائمة العربية الموحدة برئاسة النائب منصور عباس ولن نطالبهم بالاعتذار عن مواقفها ومواقفه بل سنكتفي بالتزامهم بالبرنامج السياسي والتنظيمي الخاص بالمشتركة والذي على أساسه فازت بـ 15 مقعدا. مع ذلك أنا واقعي وأستشعر أين تهب رياح الموحدة فهي تصرح بأنها ذاهبة لخوض انتخابات الكنيست لوحدها. في المقابل أسمع أيضا أن التجمع الوطني الديمقراطي برئاسة سامي أبو شحادة يرتب لخوض الانتخابات لوحده مجددا رغم عدم اجتيازه نسبة الحسم في المرة الماضية للأسف. لذا أتمنى أن تتكون المشتركة من ثلاثة أحزاب طالما تصر الموحدة على خوض الانتخابات لوحدها. اليمين الصهيوني سيسقط في الانتخابات المقبلة لصالح المركز– اليسار الصهيوني لكن هذه ستبقى حكومة وحدة وطنية كما حصل في إسرائيل بعد كل كارثة كبيرة ولأن «المركز–اليسار» بعد انقطاع طويل عن الحكم يبحث عن شرعية حكمه باعتراف اليمين الصهيوني به وبحكمه. هذا هو الاتجاه العام. نعم صحيح هناك اتصالات بيننا، الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، مع التجمع الوطني الديمقراطي، تحتاج لأن تصبح حوارا منهجيا.

○ تتحدث التسريبات والتصريحات أنك وأوشك ما يحصل معي، فكتبت عن هذه التجربة مخاطبا أطفالي في الأيام السابقة. النائب العربي في الكنيست يسير على الدوام على خيط رفيع بين القومي وبين المدني، تارة يسقط في القومي وتارة في المدني، لكن في فترة الحرب على غزة كان الأمر فارقا للغاية حينما تكون عربيا داخل البرلمان الإسرائيلي المثقل برموز صهيونية. مع ذلك ساهمنا في رفع معنويات شعبنا وواجهناهم في عقر دار ظلمهم. كجماعة وكقيادات تصرفنا في هذه الفترة الصعبة بشجاعة وحكمة وقد أحسنا التصرف فوضعنا الاستثنائي في الداخل كحال من قيل عنه:

لا خيلَ عندكَ تُهديها ولا مالٌ.. فَلِيُسعِدِ النُطقُ إن لم تُسعِد الحالُ

○ ومع ذلك شهدنا انتقادات فلسطينية وعربية موجهة لفلسطينيي الداخل أنهم التزموا الصمت هذه المرة بخلاف ما جرى خلال هبة الكرامة في مايو/أيار 2021؟

● جوهريا، أريد أن أشيد بموقف شعبنا، فالفلسطينيون الباقون هنا في وطنهم يرون بالنكبة حدثا مؤسسا، وكل حدث موجع بالنسبة لهم يعيدهم لها. كان الأمر المطلوب حماية الناس وتفويت الفرصة على بن غفير وأمثاله. طبيعي أن نخرج للاحتجاج في بدايات الأحداث كما فعلنا في الماضي وكما حصل في مطلع الانتفاضة الثانية عام 2000 على سبيل المثال، لكن هذه المرة كان الهجوم العيني (لا أقصد هنا السياق العام) قد بادرت له حركة حماس فكانت هناك حاجة للتريث. ومع بدء العدوان على أهلنا في القطاع تحركنا بالاحتجاج وواضح أن إسرائيل أعادتنا لفترة الحكم العسكري الممتدة من 1948 إلى 1966 حيث تجنّدت الدولة العميقة أيضا لقمعنا ومع ذلك رفعنا صوتنا.

○ كيف تقيم منافع مشاركة فلسطيني الداخل في عضوية البرلمان الإسرائيلي خاصة أن هناك من يعتبرها خدمة لمصالح إسرائيلية وروايتها؟

● معركتنا الأساسية الأهم هي المعركة على يهودية الدولة وفكرتنا أن نحولها لدولة ثنائية القومية في الكنيست وخارجه وفي كل موقع متاح، وبالذات في هذه الفترة، فترة الحرب أيقنت كم هو مهم وجود نائب عربي في الكنيست حيث كنا نستفيد من الحصانة الممنوحة له للاحتجاج وإشهار

ذاهب لقيادة مشروع شعبي، فلسطيني–إسرائيلي يهدف للدفع نحو تسوية القضية الفلسطينية، هل تترك الحرب على غزة متسعا لذلك؟

● نعم. في أيار/مايو الماضي أعلنت أنني لن أرشح نفسي لانتخابات الكنيست المقبلة وأنا اليوم أنتظر أن أنهي عضويتي في البرلمان الإسرائيلي لأنطلق في المشروع الجديد. الأمل الأهم والوحيد الآن هو وقف المقتلة ووقف الحرب على غزة. بعد ذلك أسمح لنفسي القول إن الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي قد ذهبا في اتجاه أوسلو ليس فقط بعد الانتفاضة الأولى بل بعد النكبة عام 1948 وتبعاتها. وقتها قال 85 في المئة من الفلسطينيين في استطلاع للشقاقي إنهم يؤيدون تسوية الدولتين وفي المقابل صوت 56 في المئة من الإسرائيليين لإيهود براك في انتخابات 1999 لمنح فرصة لاستكمال مساعي التسوية بعد اغتيال رابين. هذا بصرف النظر عن الضرر الذي أحدثه براك خلال وبعد مفاوضات كامب ديفيد عام 2000. أعود للفكرة بأن الشعبين بحثا عن حلول بعد كل أزمة كبرى. عندما أسمع خطاب حماس حول حدود 67 أو حديثها عن دولة إسلامية يعيش فيها بمساواة المسلمون والمسيحيون واليهود وعندما أنظر لبرامج الفصائل الفلسطينية لا أرى طرحا واحدا يدعو لطرد اليهود من فلسطين اليوم. هناك دولة علمانية للجميع أو دولة إسلامية للجميع. إذن فإن الشعبين باقون هنا ولابد من استغلال التأييد الشعبي العالمي الجارف للقضية الفلسطينية وحقوق الفلسطينيين. القضية الفلسطينية صارت قضية أمن عالمي وهذا يذكر بما قاله الراحل ياسر عرفات في الأمم المتحدة عام 1974 إن السلام والحرب في العالم يبدآن في فلسطين. وقتها قال أبو عمار مقولة رومانسية واليوم باتت مقولة علمية. علينا اليوم أن نوظف هذه الحرب على غزة رافعة لتسوية الصراع واستعادة الشعب الفلسطيني استقلاله وحريته.

○ الآن؟ والإسرائيليون يرون بدولة فلسطينية هدية للفلسطينيين ينبغي حرمانهم منها بعد السابع من أكتوبر وفق رواياتهم الرسمية؟

● لا يوجد محتل في التاريخ قد سلّم باحتلاله ببساطة. دائما ترتفع الكراهية وتتصاعد قبيل بدء الحل. هكذا كان في الجزائر وفي الفيتنام وفي جنوب أفريقيا تشدد الحزب الوطني ضد حزب المؤتمر الوطني الأفريقي ولكن بعدها انقشعت الظلمة وبزغ فجر الحرية. بعد هذه المقتلة التي يتعرض لها أهلنا في غزة علينا أن نكون أوفياء لشعب التضحيات وتركيز جل طاقاتنا لإنهاء الاحتلال.

○ وأنت شخصيا؟

● في أيار/مايو الماضي أعلنت عدم ترشيحي للكنيست مجددا وفور إنهائي عملي البرلماني الحالي سنتطلق في هذا المشروع الفلسطيني–الإسرائيلي الواسع لإنهاء الاحتلال وتحقيق السلام. بعد السابع من أكتوبر والعدوان المتوحش على شعبنا أصبح هذا الموضوع الأكثر التهابا في العالم. سنتطلق في هذا المشروع مع ملايين الشرفاء من أبناء شعبنا وسيشمل عدة مبادرات منها إنجاز عريضة يوقعها مليون فلسطيني وإسرائيلي يطالبون بإنهاء الاحتلال.

○ ستجد تعاونا في إسرائيل فعلا؟

● أجريت في آب/أغسطس 2023 استطلاعا بين الإسرائيليين أظهر أن 29 في المئة منهم يؤيدون تسوية الدولتين، وقبل شهرين أجريت استطلاعا جديدا أظهر أن النسبة تراجعت إلى 15 في المئة، بيد أن الجديد هذه المرة أن 81 في المئة منهم يرون أن الموضوع الفلسطيني هو الأهم في الحياة بالنسبة لهم وهذا ما لم يكن في الماضي، وهم أيضا يوافقون على تسوية دولية تشمل ضمانات أمنية. بعد ما تنتهي هذه الحرب علينا بالعمل الفوري لجسر هذه الفجوة لصالح إنهاء الاحتلال.

○ متى تنتهي الحرب على غزة؟

● حكومة إسرائيل الحالية بلغت من الإجرام لدرجة التأهب لاجتياح حتى رفح وارتكاب مذابح جديدة وسط استغلال التصعيد مع إيران ومساومة الولايات المتحدة والمجتمع الدولي للتعويض عن ضربة إيران. بعدها من المرجح أن تتحول الحرب لمناوشات دائمة داخل القطاع كما كان في لبنان بعد 1983. لكن المطلوب هو فعل كل شيء ممكن من أجل منع الاحتلال من اجتياح رفح وإنهاء الحرب على غزة بالسرعة القصوى. لا أعتقد أن جيش الاحتلال سينسحب بالكامل من غزة قبل انتخابات عامة جديدة في إسرائيل لأن هذا مرتبط بمصلحة نتنياهو وحكومته. أحيانا شهدنا تناقضا في مواقف المستويين العسكري والسياسي في إسرائيل لكن هذه المرة المؤسسة الأمنية متطابقة مع الحكومة لأنها هي الأخرى متورطة بالفشل الذريع في حرب السابع من أكتوبر ولذا فهناك تواطؤ مشترك لإطالة أمد الحرب وهذا لن يتوقف إلا بتغيير حكومة الاحتلال الحالية.

○ هناك من يعتبر أن ضربة إيران الجوية صرفت أنظار العالم عن الحرب على غزة وأعادت صورة الضحية لإسرائيل بعدما كانت دولة منبوذة في العالم فما رأيك؟

● المعتدون هم حكام إسرائيل وهذا بالمفهوم الشمولي وكذلك بالمفهوم العيني المتمثل بقصف السفارة الإيرانية في دمشق. وثمة شيء جديد هنا حيث تقصف دولة بالصواريخ والمسيرات إسرائيل وهذا حدث جلل ومؤسس لما بعده ولست أبدا ممن يقللون من خطورة الضربة الإيرانية هذه لكنني أحذر من استمرار الحرب على غزة والموقف الأكثر وطنية وأخلاقية الآن هو وقف الحرب على غزة.

○ أين أنت ممن يدعون والآن أيضا لمراجعة فلسطينية لما جرى منذ السابع من أكتوبر أو من قبله حتى اليوم؟

● على الحركة الوطنية الفلسطينية مراجعة إجراءات وأمور تقوم بها دائما وهذا ينطبق على الحالة الراهنة لكن بعيدا عن الرواية الإسرائيلية الرسمية. من الطبيعي أنني أعارض كل قتل لأي مدني وضد خطف طفل أو امرأة عمرها 85 سنة. هذا موقف أخلاقي بعيد كل البعد عن إسرائيل فهي آخر من يقدم نصائح أخلاقية منذ اقترافها جرائم تاريخية وحتى ارتكاب جرائم حالية داخل قطاع غزة. من المشين أن يبقى التناقض قائما بين الفصائل الفلسطينية ذاتها هو الأساس، فالتناقض الصحيح ينبغي أن يبقى بينها مجتمعة وبين الاحتلال وتكريس كل الطاقات لإنهائه.

بطاقة هوية:

أيمن عادل عودة (مواليد 1 يناير 1975 في حيفا) محام وسياسي من عرب 48 يشغل حاليا منصب نائب في الكنيست الإسرائيلي عن تحالف الجبهة – العربية للتغيير. كان في عضوًا في مجلس بلدية حيفا منذ عام 1998 وحتى 2003 خلال الفترة التي كان فيها عمرام متسناع رئيسًا للبلدية، كما واشغَلَ منصبَ الأمين العام للجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة بين عام 2006 وحتى 2015 ورئيساً للقائمة المشتركة بين عام 2015 وحتى 2022. ولدِ أيمن عودة وترعرع في حي الكبابير في مدينة حيفا، لأسرة عصامية، وتعلم في مدرسة أهلية في حيفا.

تركت سنوات الثمانينات التي كانت حافلة بالأحداث ومنها حرب لبنان 1982 واندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى 1987 أكبَرَ الأثر على وجدان أيمن عودة، وهو يقول إن صحيفة الحزب الشيوعي «الاتحاد» التي كانت تصل بيتهم يوميًا صقلت شخصيته، ولها أكبر الأثر في تكوينه بعد أبويه اللذان كان حديثهما وتربيتهما الوطنية جزءًا اساسيًا من الحياة اليوميّة في البيت.

وقد كانت له نشاطات منذ المرحلة الثانوية، وانتخب رئيسًا لمجلس طلاب المدرسة، وكانت له تجربة عنيفة مع جهاز المخابرات الشاباك التي حققت معه وهو تلميذ والتي تركت أثرًا كبيرًا على نفسيّته، وعلى جميع أفراد عائلته حيث حُقق معه مرارًا ولاحقته أجهزة الأمن الإسرائيلية بسبب نشاطه الدؤوب بين المواطنين العرب في حيفا. متزوّج من الطبيبة نردين عاصلة من مدينة عرابة البطوف شقيقة أحد شهداء هبة القدس والأقصى وانتفاضة عام 2000 أسيل

حريات

الاختفاء القسري يتحول إلى ظاهرة وابتزاز

سوريا من أسوأ الدول على مستوى العالم في إخفاء مواطنيها والنظام يتصدر قائمة الانتهاكات

حسام محمد

هدأت أصوات المدافع وهدير الطائرات في سوريا مقارنة بالسنوات الماضية، إلا أن المواطن لا يزال مستهدفا من قبل عدة جهات في البلاد بأساليب وأدوات أخرى لا تقل خطورة عما كان ينتج عن القذائف والصواريخ، فعمليات الاعتقال التعسفي والاختفاء القسري تأخذ منحى تصاعديا ما بين فترة وأخرى، مستهدفة كل من ينتقد أو حتى يفكر بالانتقاد، ولا تتوقف هنا، بل تتوسع لتطال النساء والأطفال للمساومة عليهم طمعا بالمال تارة وبالابتزاز تارة أخرى.

منظمة العفو الدولية، تعرف المختفون قسريا على أنهم أشخاص اختفوا فعليا بعيدا عن أحيائهم ومجتمعهم. ويختفون عندما يقبض عليهم مسؤولو الدولة (أو أي شخص يعمل بموافقة الدولة) من الشارع أو من منازلهم ثم ينكرون ذلك الأمر، أو يرفضون الكشف عن مكان وجودهم. ففي بعض الأحيان، قد يقوم بعمليات الإخفاء عناصر مسلحة غير تابعة للدولة، مثل جماعات المعارضة المسلحة. والإخفاء يعد دائما جريمة بموجب القانون الدولي.

وفي سوريا، فالنظام الذي يتزعم قائمة مرتكبي الجرائم والانتهاكات في البلاد، ما زالت أجهزته الأمنية في أوج أنشطتها التعسفية بحق المواطنين، في سبيل تعزيز سلطة رئيس النظام بشار الأسد، خاصة أن حكومته عاجزة أو رافضة لإجراء أي إصلاحات في البلاد ما عدا تلك التي تصب في خانة بسط النفوذ بقوة السلاح والترهيب في سبيل منع أي آراء ناقدة أو مناهضة للأسد أو حتى تلك التي تشتكي الأوضاع الاقتصادية والمعيشية في البلاد.

شهر آذار/مارس المنصرم، شهد بدوره تصاعد وتيرة الاعتقال التعسفي والاختفاء القسري في سوريا، في حين وثقت مصادر حقوقية سوريا ما لا يقل عن 203 حالة احتجاز تعسفي بينهم 8 أطفال و5 سيدات، قد تمّ توثيقها خلال الشهر الفائت، فيما يواصل النظام انتهاكه لقرار محكمة العدل الدولية.

هذه الجرائم والانتهاكات تسببت في ارتفاع حالات اختفاء أعداد هائلة من المواطنين السوريين والتي أصبحت بمثابة ظاهرة، لتكون سوريا من بين البلدان الأسوأ على مستوى العالم في إخفاء مواطنيها.

والنظام السوري، وفق تقارير حقوقية غير حكومية تفوق على كثير من الأنظمة الدكتاتورية الاستبدادية بأنه صاحب سلطة مطلقة على السلطتين التشريعية والقضائية، ما مكنه من إصدار ترسانة من القوانين والمراسيم التي تنتهك القانون الدولي لحقوق الإنسان كما تنتهك مبادئ قانون ومحددات الاعتقال والتحقيق في التشريعات المحلية ودستور عام 2012 الحالي.

إحصائيات مرعبة وواقع مرير

وثق تقرير صادر عن الشبكة السورية لحقوق الإنسان «منظمة غير حكومية» وتلقت «القدس العربي» نسخة منه، خلال شهر آذار/مارس المنصرم ما لا يقل عن 203 حالة تعسفي/ احتجاز بينها 8 أطفال و5 سيدات».

مدير الشبكة الحقوقية فضل عبد الغني أكد لـ «القدس العربي» خلال اتصال به، أن عمليات الاعتقال التي تلاحق السوريين مستمرة ولم تتوقف كما يتصور البعض، وأن الإحصائيات التي تم سردها هي المؤشر على مدى ما يواجه المواطن السوري على أيدي أطراف الصراع في البلاد، خاصة من قبل النظام وأجهزته الأمنية والعسكرية. مشيرا إلى توسع عمليات ملاحقة السوريين واعتقالهم وتكميم الأفواه لتصل إلى أي مواطن يوجه انتقادات على مواقع التواصل الاجتماعي، وهو ما وصفه المتحدث بوجود «قبضة أمنية متوحشة» من قبل عدة جهات في سوريا، ويترأس القائمة النظام، إذ ما زال في أعلى مستوياته، وهو ما يؤدي في الكثير من الحالات إلى الاختفاء القسري للمواطنين بالإضافة إلى الاعتقالات وممارسة أشد انتهاكات التعذيب بحقهم.

حيث لم تقف الانتهاكات عند سقف الاعتقال، إذ تحوّل 168 منها إلى حالات اختفاء قسري. كانت النسبة الأعلى منها على يد النظام، من خلال 91 حالة، بينهم 2 سيدة، حيث قامت أجهزة وقوات النظام السوري بعمليات اعتقال/ احتجاز موسعة استهدفت مدنيين في محافظات ريف دمشق ودمشق وحماة وحلب وحمص، بذريعة التخلف عن الخدمة العسكرية الإلزامية والاحتياطية، وحصل معظمها ضمن أطر حملات دهم واعتقال جماعية وعلى نقاط التفتيش ومن بينهم أشخاص أجروا تسوية لأوضاعهم الأمنية في المناطق التي سبق لها أن وقّعت اتفاقات تسوية مع النظام.

فيما كانت قوات سوريا الديمقراطية في المرتبة التالية من خلال 64 اعتقالا تعسفيا، بينهم 8 أطفال و2 سيدة.

فيما سجّل التقرير 9 حالات على يد هيئة تحرير الشام، و39 حالة على يد جميع فصائل المعارضة المسلحة/ الجيش الوطني بينهم سيدة.

الأسد عراب الأجهزة الأمنية

مدير الشبكة السورية لحقوق الإنسان عبد الغني قال: رأس هرم السلطة في سوريا هو الجهة المسؤولة عن هذه الأجهزة الأمنية، فهو من يمدها بالمال والسلاح والسلطة لتنفيذ هذه الانتهاكات بحق السوريين، حتى أن رئيس النظام بشار الأسد يسخر عائدات استصدار جوازات سفر والحوالات المالية وصولا إلى ما يصله من مساعدات أممية لتمويل هذه الأجهزة الأمنية التي تفتك بالسوريين، كون الأسد يراهن على هذه الأجهزة كثيرا، فبقاء هذا البطش هو العامل الأساسي في بقاء الأسد بالسلطة، وهو من يساهم في بسط نفوذ النظام ضمن المناطق الخاضعة لسيطرته وبالتالي إنعاش النظام الحاكم. هذه الأجهزة الأمنية وفق مدير الشبكة السورية لحقوق الإنسان، يقع على عاتقها الحفاظ على أمن النظام، وبالتالي تلاحق من ينتقده سواء في الواقع أو على مواقع التواصل الاجتماعي، فهي تعمل على واد أي أفكار قد تؤدي إلى ولادة رأي شعبي معارض له أو مطالبة بالإصلاح وتحسين الأوضاع الاجتماعية والواقع الاقتصادي المتدهور للغاية في البلاد، خاصة وأن النظام فشل في إدارة أي أزمة سواء كانت محلية أو على نطاق أوسع. لذلك تلجأ الأجهزة الأمنية التابعة للنظام إلى سياسة ترهيب السوريين وتخويفهم وتعذيبهم كونه لا يملك ما يغير أوضاعهم أو ينعش الاقتصاد المتردي، ما جعل بشطهم دون أي حدود، حيث تتم عمليات الاعتقال بدون أي مذكرات وسط غياب أي محاكم قضائية مستقلة ولا وجود للقانون، وهو ما جعل أجهزة الأسد الأمنية تتخذ من هذه الجرائم سوقا لابتزاز السوريين وسرقة أموالهم من خلال المساومة على حياة أبنائهم أو أي معلومة تخصهم. عبد الغني، نوه إلى أن السواد الأعظم من عمليات الاعتقال التعسفية تتحول غالبا إلى اختفاء قسري، وهو ما يجعلنا نشير إلى أن عمليات الاعتقال يمكن وصفها بعمليات خطف للسوريين، وأن الاختفاء القسري يجعل مصير المعتقل غير معروف، وفي العديد من الحالات يكون مصيره القتل.

النظام ينتهك القوانين الدولية والمحلية

النظام السوري لم يف بأي من التزاماته في أي من المعاهدات والاتفاقيات الدولية التي صادق عليها، وبشكل خاص العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنيّة والسياسية، كما أنّه وفق ما أكده التقرير الحقوقي، قد أخل بعدة مواد في الدستور السوري نفسه، فقد استمرّ في توقيف مئات آلاف المعتقلين من دون مذكرة اعتقال لسنوات طويلة، ومن دون توجيه تُهم، وحظر عليهم توكيل محام والزيارات العائلية، وتحوّل قرابة 68 في المئة من إجمالي المعتقلين إلى مختفين قسرياً.

وأضاف التقرير أنه وفقاً لحالات الاعتقال التعسفي والتعذيب والاختفاء القسري الموثقة لدينا في سوريا من قبل قوات النظام فلا يوجد لدينا أي مؤشر ينفي استمرار النظام في عمليات التعذيب، أو قيامه بأدنى الإجراءات كاستجابة لقرار التدابير المؤقتة الصادر عن محكمة العدل منذ صدوره في 16 تشرين الثاني/نوفمبر 2023.

فضلاً عن استمرار النظام في احتجاز لما لا يقل عن 135638 شخصاً لا يزالون قيد الاعتقال التعسفي أو الاختفاء القسري، ويعانون من التعذيب في مراكز الاحتجاز التابعة له، ما يؤكد استمرار انتهاك النظام بشكل واضح لبنود اتفاقية مناهضة التعذيب التي صادقت عليها سوريا في عام 2004 بموجب الاتفاقية.

من جانبه، أكد عضو نقابة المحامين الأحرار في سوريا، المحامي عبد الناصر حوشان، أن الاعتقال التعسفي أو حجز حريات الأفراد أمر غير مقبول وغير مبرر، وهو اعتداء على حق الحرية الذي كفلته الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية.

إذ أن هذه الانتهاكات تؤدي إلى إرهاق المعتقل وذويه نفسيا ومعنويا وماديا، بالإضافة إلى كون في كثير من الحالات التي تطول فيها مدد الاعتقال تؤدي إلى تفكك الأسرة وانتشار الطلاق وتسيب الأطفال وغياب المعيل والرقيب والمربي، وبالتالي احتمال دخول هؤلاء في مستنقع الجريمة الأخلاقية أو الانحراف السلوكي وربما التورط في تجارة المخدرات.

حوشان، أشار خلال تصريحات أدلى بها لـ «القدس العربي»: أن سياسة الاعتقال التعسفي من ركائز سياسة النظام في التعامل مع السوريين بالعموم والمعارضين على وجه الخصوص، من خلال قيامه بحجز حرية الأفراد على خلاف القانون، والتي تخلف بدورها عدة مظاهر، منها التوقيف بموجب الأحكام العرفية دون عرض المعتقلين على السلطات القضائية، والاعتقال من قبل أجهزة المخابرات لدواع أمنية ولفترات زمنية طويلة، والتوقيف القضائي لمدد تتجاوز المهل التي حددها، واستمرار توقيف الأشخاص رغم صدور قرارات إخلاء السبيل أو انتهاء المحكوميات».

ابتزاز وضغط

الاعتقال التعسفي، وفق ما فصله حوشان لـ «القدس العربي»: هو جريمة دولة، أي لا ترتكبه سلطات الأمر الواقع، كونها ليست دولا ولا حكومات شرعية، ويمكن توصيف اعتقال الأفراد من قبل هذه السلطات جريمة حجز حرية وهو أقرب إلى التوصيف القانوني لأن حجز الحرية هو جرم يرتكبه الأفراد وجماعات.

أما النظام السوري، فهو يرتكب جريمة الاعتقال التعسفي لضمان بقاء معارضيه في السجون وتخويف وترهيب معارضيه خارج السجون، كما يستخدم المعتقلين ورقة ضغط سياسية، وورقة ابتزاز لاستجلاب موارد مالية من خلال مساومته على حرياتهم مع أهاليهم مقابل دفع مبالغ مالية طائلة.

في حين أن سلطات الأمر الواقع في أغلب الأحوال يكون حجز الحرية إما بسبب الفلتان الأمني والهاجس الأمني لدى الجميع بسبب تداخل أسباب الصراع وانتشار السلاح وتداخل أطراف الصراع في المناطق المحررة، فيكون الاحتجاز على الشبهة هو القاعدة وهو نوع من أنواع الأمن الوقائي. وفق ما قاله المتحدث.

أما تقرير الشبكة السورية لحقوق الإنسان، فقد أشار إلى أن النظام السوري شرعن جريمة التعذيب، على الرغم من أن الدستور السوري الحالي، يحظر الاعتقال التعسفي والتعذيب حسب المادة 53.

كما أنّ قانون العقوبات العام وفقاً للمادة 391 ينصُّ على الحبس من ثلاثة أشهر حتى ثلاث سنوات على كل من استخدم الشدة في أثناء التحقيق في الجرائم، ويُحظر التعذيب في أثناء التحقيق وفقاً للمادة 391.

لكن هناك نصوصا قانونية تعارض بشكل صريح المواد الدستورية الماضية، والمادة 391 وتُشرعن الإفلات من العقاب، بما فيها القانون رقم 16 لعام 2022 لتجريم التعذيب.

> عمليات الاعتقال التعسفي تطال النساء والأطفال للمساومة عليهم طمعا بالمال وبالابتزاز

> ما لا يقل عن 203 حالة اعتقال تعسفي/ احتجاز بينها 8 أطفال و5 سيدات خلال الشهر الماضي

النظام السوري يواصل عمليات الاعتقال التعسفي

قالت الشبكة السورية لحقوق الإنسان في تقرير إنّ ما لا يقل عن 203 حالة احتجاز تعسفي بينهم 8 أطفال و5 سيدات، قد تمّ توثيقها في آذار/مارس 2024 وأشارت إلى أن النظام السوري مستمر بانتهاك قرار محكمة العدل الدولية.

وأوضح التّقرير – الذي جاء في 20 صفحة – أنّ استمرار عمليات الاعتقال التعسفي سبب ارتفاعاً في حالات اختفاء أعداد هائلة من المواطنين السوريين والذي أصبح بمثابة ظاهرة.

وسجّل التقرير في آذار/مارس الماضي ما لا يقل عن 203 حالة اعتقال تعسفي/ احتجاز بينها 8 أطفال و5 سيدات وقد تحوّل 168 منها إلى حالات اختفاء قسري.

واستعرض مقارنة بين حصيلة حالات الاحتجاز التعسفي وحالات الإفراج من مراكز الاحتجاز لدى أطراف النزاع في الشهر الماضي، وقال إن حالات الاحتجاز التعسفي تفوق حالات الإفراج من مراكز الاحتجاز، إذ لا تتجاوز نسبة عمليات الإفراج 30 في المئة وسطياً من عمليات الاحتجاز المسجلة، وتفوق عمليات الاحتجاز بما لا يقل عن مرة أو مرتين عمليات الإفراج وبشكل أساسي لدى النظام السوري، ما يؤكد أن عمليات الاعتقال والاحتجاز هي نهج مكرس وأن عمليات الإفراج محدودة لدى جميع أطراف النزاع وبشكل رئيسي في مراكز الاحتجاز التابعة لقوات النظام السوري.

وذكر أنّ قوات النظام السوري قامت بعمليات اعتقال/احتجاز موسعة استهدفت مدنيين، بذريعة التخلف عن الخدمة العسكرية الإلزامية والاحتياطية، وحصل معظمها ضمن أطر حملات دهم واعتقال جماعية وعلى نقاط التفتيش. وسجل عمليات اعتقال/ احتجاز بحقّ مدنيين لدى مراجعتهم مراكز الهجرة والجوازات لاستخراج وثائق تتعلق بالسفر خارج البلاد، وتركزت هذه الاعتقالات في مدينة دمشق. كما سجل عمليات اعتقال/ احتجاز استهدفت عدداً من الأشخاص أثناء محاولتهم التوجه إلى الحدود السورية اللبنانية للعبور إلى لبنان بطرق غير رسمية، وتركزت هذه الاعتقالات في محافظة حمص. وسجل عمليات اعتقال/ احتجاز قامت بها عناصر تنتمي لميليشيات/ قوات غير رسمية تتبع لقوات النظام السوري، استهدفت عدداً من العاملين على حافلات نقل الركاب بين مناطق سيطرة قوات النظام السوري، وقوات سوريا الديمقراطية، وتركزت هذه الاعتقالات في بلدة الزهراء شمال محافظة حلب. وأضاف التقرير أن النظام السوري يستمر بانتهاك قرار محكمة العدل الدولية الصادر في تشرين الثاني/ نوفمبر 2023 بشأن طلب تحديد التدابير المؤقتة الذي قدمته كندا وهولندا في القضية المتعلقة بتطبيق اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من المعاملات، أو العقوبات القاسية، أو اللاإنسانية، أو المهينة من خلال قيامه بعمليات الاحتجاز التعسفي والاختفاء القسري.

واعتبر التقرير أن قضية المعتقلين والمختفين قسراً من أهم القضايا الحقوقية، التي لم يحدث فيها أيّ تقدم يُذكر على الرغم من تضمينها في قرارات عدة لمجلس الأمن الدولي وقرارات للجمعية العامة للأمم المتحدة، وفي خطة كوفي عنان، وفي بيان وقف الأعمال العدائية في شباط 2016 وفي قرار مجلس الأمن رقم 2254 الصادر في كانون الأول/ديسمبر 2015.

وأضاف أنه وفقاً لحالات الاعتقال التعسفي والتعذيب والاختفاء القسري الموثقة لدينا من قبل قوات النظام السوري فلا يوجد لدينا أي مؤشر ينفي استمرار النظام في عمليات التعذيب، أو قيامه بأدنى الإجراءات كاستجابة لقرار التدابير المؤقتة الصادر عن محكمة العدل منذ صدوره في 16 تشرين الثاني/نوفمبر 2023 فضلاً عن استمرار احتجازه لما لا يقل عن 135638 شخصاً لا يزالون قيد الاعتقال التعسفي أو الاختفاء القسري، ويعانون من التعذيب في مراكز الاحتجاز التابعة له، ما يؤكد استمرار انتهاك النظام بشكل واضح لبنود اتفاقية مناهضة التعذيب التي صادقت عليها سوريا في عام 2004 ولم يف بالتزاماته بموجب الاتفاقية.

وطالب التقرير مجلس الأمن الدولي بمتابعة تنفيذ القرارات الصادرة عنه رقم 2042 و2043 و2139.

وشدّد على ضرورة إطلاق سراح الأطفال والنّساء وذوي الاحتياجات الخاصة والمرضى وكبار السن، والتّوقف عن اتخاذ أيّ من المعتقلين كرهائن حرب.

عن (الشبكة السورية لحقوق الإنسان)

كتب

«قمرٌ غريب فوق صانع النايات» مجموعة الشاعر الفلسطيني خالد جمعة: الشّعر في ذئبية التعرية من الأوهام

المثنى الشيخ عطية

يصعُب الشعر على مَنْ تَعَمَّدَ كتابته، إذ يقتلُ العقلُ الإحساسَ، والشعرَ إن احتل كامل المساحة؛ في مماثلة أنه لا يوجد سكون بغير حركة، ولا حياةَ بغير الموت، ولا حقيقة إلا مع الكذب، لا نهارَ من دون ليل، ولا حَمَلَ من دون ذئب، ولا متعةَ من دون ألم؛ وفي النهاية لا معنى للجنّة بغير الجحيم. ومن كان، في المفهوم الصوفيّ ومفاهيم نهاية الواقع والزمن، ماضياً ويكون حاضراً وسوف يكون مستقبلاً، واحداً أحداً، هو الإله الذي لا يُدرَك بأبعاد البشر المحدودة، الكائن اللاكائن والزمنُ اللازمن والمكانُ اللامكان، على مختلف صوَره المتعدّدة، ربّما بسبب هذه المحدودية، لديهم.

كل شيءٍ يعيش بنقيضه، على الأرض كما في السماء لدى هذا المخلوق الخالق الذي يدعى الإنسان، بكوننا الذي يتجلى بما هو ليس أكثرَ من رملة في محيط التكوين، لدى الشاعر الفلسطينيّ خالد جمعةَ، في مجموعته العاشرة الجديدة «قمرٌ غريبٌ فوق صانع النايات»، ويدفعُه إلى تعرية أوهام الإنسان عن نفسه، بالشعر وشطح الخيال الصوفيّ، وذوبانه في الكائنات بحسبان التواضع والتصاعد أنه لن يخرقَ الأرض، ولن يبلغ الجبال طولا، واستقراره وحركته في وجدان القارئ، بكونه: «أنا الذي كنت مغروراً وظننت أنّني رملةٌ في هذا الكون، قلتُ لي: الكون رملةٌ، فتخيّلت حجمي وبكيتُ، لا بكاء المستصغرِ، بلْ بكاءَ النادمِ على غروره».

الشعر/ الذئب:

في مجموعته الشعرية هذه، بتركيز وانفلات، وانشغال وفعل داخل تفاعلاتها، يستدعي قمرٌ خالد جمعة مسألةً صعوبة أن يتخلص الشعرُ من سهام الكلمات، بمعانيها ومفاهيمها ومجازاتها، حين تنوش جسده وتذوب أو لا تذوب فيه؛ مثلما يصعُبُ عليه تمييز نفسه إن كان لصاً متنحلاً أم متناصاً أم مجدّداً متمايزاً في خروجه بعد انصهارات الذوبان، عند ارتكابه جرأةَ تحدّي التداخل بنصوص الشعر الصوفي وفلسفة الصوفية في الخفة والتخلّي والتحوّل.

ولا تغيب في هذا عن الذاكرة الأدبية إشكالات ارتكاب الشاعر أدونيس جرأة التداخل بنصوص النثْري، في كتابه «تحولات العاشق»، وتأليف الشاعر الناقد كاظم جهاد كتابَ «أدونيس منتحلاً» بالشواهد التي طرحت السؤال القاتل إن كان أدونيس هو مؤلف هذا الكتاب أم النثْري، والأسئلة الأخرى المهمة حول حدود الانتحال والتناص والتمايز.

وعلى ضوء فضة قمره، يتكشف للقارئ سعي جمعة للتمايز، وإدراكه لحقيقة الذوبان، كما يبدو في مخالفات المنطق المعتاد بقصائده، وربّما مرّ عليه إلى لم يكن وهو الأرجحُ، قول المعلم شمس التبريزي لتلميذه المحتمل الرّومي حين انتزع كتابه من يده وألقاه في الماء: «تعلم علماً لا يمحوه الماء»، وذلك في مقطع النهر من قصيدة «حكاية ناقصة»، حيث:

«النهر كما الأنهار، له حكمتُه ومجراه، وربّما كان النهر الوحيد، حسب معرفة الراوي المحدودة، الذي صبّ في البحر وخرج من الناحية المقابلة، قطع البحر ولم يضع فيه كالأنهار التي يعرفها الناس، تمدّد كما شاء، ونوّع أسماكه كما شاء، قال مؤرخ لم يعش طويلاً بعد أن مرّ من هناك: كان هذا نهر لغة، ولم يفهم أحدٌ مقصده، فهم لم يروا في النهر يوماً إلا ماءً يبلل أقدامهم حين يخوضون فيه».

ويؤكد ذلك جمعة، في قصيدة «الذئب الذي عاش وحيداً» بقلبه الصورة النمطية عن الذئب الذي كما الشعر: «أنا وجه أسلافي، أنا ما أنا، فرائي دوزان الطبيعة حين أرادت تجميل الرماديّ في عين الأرض». والذي في مدّ جمعة التفرّدَ الخاص إلى العالم، دون إشارة إلى تطويع اتفاقيات السلام الذي يكتشفه القارئ بنفسه، يتمايز عن الكلاب التي رضيت بالتطويع، حيث: «صرنا كلاباً تحرس الغنمَ من إخوتنا، صرنا نقعي كجنودٍ مُجَّانيّين على أبواب السادة، نمجّد اللحظة التي يطلقونَ فيها أعناقنا من طوق الأسر، ونسينا تماماً كيف كنا حرّية الأرض والوقت والتمائم».

كما يؤكد ذلك من خلال تشابكه المتفاعل في القصائد التي تنهج طريق الصوفية، بتناغمه مع مفهوم المشيئة، من جهةٍ بخطاب «الإله العظيم» في التجلّي السابع من القصيدة الفاتحة للمجموعة: «سبعة تجلّيات

لصوفي
وحيد»، حيث: «حفظتك غيباً وإن لم أدرك كنهكَ، لكني استسلمت لربح المشيئة متتبعاً ذاتي فيك ومقتنصاً وجودَك فيّ». ومن جهة أخرى، خروجه من خلال هذا الطريق، إلى التشابك والتناغم مع الطبيعة والكون بمفاهيم فيزياء الكم في إلغاء الواقع وتشابكات الوعي الكمي والعوالم المتعددة، في معالجاته الشعرية الحسية المتداخلة بقليل من الذهنية غير الباردة، للوجود والزمان والمكان، في التجليات الأخرى حيث: «الألوان تعترف بسحرها، وتغزو عينيّ على غير ترتيب قوس قزح، وتفرُّ أرانب الأسئلة من ثعلب الوعي المدمّر». وحيث: «القانون قالوا إنها روح الرقص التي أنتجت كل ما دار على الأرض فيما بعد، فعرفتُ أن الزمن لم يكن قبل هذا، بل أن ما يصيح زمناً هو الوقت الذي تتحرك فيه النار على إيقاع الجسد». ويضيف جمعة إلى ذلك روح الأنوثة الكونية في الأشياء، حيث: «يبكي البحر موجاً، تاءُه المفقودة منذ نشأته، كل اسمٍ لا ينتهي بتاء تأنيث يخسرُ عيده الكبير».

تجلّيات الذئب:

في تمايز ضوء قمره فوق صانع النايات المكتفي بتواضعه في صنعها عن العزف بها، في قصيدة العنوان، تماثلاً غير منظور ربّما مع النثْري في اكتفائه بإملاء أقواله وشعره على تلاميذه دون كتابته؛ يكّون جمعة مجموعته من 32 قصيدةً نثرٍ مقسومةً مناصفةً بين قصيدة القطعة وقصيدة السطر، مع تداخل في الترتيب بنهاية المجموعة.

ويمايز جمعة قصيدة القطعة لديه بمواصفاتٍ ينسحب معظمها في الجوهر على قصيدة السطر، مع لَعِب الفراغ الذي يُولّده السطر دور إراحة القارئ من ثقل جرعة الكتلة، وفتح فضاءات الإحساس والتأمل لديه، وربما استعادة أنفاسه من غيابات التحليق التي يخلقها شطح التصوف.

ويمكن للقارئ بسهولة في هذه المواصفات تلمّس التنوّع في طول الجملة الشعرية، وتنوّع الخطاب بين المتكلم والمخاطب

مع
الحوار بينهما، بمواصفات الجملة الطويلة، حيث:

«ستكون بسيعة تجلّيات قبل أن يأخذ الرملُ وصيّته من جلدك وتأمّلاتك العنيفة جوار الكهوف الكثيرة التي ستمرّ بها دون أن تترك أثراً لمن سيأتي بعدك غير الكلام، ستكون بخاري بحرك الذي لا بحر فيه».

وبخطاب الآخر الإله هنا، وسؤاله وجوابه: «لماذا سبع يالإلهي، ولماذا بخاري؟ لا تناقش اختيارَ الله لك. تجلّ لأتجلى.» وسرّد الحال بفعل الماضي، كما في التجلّي الثاني الذي تمر فيه النفس منصهرة بطبيعة المكان وتاريخه، وتمرّ الولادة من الحب والطمأنينة؛ إضافةً إلى انتشار التساؤلات، عن الوجود وحكمة الموت وتداخل الأشياء في متضاداتها.

ويمكن للقارئ أيضاً الإحساس بجمال إيقاع الجُمل، متجلياً بمزج إيقاع التفعيلة وتهدئته بالنثر، كما في قصيدة «حكاية ناقصة»، بمقطع الغابة، حيث: «هو الراوي وهو الغابة حين تصير حرارة الليل أكثر مما تحتمل الكلمات، ينزّ فصولاً من مخلاته الفقيرة، ويُخرج منها أدعيةً وجنازاتٍ وأمانٍ لم تتحقّقْ، يُخرج منها جداول وصعاليك وفرساناً جاهزينَ للموت من أجل الحقيقة».

كما يمكن للقارئ تلمّس استخدام ما تتيحه قصيدة نثر ما بعد الحداثة مثل سرد الحكاية، والتداخل بالثقافات، اللذَيْن يتجلّيان في معظم قصائد القطعة والسطر من غير فقدان للشاعرية، إذ يبقيها على ألقها التركيب الشعري المدهش للجمل. ويبدو هذا جلياً في قصيدة: «نَوْح السّحاب على المدن الخراب»، الطويلة الخماسية، التي تتضمّن سرد قصة الملك ضرغام السبئي وفرسه المحجّلة، برثاء مأخوذ عنوانه كما يبدو من أبيات ابن العرندس الحلّي في رثائه للحُسين عند استشهاده: «ترقّ بروقُ السّحب لي من ديارِكم... فينهلُّ من دمعي لبارقها القَطْرُ». ومثل السخرية المترابطة بالحكمة، من غرور البشر بأنفسهم كائناتٌ تكوّنت وأصبحت على رأس قائمة الافتراس. من دون نسيان استخدام جمعة للأساطير والأمثال والأقوال وقلبها، أو ابتكار ما له علاقة بها وبغايرها في معرض قلبه للمنطق المعتاد وتعريته للأوهام.

وفي كل هذا يُلاحظ حفاظ جمعة على تكرار لازمة قصيدةِ بلاغية تأخذ عنوان القصيدة، وتربط أجزاءها المكوّنة لها بالتكرار، خالقةً تلاحماً متشابكاً، كما في قصيدة «وإنها تأتي...»، التي يحس فيها القارئ من تكرارها أنها فلسطين.

ولأنّ منطق الشّعر هو اللامنطق، وأن «أعذب الشعر أكذبه»؛ يؤكد جمعة على ارتباط هذا بطبيعة الحياة نفسها، في دعاء الشيخ ألاّ يكون الراوي صادقاً: «يا ربّ، تعلمُ أننا لا نستطيع الحياة دون وهم الحكاية».

وفي ختام المواصفات غير القابلة للختام، تثير إعجاب القارئ طريقة تعميقِ جمعة لمفردات محورية تحلق بها مجموعته، ومدّ أبعادها، فيما يخص وجود الإنسان وطبيعة حياته وصراعاته على الأرض. من مثل: الغابة، النهر، البحر، الصحراء، الشجرة، الذئب والحصان، كما يفعل في قصيدة «موجةٌ حزينة وخجولة»، بتعميق الغابات التي «ترصدنا كمخلوقاتٍ نادرة دون فرو أو ريش، تحاول بيأس أن تعيد تشكيلَ بشريتنا، فتنثر الوقتَ على باقات قمصاننا كفراشاتٍ فتخنُقُ الغابة وفراشاتها في صالونات بيوتنا، ونقول: ما أجملنا بغابةٍ في البيت».

ومثلما يفعل في إثارة الحسرة حول حصان المجد الأفل، في خطابه له:

«تحت شجرةٍ علّقوا عليها قليلاً من الحنطة
وتركوك لتختبر الوحدة وتقلب الوقت
لا فرس تحكُ ضلعها بأنينك
لا مهرَ تُعلّمه الطرقات البعيدة
والركضات التي حفرتَ بها العالم. المشي، الخبب، الهذيب، العَدْو، التبختر
وتهديه أوسمةً من فضّة خام
لا شيء يا صديقي القديم، لا شيء
مجرّد سهلٍ يتذكّر المعارك كلها
يتذكر المِيْتين، والقتلى
وينساك بين العشب
كأنك حجر».

خالد جمعة: «قمرٌ غريب فوق صانع النايات»
الأهلية للنشر والتوزيع: عمّان 2022
150 صفحة.

«عجوز وأربعة كلاب» مجموعة قصص المغربي علي أزحاف: نصوص تعالج أحوال البشر وعزلتهم الوجودية

صابر رشدي

ما زالت القصة القصيرة تبدي تألقها في عالم الأدب، وتجذب إليها قراءً وكتاباً جدداً، فقد تصاعد الاهتمام بها، بفضل عدد من المبدعين الذين أعادوا اكتشاف مساحات أخرى لم تُطرق من قبل، عن طريق التجريب والمحاولات الدؤوبة، والإخلاص لهذا الجنس الأدبي الساحر، بعدما استولت الرواية بإمكاناتها اللامحدودة على أجزاء كبيرة من الأنواع الأدبية والفنون المجاورة، للاستعانة بها في نثرها، وسرودها، وعوالمها، وإنتاج حكاية تكاد تتشابه مع الحياة التي نعرفها.

في مجموعته القصصية الأخيرة «عجوز وأربعة كلاب» يعود الكاتب المغربي علي أزحاف إلى عالم القصة القصيرة، ليضم مرة أخرى إلى قائمة مبدعيها، حيث كانت البدايات مع صدور مجموعته «نخب البحر» في عام 2008. يعود هنا إلى بناء نصوص أكثر تماسكاً وأكثر صلابة، تتكئ إلى الشعر ونقاء اللغة، وأسلوب خلو من التكلف، ومن الحشو الزائد، مستفيداً من كونه شاعراً صدر له عدد من الدواوين في المغرب ومصر وإيطاليا.

في قصة «الطائر» يستعرض الكاتب حكاية صغيرة جداً، بالغة التقطير والكثافة، عن طفل يترك حذاءه مغروساً في الوحل، ويمضي تحت المطر بـ«فردة» واحدة، لتيصم أصابعه الخمس في عمق هذا الوحل. لا يلتفت الطفل ليرى آثار خطاه، لكنه يشعر بغصة، فكم هو مؤلم أن يتخلى عنك حذاؤك وسط الطريق: «لم يكن الطفل يدري أن الأقدام العارية هي التي تبصم تاريخها على دروب السفر وأرض المنافي، وأن الأحذية محض مجاز مسموح يعشق المحو كبديل على امتداد اللحم للتربة، وانغام الأصابع في حفر البقاء». ثمة حل في نهاية القصة يباغتنا به أزحاف، عندما يسحب الطفل زوج أحذية من جيب معطفه ويغرزهما في جنبيه، ليطير مختفياً بين متاهات الغيوم الداكنة، متخلصاً بضربة واحدة من تتبع مسار هذه الرحلة. ربما بدهاء أيضاً، لأن مواصلة المضي معها ستبعد بها عن الاتجاه الفانتازي الذي أراده لها، وشق مسار آخر يعتمد الفلسفة والحكمة، مبتعداً بالقصة إلى وجهة أخرى قد لا تتناسب مع نصٍّ بطلُهُ طفل صغير يتيح له التخييل بأن يتحولَ إلى ملاك بجناحين، في فعل يتناسب لحظياً مع الحدث.

بينما في قصة «حديقة الشيطان»، ثمة ديالوغ يدور بين عجوز طيبة وكائن منسحق، ينم عن اهتمام المرأة بمخلوقات الله، إشفاقها على تلك الكائنات من تقلبات الطبيعة وقسوتها. تخاطبه وهي تطل من شرفتها:

«ماذا تفعل وسط الشارع في هذا البرد والمطر؟»

يجيبها بأنه يطارد الكلاب لكي يقودها إلى حديقة الشيطان، يتصاعد الحوار بينهما منغماً، ملغماً، تتفجر المعاني المضمرة من بين سطوره، لندرك أننا حيال نصٍّ مستغلق، لن يفتح أبوابه بسهولةٍ أمام القراءة العابرة، وأن هناك ما هو أبعد من الحكاية التي تنساب على الورق. نتذكر حينئذٍ نظرية جبل الجليد لهمنغواي، حيث حذف ما هو غير ضروري، وإشراك القارئ في استنطاق النص، بعد إخفاء جزء كبير منه، وترك القليل فوق السطح ظاهراً للعيان. فما اختفى سيترك أثره، ويضيف معنى آخر للسرد ادخره الكاتب لقارئه كي يكتشفه وحده، بعدما يتم تدعيم الحكاية بشخصية ثالثة، كي تتخذ القصة طريقها إلى الكابوسية، عندما تنبثق من ظلمات الليل سيارة أمن بها شرطي يأتي ليقطع الصلة بالحوار المتنامي، ليقود البطل إلى تلك المصائر التي ترمز إليها الشرطة في بلدان العالم الثالث، وتحديداً في الوطن العربي.

ثمة قلق وجودي يراود بعض نصوص هذه المجموعة، ويبسط ظلاله على أجوائها، ليغذي السرد بانطلاقات فنية، تعطي العابر واليومي والهامشي قيمة وتأثيراً، حيث الأشياء تزداد حضوراً كلما تم اجتذابها من الخفاء، ومن تجريداتها الأولى، ووضعها تحت الضوء، وتطويعها للحكي. يبدو ذلك واضحاً في قصة «رسالة من رجل لم يمت بعد» وهي قصة جيدة، اتخذت شكل الرسالة، لا يوجد بها عوار سوى عنوانها التقريري الكاشف، الذي لخص مجريات القصة مقدمًا، ووشى بخطتها، دون أن يلجأ إلى المرواغة. يبدأ الراوي، بضمير المتكلم، الأنا الساردة، وبالطبع لا بد أن يكون مونولوغاً داخلياً، طالما اتخذ شكل الرسالة، يستبطن الذات، ويكشف شأنَ كثير من هذه النوعية من البشر، الذين يتألمون لأقل الأشياء. إنه قلق، متوتر، وشديد الانتباه إلى ما يدور حوله، حتى نكتشف مع تمدد الرسالة أننا إزاء راوٍ مُنقاد، لم يفقد الكاتب السيطرة عليه منذُ اللحظة الأولى وهو يخط رسالته ويذهب بكلماته إلى أفكار تأملية.

في قصة تحت عنوان «حوار عادي»، يجري تفنيد سردي لأحد أوجه الضجر، لدى شخص يجلس إلى طاولة في مقهى صغير، يراقب العالم من ركنه الضيق، لا يلتقط سوى حوارات تتوافق مع العالم المحيط به، يتنصت على الآخرين، فلا يجد سوى خواء:

«هل هي الوحدة. برودة الناس والعالم من حولنا؟»

يتساءل، ثم يغيب في تأملاته، يسترجع قصص بوكوفسكي الشائقة، ويفكر في وحدة كافكا: هل قادته إلى الكتابة عن أماكن لم يزرها كأمريكا؟ وحنين هتلر إلى أماكن أكثر رحابة: هل هو الذي قاده إلى تدمير كل خطوط التماس بين المدن؟ يفكر حتى يعود إلى يقظته الذهنية، لكن أحوال البشر، والعزلة الوجودية، الاغتراب والنكوص إلى الماضي، البحث عن الأماكن الدافئة، الالتصاق بكرسي قديم وطاولة متهالكة، قد يكون بمثابة فردوس مفقود لبشر يعانون الوحدة.

الوحدة مرة أخرى، ولكن في شكلها الحقيقي لا المجازي، علاقة الإنسان بالحيوان، بديلاً من علاقة الإنسان بالإنسان. تأتي قصة «عجوز وأربعة كلاب»، لتكشف تسرب الزمن، مروره، تأثيره الخفي في البشرية، عن الكلاب التي ترافق البشر وتؤنس عزلتهم القهرية. وهذا الطموح السردي الذي نلحظه في الفترة الأخيرة، حيث الاعتراف بالحيوانات كشريك، وكائنات تتقاسم معنا جزءاً من حياتنا، خاصة هؤلاء الذين فضلوا الانعزال عن العالم، وانزووا جانبا، نحن بصدد عجوز يقضي حياته في صمت، وحيداً في فراشه، متوارياً عن العالم داخل بيت قديم:

«حركات هذا الوجه المتوتر، وحدها من تشي بوجود آدمي ممدد فوق هذا السرير الضخم الذي يبدو مثل حيوان رابض فوق زمن أسطوري». الكلاب تؤنس وحدته، تعطيه بعض الأمان، ربما تجعله يشعر بأنه ما زال حياً، تقول له عرافة القرية التي تزوره بين الحين والآخر وهي تشعل مجامر البخور لطرد الأرواح الشريرة، ورائحة الرطوبة العفنة من غرفته: «نباحها يحميك، يطرد الموت ويجعل دخوله من باب دارك أمرًا مستحيلاً».

لكنه الموت، يخطف الكلاب الأربعة، واحداً تلو الآخر. يختفي نباحهم من سماء القرية تماماً. الموت، حليف الزمان الذي لم يخذله إطلاقاً، ونهاية كل شيء. تغيب العرافة أيضاً عن الوجود. لينسى الناس تعاويذها الغامضة. يتقلص العالم حول العجوز، يتقلص الزمن، ولم يعد هناك من عمل سوى انتظار النهاية فوق فراش بارد.

في هذه المجموعة، يحاول علي أزحاف أن يراقب العالم من منظوره الخاص، مهتماً بإنتاج نصوص تعتمد على التنظيم الواعي أحياناً، وعلى الاتجاه السوريالي أحياناً أخرى. مولعاً بالواقع الخارجي لأبطاله، وبالتحولات الجذرية، منطلقاً من نقطة التحولات دائماً، سهلة التقلت من المبدع غير الخبير، قابضاً على مادة هذه الانعطافات، مدركاً عملها الخفي في حياة الشخصية من خلال الحساسية الدقيقة، والأفكار الموحية. إنها العناصر ذات التأثير النافذ التي تهب النص أصالته، وتغذيه بالإيحاءات والتفاعل بين المعاني المتفرقة. يتحقق هذا الإحساس عند مطالعة نصوص كـ«تشعل سيجارة.. يستنشق الدخان» التي ترصد بكاميرا عالية الدقة تصرفات رجل وامرأة، يجلسان إلى طاولة في أحد المنتزهات، يوزع السرد بضمير الغائب بينهما، ويعين المراقب، حيث لا مفر هنا من استخدام الوصف منذ الجملة الأولى حتى النهاية:

«هو يشرب "كوكا كولا" باردة في كأس طويلة. هي تشرب بيرة "بيروكي" في قدح زجاجي كبير، تكسوه غشاوة ندية. هو بلحيته المشذبة بعناية، ورأسه الضخم. هي ببطنها البارز قليلاً، والتفاتاتها الصقرية. هو يتأمل ملامح الطاولة. هي تتصفح قائمة الطلبات».. إلخ. يتصاعد الوصف، ليرسم لوحة كاملة لهذه الجلسة الغرامية، تتوزع الألوان والظلال على المشهد بأكمله، حتى يستنطق المتلقي الصورة، ويصل إلى المسكوت عنه، الذي تم إبطال خاصيةِ الحوار من أجله.

هناك أيضاً عدد من نصوص هذه المجموعة يستحق التأويلات المتعددة، ويفسح مجالاً واسعاً لأكثر من قراءة وأكثر من وجهة نظر، فالكاتب آثر الدخول في مناطق مأهولة بالغموض الفني، تاركا للقارئ مساحة يعيد فيها إنتاج هذه القصص، واستخلاص معانٍ أخرى من المضمر والمستتر والرموز المخبأة تحت السطور.

> ثمة قلق وجودي يراود بعض نصوص هذه المجموعة، ويبسط ظلاله على أجوائها، ليغذي السرد بانطلاقات فنية، تعطي العابر واليومي والهامشي قيمة وتأثير

علي أزحاف: «عجوز وأربعة كلاب»
منشورات أبييدي، الإسكندرية 2023
111 صفحة.

المقال

زياد ماجد

القبول بمواجهة محدودة مع إيران لاستكمال المذبحة في غزة

تثير المواجهة المباشرة بين تل أبيب وطهران، وما تخلّلته حتى الآن من هجوم إيراني على إسرائيل ليل 13 ـ 14 نيسان/ أبريل الجاري ردّاً على قصف القنصلية في دمشق ومن عملية إسرائيلية استهدفت قاعدة جوّية إيرانية في أصفهان ليل 18 ـ 19 من الشهر ذاته، العديد من الملاحظات، وتطرح سؤالاً أساسياً: هل ستوظّف إسرائيل الدعم الغربي المتجدّد لها بعد أن تحوّلت الأنظار عن غزة نحو الجبهات الإقليمية المختلفة والخشية من انفجارها، لتسرّع حرب الإبادة وتجتاح رفح؟

ثمة مؤشّرات تدفع للميل لهذا الافتراض.

فالواضح أن طهران والشمال لا تريدان التصعيد إقليمياً. وتل أبيب التزمت مرحلياً بالسقف الأميركي، لكنها تجهد في المقابل لتقليص الاشتراطات والضغوط عليها كي تسير في تنفيذ عمليّتها في جنوب القطاع.

المعادلات الإيرانية والإسرائيلية والأميركية

بعثت إيران إذاً، عبر هجومها الناري الأخير، رسالة مفادها أن خرق الغارات الإسرائيلية المتكرّرة على قواتها ومراكزها ومواقع إمدادها في سوريا الخطوط الحمر المتعارف عليها دولياً (عدم استهداف البعثات الدبلوماسية والقنصلية، الجميّة بموجب اتفاقيات فيينا للعامين 1961 و1963) سيؤدّي إلى ردود عسكرية مركّبة. وعبّرت في نفس الوقت عبر إطلاق المسيّرات والصواريخ من أراضيها بما يُتيح رصدها ويمنح ما يكفي من الوقت للأميركيين والإسرائيليين إسقاطها قبل وصولها إلى أهدافها، أنها تكتفي بإظهار قدرتها على الأذية إن شاءت وأن أرض الإطلاق يمكنها أن تتغيّر، من جنوب لبنان وسوريا مثلاً، بما لا يجعل الاعتراض يسيراً.

وهذا يعني سعياً من طهران لعدم استعراض مشهدي للقوّة في سماء المنطقة للعودة إلى قواعد اشتباك سابقة لقصف قنصليتها في دمشق وقتل قادة من الحرس الثوري داخلها.

وإسرائيل من جهتها، نفّذت هجوماً لم تعلن مسؤوليّتها الرسمية عنه بعد، يرجّح أنه بالصواريخ بالتزامن مع تحليق طيرانها في أجواء العراق. ويبدو بحسب الأقمار الاصطناعية أنه أصاب قاعدة جوية إيرانية في أصفهان، غير بعيدة عن موقع نووي.

بذلك تكون تل أبيب قد ردّت بدورها بضربة محدودة «التزاماً بالرغبة» الأميركية، قالت من خلالها إنها تستطيع استعادة زمام المبادرة واستهداف مواقع حسّاسة، لكنها تكتفي مرحلياً بهذا القدر من التصعيد.

أما أميركا التي دخلت في المسار الانتخابي الرئاسي الحساس، فنجحت في منع سيناريو المواجهة الواسعة التي نادى بها أعضاء في حكومة نتنياهو. وأكّدت من خلال مشاركتها في الدفاع عن إسرائيل ثم في ضغطها عليها ليكون ردّ فعلها رسالةً أكثر منه عملاً عسكرياً يُفضي إلى استجلاب هجمات إيرانية أو حليفة، أنها تريد مثل طهران العودة إلى القواعد التي حكمت العمليات قبل قصف القنصلية الإيرانية في دمشق. علماً أن التفاوض بين إيران وأميركا على الملف النووي لم يتوقّف، وآخر جولاته حصل في مسقط قبل فترة، ولو أنه لم يتقدّم كفاية، وسيزيد التلويح بعقوبات أميركية وغربية جديدة على طهران من تعقيداته.

في موازاة هذه المعادلات الإيرانية والإسرائيلية والأميركية، ظهّرت الهجمات العسكرية في الأسبوعين الماضيين مواقف طرفين إضافيين انخرطا فيها بشكل أو بآخر.

حزب الله والأردن والخشية من الحرب الشاملة

الطرف الأول هو حزب الله. فقد وجد الحزب، الحليف الأقوى لإيران، الذي يخوض حرباً مع إسرائيل منذ 8 تشرين الأول/أكتوبر 2023 على حدود لبنان الجنوبية تتصاعد حدّتها منذ شهرين، نفسه في موقع شديد التعقيد، لا يريد، مثل إيران، الذهاب إلى حرب شاملة لأسباب ترتبط بحسابات طهران وحسابات قيادته، ولا يستطيع استخدام أسلحته الثقيلة لأنها معدّة للدفاع عن وجوده وعن البرنامج النووي الإيراني (غير المهدّد اليوم)، ولأن ذلك سيؤدّي إلى ردود إسرائيلية أشدّ ضراوة ليس بمقدور قاعدة الحزب الشعبية في الجنوب، ولا بمقدور لبنان تحمّلها في ظل الانهيار الاقتصادي والتوتّر والانقسامات السياسية. لكنه يعي في نفس الوقت أنه بات ينزلق تدريجياً نحو مواجهة ترفع إسرائيل كلّ مدة من وتيرتها، وتفرض عليه التعامل معها ومع خطر الاستنزاف القائم وتآكل قوّة الردع التي لطالما اعتبرها ميزة التلويح بصواريخه وجهوزيّته القتالية.

والحزب إن بقي بمنأى عن التوظيف الإيراني والرد الإسرائيلي في الهجوم الأخير، يدرك أنه سيخرط لا محالة في المواجهة إن توسّعت، ويضع الأمر في الحسبان ويتحضّر لكل فأكثر لاحتمالاته.

الطرف الثاني الذي انخرط جزئياً في المواجهة الأخيرة هو الأردن، بعد أن عبرت بعض المسيّرات والصواريخ الإيرانية أجواءه، فشارك مع الأميركيين (والفرنسيين والبريطانيين المتمركزين في أرضه) في إسقاطها. ومشاركته هذه يمكن تفسيرها، بمعزل عن السخط الشعبي في المملكة وفي المنطقة تجاهها، على أساس خشيته من تحوّل سمائه إلى فضاء مواجهة إسرائيلية إيرانية مفتوحة تُصيب أمنه و«استقراره»، وهو القلق أصلاً مما يجري في الضفة الغربية ومن مشاريع اليمين الإسرائيلي المتطرف لتهجير فلسطينيين منها نحو أراضيه. على أن التساؤل عن مدى قدرة عمّان على التصدّي للطائرات الإسرائيلية أيضاً إن اخترقت أجواء المملكة مستقبلاً لقصف إيران أو حلفائها العراقيين تظلّ مشروعة، ويمكن للجواب الفعلي عنها أن يحدّد شكل تموضع الأردن إقليمياً وفي العلاقة مع تل أبيب ومع حلفائه الغربيين.

اجتياح رفح والنقاشات الإسرائيلية الأمريكية

من الواضح بعد مجمل هذه الأحداث، وبعد الرسوّ المرحلي للمعادلات الإقليمية على قرار الأطراف بلجم المواجهة والعودة إلى أسلوب العمليات العسكرية الذي يُبقي الاشتباك والتوتّر قائمين ولا يتخطّاهما نحو الحرب الشاملة، أن إسرائيل تريد الاستفادة ممّا جرى، لإطلاق يدها في رفح.

فقد ظهر منذ 14 نيسان/أبريل أن نتنياهو سعى مباشرة إلى استغلال المواجهة المباشرة مع إيران لإبعاد الأنظار قدر المستطاع عن جرائم الإبادة المتواصلة في غزة وعن التهجير والقتل والاجتياحات الموضعية في الضفة الغربية، ولحشد تأييد غربي مماثل للذي جرى التعبير عنه بعد 7 تشرين الأول/أكتوبر 2023، والذي تقلّص مع مرور الوقت وظهرت انشقاقات فيه، بقيادة بلجيكا وإسبانيا وإيرلندا واسكتلندا، وازدادت الأصوات في العواصم الأوروبية المستنكرة للمذابح في غزة، واتّخذت منحى جديداً بعد دعوى جنوب أفريقيا في محكمة العدل الدولية.

وإذا كانت التصريحات والمواقف الغربية بمعظمها عبّرت عن تضامن مع إسرائيل بلغ ميدانياً حدود مشاركة أميركا وبريطانيا وفرنسا في الدفاع العسكري عنها، إلا أن ذلك ترافق أيضاً مع دعوات «لضبط النفس» وتجنّب الحرب. وترافق كذلك مع تكرار الدعوات لعدم اجتياح رفح. وهذا ما لا يُرضي نتنياهو وحكومته.

على أن المستجد في هذا السياق، أن تل أبيب انتقلت إلى ما يشبه طلب الحصول على مقابل لعدم إشعال المنطقة وتوريط الأميركيين في مواجهة واسعة، من خلال ابتزاز قوّامه «الحرب الشاملة أو رفح». وتُبيّن حصيلة المفاوضات الأميركية الإسرائيلية قبل أيام، أن الرفض الأميركي للعملية تحوّل إلى اشتراطات عليها، ترتبط بإخراج مدنيين وبفتح «ممرّات آمنة»، وبالسماح بوصول بعض المساعدات الإنسانية لوسط القطاع وشماله، ممّا يعني أن احتمالات الهجوم على رفح تتزايد، وأن المفاوضات على هدنة جديدة وعلى تبادل أسرى ورهائن ومعتقلين تتراجع. وهذا بالطبع أمر شديد الخطورة والفظاعة، حتى لو نجحت بعض الجهود والضغوط في وضع مشروطيات لمساره...

في انتظار تبلور المعطيات حول المجريات الميدانية المقبلة، يبقى القول بأننا نراوح في حقبة سيستمرّ العنف والصدام فيها لفترة غير قصيرة، وبأشكال وعلى جبهات مختلفة، وسيرسم ملامح ما سيليه بعد حين، إن داخل الدول المعنية مباشرة به أو في «الشرق الأوسط» ككلّ.

كاتب وأكاديمي لبناني

رأي

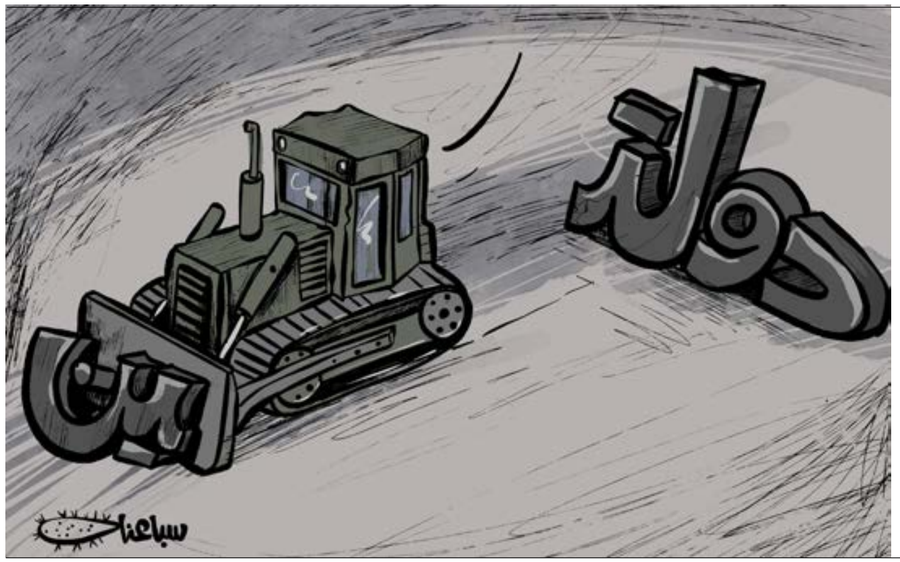

كاريكاتير: محمد سباعنة

منصف الوهايبي

فلسطين: من أجل الاحتفاظ بالحياة على قيد الحياة

«إنما يكتب التاريخ المنتصرون» عبارة تجري على السنة كثيرين كما بسهولة ويسر، وكأنّها حقيقة مطلقة. وهي تنسب إلى الصحافي والكاتب الفرنسي اليميني روبرت برازيلاك الذي أعدم رميا بالرصاص (1909 ـ 1945)، في فيلم «الإخوة الأعداء»؛ مع أنّ التاريخ نفسه يكذّبها. ودون توسّع في اختبار هذا الادّعاء، ننبّه إلى الفضاء المرجعيّ «اليميني» الذي تتنزّل فيه هذه المقولة. وهو فضاء متعدّد المستويات وغير ثابت بالضّرورة، نظرا إلى كوننا نستطيع ضمنه أن نستند إلى بعض تمفصلات التاريخ قديما وحديثا؛ للوقوف على بطلانها، والمؤرّخ ليس قاضيا ينشد الحقيقة في ذاتها، والبرهان بالخلف يبيّن لنا أنّ «الحقيقة» لا تقوم في المعارف السّائدة خارج إطار الفلسفة من حيث هي بعبارة أرسطو: «العلم الوحيد من بين جميع العلوم الذي يمثّل مبحثا حرّا لأنّه الوحيد الذي يكون غاية ذاته». ومعنى ذلك أنّ التاريخ مدعو إلى أن ينخرط في صراع ضدّ هذه المعارف التي لا تتوفّر على الحقيقة في ذاتها، وإنّما على أحكام أخرى تزعم أنّها الحقائق بعينها؛ وهي ليست أكثر في عرف المنتصر من صياغة ذاكرة جماعيّة وتثبيتها، وهو يدفع سرديّة باخرى أو ينسخ هذه بتلك بترا أو شطبا أو محوا؛ حتى من المناهج المدرسيّة والعملات والمعالم الأثريّة. في ما يسمّى بـ«قوانين الاستذكار» من أجل تكريس تفسير مخصوص للماضي تقول به السلطة، حتى يصلب أسُّ بنائه ويشتدّ.

على أنّ حركة المقاومة الفلسطينيّة ما انفكّت تنبّهنا إلى أنّ الزمنيّة الخطّية لا تناسب زمنيّة المقاومة، بل إنّ هذه الزمنيّة لا تتوزّع إلى ماض وحاضر ومستقبل، وإنّما هي على ما نرى، وما نرجّح، حاضر أبدي، ولا يحتاج مؤرّخونا، بموجبها إلى أن يعيدوا إحياء «الموتى» من شهداء، فهم حاضرون في الذاكرة وفي الوجدان الإنساني الذي لم تخمد جذوته رغم سطوة الإعلام الغربي. وليس المقصود بهذا «العولمة» النمطيّة المعادية لكل ما هو إنساني، أو هي إقامة معلّقة في أرض الآخر، وإنّما «الكونيّة» التي تجعلنا نحن البشر شعوبا مؤتلفة، ولا جامع بينها سوى إنسانيتها؛ على النحو الذي نراه اليوم في المظاهرات التي تنتصر لفلسطين في هذا «الغرب» الذي يجعل عتاته والمتنفّذون فيه مالا وسلاحا وإعلاما، من دولة الاحتلال «قاعدة عسكريّة» في قلب العالم العربي وليس واحة للديمقراطيّة كما يزعم. وتاريخ الاحتلال كان ولا يزال منذ النكبة، محفوفا بممالحات وسجالات دينيّة لاهوتيّة وسياسيّة إيديولوجيّة، لا سند لها من الواقع، بل هو نوع من أساطير السلالة وزائف الآثار؛ من دون أن يفلح أصحابها في ترميمها وإصلاح ما فسد منها وتفرّق. فلا غرابة أن لا تتوفّر همجيّة الاحتلال في غزّة عن تدمير كل التراث الفلسطيني حتى المخطوطات والمنسوجات والأخشاب والبردي والفخّار والزجاج والنقوش والمعادن. فنقف من ذلك كله على طرق ومناهج في رواية التاريخ، ليس بميسورها رغم بطش الآلة العسكريّة والإعلاميّة الإسرائيليّة والغربيّة، أن تراب صدعا في نصّ الأحداث، أو أن تنسف الحقيقة كما يرويها ويعيشها الفلسطينيّون في جزئياتها وتفاصيلها شهادات ووثائق وآثارا؛ ويثبتونها في مشاهد تمحى.

بل إنّ المؤرّخ حتى وهو يحتكم إلى قناعته الوجدانيّة، كلمّا أعوزته البراهين؛ هو الذي يحاور هذا الحاضر باستمرار؛ ضمن الوعي بأنّ المقاومة منشدّة إلى نهضتها مثلما هي منشدّة إلى سابقها، بل لاحقها ولا هو لا شكّ زوال الاحتلال الغاصب الغاشم. المؤرّخ اليوم وهو طرف في هذا الصراع الدامي لا يحاور الماضي، أو يعيد بناءه، وكأنّه قناع ستيفن في رواية جويس «عوليس» حيث التاريخ أقرب إلى شبهات مرهقة تثقل كتفيه: «التاريخ كابوس لا أزال أبذل ضائعا، لكي أستيقظ منه»، أو ما يقوله بنيدتو كروتشه، وكأنّنا نرى كرة تردّد: «كلّ تاريخ إنّ هو إلا تاريخ معاصر [مزامن]». ومثل هذه الشواهد وغيرها ممّا لا يتّسع له هذا المقال، قد لا تصلح لفهم «طوفان فلسطين» حيث يمثل التاريخ/ الراهن، بموجبها بكل تعقيداته وتفاصيله ومن دون مساحيق؛ ويغدو كما الفلسفة منهجًا للفكر وصياغة العقل، من أجل تنسيب الحكم على الأشياء. التاريخ الذي يصنعه الفلسطينيّون والفلسطينيّات أطفالا وشبابا ورجالا ونساء وشيوخا وعجائز؛ ويدوّنونه صوتا وجرْسا وصورة وحرفا ودما. على ضرورة التنسيب، فـ«الحقيقة» لا تنتمي إلى الماضي كما نتوهّم، وإنّما إلى «الحال» أي الحاضر؛ ونحن نسترسل مع الفلسطينيّين وهم يبنون راهن فلسطين سواء في جوانبه العامّة أو في جوانب منه مخصوصة مكانا وزمانا؛ فثمّة دائما «منظور» أو وجهة نظر؛ ومن حقّهم أن يتخيّروها؛ وهم الأدرى بها.

قد نهمل في التاريخ رواية مجهولة ونسترسل إلى أخرى منسوبة موثّقة، وقد ننحّي الضعيفة ونبقي الأقوى فنفترض عليها شتى الافتراضات، ونثق بعض الثقة من أن أمورها تسير على أصول من المنطق والتعليل؛ ولكنّنا حتى في هذه الحال لن نظفر إلاّ بـ«حقيقة» قلقة. لكن باستطاعتنا، في هذا التاريخ الفلسطيني الحيّ، أن نعيد الترتيب الأصلي وأن نفرز المنحولات، وأن نسترشّ الصورة النابضة بأكثر ملامحها وتفاصيلها. فقد ولّى زمان ما يسمّى «الخبرة الاستعماريّة» التي أحدثت منذ منتصف القرن التاسع عشر تغييرا جذريّا وتحوّلا نوعيّا في ثقافتنا وتاريخنا. وهي خبرة أفضت إلى «شعور بالدونيّة» إزاء التفوّق الغربي القائم على القوّة عسكريّا وتقنيّا وسياسيّا، وإلى تصدّع في البنية الإيديولوجيّة التقليديّة؛ وإن لم تتشظّ تماما أو تنحلّ. وقد آن لنا عربا وأفارقة وأحرارا من كلّ أصقاع المعمورة أن نتخلّص بفضل هذا «الطوفان الفلسطيني» من الخلط التزمّيني ومن «التّقليد» السّلفيّ بالزّمن، وهو أحد أعراض كتابة التاريخ في دولة الاحتلال؛ فلهم «خلطهم» وأساطيرهم، ولنا تاريخنا. ذلك أنّ ما يفعله المتعصّبون منهم، ليس أكثر من تحويل التاريخ إلى ذاكرة تستحضر يوتوبيا مفقودة، واليوتوبيا «اللامكان» مفقودة أبدا؛ إذ هي تتعلّق بمكان خيالي.

ولنا اليوم في ثقافة وسائل التواصل الاجتماعي وما تنسجه من وشائج بين المرئي والمسموع، خير سند لما نحن فيه من أمر هذا التاريخ الحيّ؛ ونحن نجلس إلى حواسبنا وهواتفنا التي تروّض عقولنا، وتوفّر علينا أدوات تأنيسها، ووجود وسائل الاتّصال الاجتماعي يغيّر من نمط المعطيات التي نأخذ بها، في مسألة من المسائل مثلما يغيّر من نسق المناهج التي نعتمدها في معالجة هذه المعطيات، إذ يركّز إمكانات التنظيم السمعيّة والبصريّة وقدراتها، ويزوّدنا بأصول ترتيب أكثر نجاعة وجدوى من حيث التحديد والتقسيم وشدّ الروابط وعقد العلائق، وردّ الأشياء على اختلافها إلى طبقات وأنواع وطوائف وأجناس. وغالبا ما يؤدّي ذلك إلى تثبيت قول (ملفوظ) بقرينة دالة (فيديو مثلا) أو بسياق مخصوص، في نظام من المعارضات، ثابت لا يتغيّر؛ إذ يتسنّى بهذا الصنيع، أن نختزل دلالة الشيء أو حقيقته نسبة إلى مُلاحظه.

وثمّة قاعدة معروفة في السينما، تنصّ على أنّ العلاقة بين الكلمة والصورة، علاقة تكامل؛ فلا الكلمة تكرّر الصورة، ولا الصورة تكرّر الكلمة. وهذا ما يفلح فيه الفلسطيني، بكل حرفيّة وموضوعيّة وشجاعة؛ أكثر من السياسيّين الذين يتعاملون مع السياسة على أنها «فعل كاذب» أو حنث في الصنيع وفي القول. ولكن كيف لكلّ هذا الجمهور الخليط في دولة الاحتلال حيث يحظر على الإعلام نقل الجرائم المروّعة التي ترتكب في غزّة وفي الضفّة، أن يصدّق ما يسرده عتاة اليمين الإسرائيلي؟ اللهمّ إلاّ أن يكون الأمر صورة من «بودَيْزن» حيث يُنظر إلى المعلّم على أنّه تجسيد حيّ لبوذا، فيضع نفسه بين يديه، كما يضع المريض حياته بين يدَيْ جرّاح ماهر. كلّ ما يمكن تقريره في فلسطين اليوم أنّ الواقع التاريخي موضوعي وموجود بصانعيه الذين هم صنيعة تاريخ أيضا. الأمر الذي يضفي على التاريخ معنى ما، بل يجعله يلتوي، ولا يجري في خطّ مستقيم، والزمن ليس خطّيّا وإنّما هو ثقافيّ أو لولبي. ويبقى التساؤل ما إذا كان التاريخ علمًا؛ لأنّ ما يميّز العلم إنّما هو الحياد التام والموضوعيّة. والمؤرّخ ملزم بالأمانة وليس بالموضوعيّة، إذ ليس بميسوره أن يتحلّل من عصره ومن فكره.

والسؤال ما إذا كان للتاريخ بمعنى الواقع التاريخي أو معرفة الماضي معنى، وما إذا كان بالإمكان فهمه أو وعيه أو تفسيره؛ أو الاستئناس به في بناء عقلانيّة الخطاب التاريخي، أو النأي به عن كونه أشبه بقصّة لها بداية ووسط ونهاية «أخلاقيّة»؟ وكأنّ لا معنى للتاريخ سوى ظهور الأخلاق أو الإعلاء من شأنها، وتحقيق «الطبيعة/ الطبائع الإنسانيّة». وليكنْ فها هي فلسطين تعيد التاريخ إلى الحياة، حتى وهو يُهدم ويبنى ثانية في عود أبديّ لا ينقطع، وليس مجرّد سرد لوقائع وأحداث استئناسا بوثائق وشهادات وآثار.

كاتب من تونس

الهند تبدأ انتخابات عامة يرجح فوز مودي فيها

أدلت الدفعة الأولى من أصل مليار ناخب تقريبا في الهند بأصواتها الجمعة في انتخابات تستمر عدة أيام، وذلك في ظل سعي رئيس الوزراء ناريندرا مودي إلى الفوز بولاية ثالثة نادرة وسط مجموعة من القضايا مثل النمو والرفاه وتزايد النعرة القومية الهندوسية.

وتضع الانتخابات حزب بهاراتيا جاناتا الذي ينتمي إليه مودي في مواجهة تحالف من 24 من أحزاب المعارضة وعد الناخبين باتخاذ إجراءات أكثر إيجابية وتقديم المزيد من العطايا النقدية مع التشديد على ما تصفه ضرورة إنقاذ المؤسسات الديمقراطية.

ويحق لقرابة 970 مليون شخص التصويت في انتخابات من سبع مراحل، وهي أضخم انتخابات في العالم، وتستمر حتى الأول من حزيران/يونيو ومن المزمع إعلان النتائج في الرابع من الشهر نفسه.

وتشير استطلاعات الرأي إلى أن حزب بهاراتيا جاناتا سيفوز بالأغلبية بسهولة، على الرغم من قلق الناخبين من البطالة والتضخم وتردي أوضاع المعيشة في المناطق النائية في الدولة الأكثر سكانا في العالم وذات الاقتصاد الكبير الأسرع نموا.

أداب وفنون

بينهم أدباء أمثال جبران وجبرا ومعلوف: كتبوا بلغاتٍ أخرى

عبد الواحد لؤلؤة

ثمة عدد قليل نسبياً من الأدباء العرب ممن كتب بلغات غير العربية، ولو أن هناك عددا غير قليل ممن نُقلت أعمالهم إلى لغات أخرى. وأول مثال على ذلك، كتاب «الأيام» لطه حسين، الذي نُقل إلى أكثر من أربعين لغة عالمية.

ومِن الكتّاب العرب الذين كتبوا أحياناً أعمالا باللغة الإنكليزية، أو الفرنسية، يحضر إلى الذهن الأديب الفلسطيني–العراقي جبرا إبراهيم جبرا، والروائي اللبناني–الفرنسي أمين معلوف الذي يكتب بالفرنسية، وقد نُقلت أعماله إلى أكثر من أربعين لغة. وثمة كتّاب عرب، لبنانيون بالدرجة الأولى، ممن هاجروا إلى الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الأولى، من مثل جبران خليل جبران، اللبناني الذي هاجر إلى نيويورك في أوائل القرن العشرين وأسس مع جماعة من الأدباء اللبنانيين «الرابطة القلمية» لنشر النصوص الشعرية من أدب المهجر.

وربما كان كتاب «النبيّ» (1923) من أشهر كتب جبران، وقد كتبه بالإنكليزية ثم تُرجم إلى حوالي خمسين لغة. ويدور الكتاب عن القيم والمعاني الإنسانية، ولغة الكتاب لغة متصوِّف يؤمن بوحدة الوجود، وهي لغة كانوا يموتون كل يوم. ومثل هذا حدث مع الأرمن المسيحيين في تركيا، وفي جبل لبنان. وقد وصف ذلك في قصيدة بالإنكليزية بعنوان «موتى هم أبناء شعبي». وعند خروج العثمانيين من سوريا، بعد الحرب العالمية الأولى، رسم لوحة كبيرة بعنوان «سوريا الحرّة» وقد نُشرت في عدد خاص من المجلة العربية «السائح» التي تأسست عام 1912 في نيويورك بجهود حدّاد وعادل بشارة، كما نشر كتابه الأول بالإنكليزية بعنوان «المجنون» مع كتاب «النبيّ» و«آلهة الأرض». وهناك بدأ مراسلة مع الأديبة مي زيادة ابتداء من 1912. لم تكن مما يحلم به أي أديب أو شاعر، ما أثبته جبران خليل جبران.

جبران خليل جبران

وتدور أحداث رواية «صيادون» عن شخصيات معروفة في المجتمع العراقي في بغداد، لا تخفى على القارئ المطلع على ذلك المجتمع في أواسط الخمسينات. ومن تلك الشخصيات، رؤساء وزارات وسياسيون وأدباء بارزون، ما يجعل الرواية أشبه بمرآة للمجتمع من دون كشف هوياتهم وعلاقاتهم مع بعضهم.

أمّا جبرا، فقد كتب أول رواية له بالإنكليزية بعنوان «صيادون في شارع ضيّق» ويستقي صورها من شارع الرشيد، عصب الحياة في بغداد في تلك الأيام. وقد كنتُ أول مَن قرأها فحاضرتُ عنها في مناسبات عديدة، وكتبتُ عنها أول مقالة بالعربية، نُشرت في مجلة «الأديب» البيروتية، في عدد نيسان 1962. وقد ترجم الرواية إلى العربية أحد تلامذته، الدكتور محمد عصفور، وهو أستاذ الأدب الإنكليزي في الجامعة الأردنية بعمّان.

جبرا ابراهيم جبرا

ولجبرا كذلك عدد من المجموعات الشعرية باللغة الإنكليزية، من أسلوب الشعر الحرّ، منها مجموعة «تَموز في المدينة» وقد أعاد كتابتها بالعربية.

ومن الأدباء المعروفين، أمين معلوف، الذي كتب عدداً كبيراً من الروايات باللغة الفرنسية، استقطبت الكثير من الأدباء في فرنسا قبل أن تُترجم إلى لغات عالمية عديدة.

ومن أعمال أمين معلوف بالفرنسية، رواية «سمرقند» و«ليو أفريكانوس» وكتاب «الحروب الصليبية كما يراها العرب» ورواية «التائهون» و«الهويات القاتلة».

والروائي أمين معلوف أديب واسع الثقافة، بل متعدد الثقافات، وقد حصل على العديد من الجوائز، وأبرزها جائزة «البُوكر» للرواية المكتوبة بالفرنسية.

في رواية «الحروب الصليبية كما يراها العرب» نجد اعتمادا على المصادر العربية الأصلية حول المحاربين فتسميهم المصادر العربية «الفِرنجه» ويقدم الروائي صورة مغايرة تماماً للروايات الأوروبية. وابتداءً من الحملة الصليبية الأولى يصف الفرنجه بأنهم قوم قساة متوحشون وجهلة متخلفون ثقافياً.

ومن روايات معلوف رواية بعنوان «ليو أفريكانوس» (1986) وقد كتبت على شكل مذكّرات تصف حياة رحّالة من القرون الوسطى، لا يُعرف عنه الكثير، ولكن الكتاب مليء بأحداث تاريخية تضع «ليو» بمصاف الكثير من الشخصيات الرئيسة في التاريخ القروسطي في مجال السياسة والثقافة، بمن فيهم الباباوات ليو العاشر، وأديان السادس، وكليمنت السابع، ومن الأباطرة العثمانيين سليم الأول، وسليمان القانوني، وأبوعبد الله، آخر ملوك الموريسكيين، ملك غرناطة، ومحمد الأول، وفرديناند ملك إسبانيا، وفرنسيس الأول ملك فرنسا، والفنان رافائيل، وآخرين كثيرين. ورواية «ليو أفريكانوس» كانت أولى روايات أمين معلوف، وقد نالت شهرة كبيرة لأنها تتناول المواجهات بين الإسلام والمسيحية، إلى جانب تأثير جانب على الآخر.

أمين معلوف

محددات الجرأة في الدراما التلفزيونية: الإنتاج العراقي نموذجا بعد العام 2003

مروان ياسين الدليمي

لن يتمكن أي عمل درامي من تحقيق مساحة مهمة من التأثير الجمالي لفترة زمنية بعيدة، إذا لم يستند إلى فكرة جريئة تتناول موضوعة معينة لها رصيد في الواقع، إضافة إلى العناصر الفنية الأخرى المكملة للعمل، والجرأة ضرورية في التجربة الفنية، ومن غير الوارد أن تكون غائبة عن تفكير الفنان، ومن خلالها تتوفر لديه فرصة إيصال خطابه إلى المتلقي بطرق وتقنيات مبتكرة تثير دهشته وتفاعله. وعلى الرغم من أولوية الجرأة وأهميتها، إلاّ أنَّه لابد من التعامل معها بحذر، طالما الواقع يفرض حدودا أخلاقية ودينية وقانونية، تمتلك درجة من الحساسية لدى القوى المجتمعية المهيمنة، وتتنوع هذه الحدود حسب الثقافة التي تحكم كل طبقة وشريحة في المجتمع، وعليه يتوجب على الفنان أن يكون على قدر من الذكاء عند محاولته التحرش والاصطدام بها، سعيا منه لإحداث تصدعات في جدرانها بقصد تغييرها. فما جدوى أن تعيد استهلاك الأفكار نفسها إذا لم تتناولها من زاوية جديدة تتسم بالجرأة؟ فالمتغيرات التي تشهدها المجتمعات الإنسانية دائما ما تطرح قضايا جديدة تواجهها، وهذا يفرض على الفنان أن يمتلك حساسية عالية في قراءة الواقع، وما يموج في أحشائه من أزماتٍ وأسئلة تحاصر الإنسان في حياته ومستقبله، وهنا يظهر موقع الفنان ودوره في تحفيز التفكير لدى المتلقين، وتوجيه انتباههم نحو الأسئلة والقضايا الجوهرية، فهو المعني قبل غيره في استقراء الواقع إبداعيا، وإعادة صياغته وفقا لرؤيته ومخياله.

الدراما أمام القضاء

إذا ما دار الحديث عن الأعمال الدرامية العراقية، منذ أن بدأ البث الفضائي بعد العام 2003 عندما انطلقت عشرات القنوات الفضائية العراقية، فإن الجرأة لم تكن متوفرة في معظمها، وهذا لوحده كان عاملا أساسيا في عدم قدرتها على استقطاب المتلقي المحلي وسحبه من دائرة اهتمامه بالدراما المصرية والسورية والتركية، ولعل سبب غياب الجرأة يعود إلى حضور سلطة الرقيب وسطوته، فإذا كان الرقيب قبل العام 2003 يتمثل بسلطة سياسية حاكمة لم تكن تتسامح مطلقا مع الأفكار الجريئة، فإن سلطة الرقيب بعد هذا التاريخ تنوعت وتمددت وتوزعت على مرجعيات مختلفة؛ دينية ومذهبية واجتماعية وعشائرية وميليشياوية ومناطقية بات نفوذها مخيفا. في مقابل ذلك تراجعت سلطة الرقيب الحكومي الرسمي بشكل كبير، وكان لتنوع مرجعيات الرقيب وسطوتها أن وصلت إلى الحد الذي أصبح من الوارد أن ترفع أي واحدة من هذه المرجعيات قضية أمام المحاكم إذا ما ذهب بها الظن بأن عملا دراميا قد وضعها في دائرة الانتقاد، وأشار إليها ولو بجملةٍ بصيغة التلميح، أو عبر شخصية ترمز إليها، وهذا ما حصل في شهر رمضان هذا العام 2024 عندما رفع مجموعة من أصحاب المولدات الكهربائية الأهلية التي تمد الأحياء السكنية بالطاقة الكهربائية، شكوى إلى القضاء ضد مسلسل «وطن 2» تأليف وإخراج مهند أبو خمرة، بذريعة تعرضهم إلى إساءة متعمدة وردت على لسان الممثلة زهراء بن ميم التي أدت الشخصية الرئيسية في المسلسل. كذلك مسلسل «عالم الست وهيبة» بجزئه الثاني تأليف صباح عطوان وإخراج سامر حكمت، تعرض لشكوى أمام القضاء رفعها رجال دين وبرلمانيون وساسة شيعة، كانت حجتهم أن استخدام اسم «مهيدي» للشخصية الرئيسية التي اتسمت أفعالها بالإجرام، القصد منه الإساءة لشخصية الإمام المهدي الذي يحظى بمكانة مقدسة لدى الشيعة. وفي 24 كانون الأول/ديسمبر من العام 2019 تم استهداف الممثل أوس فاضل أحد أبرز نجوم المسلسل الكوميدي «ولاية بطيخ» برشقة إطلاقات نارية، بينما كان يقود سيارته في أحد شوارع بغداد، وتعرض أيضا جميع نجوم المسلسل إلى عمليات «إبتزاز وتهديد مسلح» من قبل جماعات عشائرية بحجة انتقاد المسلسل لقبيلة عراقية في أحد مشاهده، كما تمت مهاجمة بيت مخرجه علي فاضل بالأسلحة الرشاشة.

الفرد لا يمثل الجماعة

خلال العقدين الماضيين، تعرّض عدد من العاملين في المسلسلات الدرامية إلى صور مختلفة من أعمال الترهيب والتهديد بالقتل، لمجرد تجسيدهم شخصيات درامية منحرفة، تنتمي لطبقة اجتماعية أو مهنة أو منطقة جغرافية معينة من العراق، وإذا ما حاولنا قراءة هذه الظاهرة لمعرفة خلفياتها وأسبابها، سنصل إلى أن ذلك يعود لتراجع ملحوظ في العامل الثقافي لدى العامة، وإلى قصور كبير في فهم طبيعة العلاقة التي تجمع الفن بالواقع، بمعنى أن هناك خلطا وضبابية في الرؤية، أدت بالتالي إلى عدم استيعاب فكرة مؤدّاها أن العمل الدرامي ينهض أساسا على التخييل في بناء موضوعه وأحداثه وشخصياته، وليس كما هي طبيعة الفيلم الوثائقي على سبيل المثال الذي يكتسب مصداقيته وواقعيته لكونه يخلو من التخييل، فلا غرابة في ظل هذا الفهم الملتبس لدى العامة من المتلقين، أن يتم النظر إلى كل شخصية تظهر في عمل درامي على أنها ترمز إلى جماعة تمثلها في الواقع، فعلى سبيل المثال إذا كان طبيبا منحرفا، ستجد استياء وسخطا من قبل الأطباء ونقابتهم، وهكذا سيكون رد الفعل إذا كانت الشخصية تمثل محاميا أو معلما أو قاضيا أو زعيما قبليا.

التجريد والترميز

تشهد حرية التعبير في العراق بعد العام 2003 أزمة مستعصية لا تقل عما كانت عليه قبل هذا التاريخ أيام كان البعث يحكم البلاد، وربما تعيش اليوم أزمة أشد اختناقا وبؤسا، بعد أن أصبح الشارع خاضعا لسلطة سلاح منفلت وميليشيات وزعامات قبلية ودينية، ومن السهل تشخيص ملامح هذه الأزمة في أوجه مختلفة من الحياة، ابتداء بالقمع الشنيع الذي سبق أن طال المتظاهرين في العاصمة بغداد وعدد من مدن جنوب العراق في مطلع تشرين الأول/أكتوبر 2019 وذلك عندما عمّت الشوارع تظاهرات واعتصامات حاشدة استمرت لما يقرب من عام كامل، كانت الشعارات المرفوعة فيها تطالب بإجراء تغييرات في بنية النظام السياسي لتحقيق العدالة الاجتماعية، فسقط ما يزيد عن 1000 قتيل من المتظاهرين معظمهم من الشباب، جراء العنف المفرط الذي اقترفته عناصر مسلحة ملثمة، لم تعرف حتى الآن مرجعيتها، مع أنها كانت ترتدي الزي الرسمي للقوات الأمنية العراقية.

بناء على هذا السياق نرى ارتباطا وثيقا بين ازدهار الإنتاج الدرامي والبنية الثقافية لعامة المجتمع،على اعتبار أن الفن الدرامي في مقدمة الوسائط الجمالية الأكثر جماهيرية للتعبير عن الأفكار والظواهر التي يطفح بها الواقع، انطلاقا من طبيعة العلاقة المباشرة التي تجمعه مع متلقين ينتمون إلى مستويات اجتماعية وخلفيات ثقافية مختلفة، لكنهم يتسمرون جميعا أمام شاشات القنوات الفضائية ليلا، للترويح عن أنفسهم بعد أن يعودوا من أماكن عملهم آخر النهار، وهذا الحال يفرض على الفن الدرامي أن يكون واضحا وبسيطا في خطابه الفني، ولا ينحاز في أسلوبه إلى التعقيد والغموض والترميز والتجريد، كما في الفنون الأخرى مثل الرسم والنحت والمسرح وحتى السينما.

الدراما والمدينة وتراجع المدنيّة

إذا ما تأملنا الحالة الثقافية في البيئة الاجتماعية العراقية خلال العقود الأربعة الأخيرة، سنرصد فيها ارتدادا وتراجعا كبيرا في حرية التفكير والتعبير، ونعزو ذلك إلى طبيعة الأوضاع السياسية التي مر بها العراق وما تركته من تصدعات كبيرة في الوعي، نتيجتها كانت انهيار منظومة القيم والتقاليد الثقافية المدنيّة التي شهدت أولى صور ولادتها مع بداية تأسيس الدولة العراقية عام 1921 واستمر التحوّل المديني ينمو ويضرب بجذوره في حياة سكان المدن العراقية لعقود طويلة، وإن كان التحول بطيئا بسبب الصدمات الاجتماعية الموروثة، إلى أن حلت كارثة غزو الكويت في 2 آب/أغسطس 1990 لتكون بمثابة لحظة افتراق تاريخية عن مظاهر وتقاليد الحياة المدنية، تداعياتها أن بدأت قيم القبلية والعشائرية والمذهبية تزحف بوتيرة متسارعة لتكتسح المدينة على حساب تراجع القيم المدنيّة وتضاءل دورها في حياة أبناء المدن.

مسلسل «روح» والاقتراب من الواقعية

من الصعب أن نرى الإنتاج الدرامي العراقي اليوم متحليا بالجرأة، طالما البيئة الاجتماعية أمست محكومة ثقافتها بخطوط حمراء عريضة، تفرضها قوى مهيمنة في سطوتها، وسيكون أمرا لافتا إذا ما خرج عمل درامي من وسط هذه العتمة حاملا قدرا من الجرأة، وهذا ما جاء عليه مسلسل «رُوح» تأليف محمد خماس وإخراج حسن حسني، الذي عرض في السباق الرمضاني لهذا العام، حيث يتناول العمل ما يتعرض له مرضى متلازمة داون من استغلال بشع في حياتهم اليومية، وتمثل الطفلة روح التي لم تتجاوز العاشرة من عمرها هذه الفئة من المرضى، وتتجلى جرأة العمل عندما تحمل روح، بعد أن يغتصبها منتسب لجهاز الشرطة برتبة صغيرة، مستغلا علاقته بجدّها الذي يكن له احتراما وثقة، وخلال 13 حلقة تجري عملية البحث عن المغتصب إلى أن يتم اكتشافه في الحلقة 14.

سيناريو المسلسل كان جريئا عندما انحاز للواقعية فقدم لنا شخصية منحرفة أخلاقيا، لها دوافعها الذاتية الخاصة بها التي تقف خلف سقطتها ولم نر أي إشارة لتعميم هذا النموذج على جميع عناصر الشرطة، وإذا ما استعرضنا تاريخ الإنتاج الدرامي العراقي الذي بدأ في ستينات القرن الماضي، لن نعثر على عمل درامي أظهر لنا شخصية شرطي بمثل هذا التصوير والبناء الواقعي من حيث الكتابة، وإذا لم تظهر ردود أفعال غاضبة من قبل مؤسسة الشرطة العراقية ضد الجهة المنتجة للعمل بعد انتهاء عرض حلقته الأخيرة، آنذاك سينتصر الوعي الثقافي العام، لأن شخصية الشرطي تمثل نفسها فقط، وليست تعبيرا عن ظاهرة عامة متفشية بين جميع عناصر الشرطة.

من الأهمية بمكان أن تصل الثقافة العامة إلى حالة مطمئنة من الوعي وهي تتابع عملا دراميا، فتنظر إلى سلوك الشخصية المنحرفة، باعتباره سلوكا فرديا مشروطا بالظروف والعلاقات داخل العمل الفني، فتتوقف عن تعميم الشخصية وإسقاطها على كل الذين تنتمي إليهم اجتماعيا أو مهنيا أو دينيا. فالعلاقة بين الشخصية الدرامية والواقع تعتمد على السياق والرؤية الفنية التي من خلالهما يتم تصوير الشخصيات، ومع أن الشخصية الدرامية غالباً ما تُستلهَم من نماذج واقعية تعج بها الحياة، لكنها ليست صورة مستنسخة عنها بكل تفاصيلها، بل تبقى متخيلة عنها أو عن مجموعة ملامح متناثرة من شخصية أو عدة شخصيات، إلاّ أن مخيلة المؤلف تعمل على خلقها وفقا لرؤيته، وقد يكون للشخصية الدرامية تأثير كبير على المتلقين، وتساهم في إثراء ثقافتهم أكثر من الشخصيات الحقيقية المستلهمة منها، وهنا تظهر أهمية خطاب العمل الدرامي، خاصة عندما تتحلى رؤيته بالجرأة والعمق في التناول، فيتحول إلى وسيط جمالي يلهم وعي المتلقي ووجدانه إزاء قضايا إنسانية، ويحفزه على اتخاذ موقف منها.

تحقيقات

سحر التسمية ووهم الخرائط
«بناية الأسُود» في بيروت و«وعد» سايكس-بيكو

بناية الأسُود - بيروت

فواز طرابلسي

كنت وصديقة في سيارتها أرشدها إلى كيفية الوصول إلى منزلي في حي الوتوات. أشرت عليها ان تتجه نحو بناية «الاتحاد الوطني» بعد «حديقة الصنائع»، مطلع «شارع سبيرز» ثم تنعطف يمينا. قالت: أي. أعرفها. انها بناية الأسُود. قلت لها حين نصلها، ألقي نظرة على «الأسود». كم دُهشتُ لما شاهدت في واجهة البناية تمثالين لامرأتين مكشوفتي الصدر.

أمضيت القسطُ الأوفر من حياتي في رأس بيروت وفي ذاكرتي ان تلك البناية اسمها «بناية الأسُود». أمرّ قربها في الاياب والمجيء وأزور فيها مكاتب دار رياض الرئيس، صديقي وناشري. ومع ذلك لم يدفعني الفضول للتحري عن المفارقة بين اسم البناية ومشهد التمثالين على واجهتها. علّني افترضت، كما كثيرين، أنها واجهةٌ جديدة حلّت محل واجهة تجسد أسوداً كاسرة.

عدت للتفكير في «بناية الأسود» وأنا أقرأ مخطوطة الصديق جاد ثابت عن سيرة أبيه المعمار اللبناني اللامع أنطون ثابت الذي صمم البناية. أكد لي جاد وأرفق التأكيد بصورة فوتوغرافية أن الواجهة قائمة بشكلها الحالي منذ العام 1953 والتمثالان من صنع النحّات الفرنسي ماريوس جان دوربيه (1914–2001) الذي سكن لبنان لفترة ونحت أيضا نصبا لشهداء الجيش اللبناني.

لتلق نظرة فاحصة. منحوتة اليمين تمثل على الأرجح إلهة بحرية مستلقية عارية النهدين، يلاعب الموج ساقيها العاريين، شعرها معقوص داخل صدفة، تحمل باليد سمكة وقربها حيوان بحري وقوقعة ونورس. في جهة اليسار، تمثل المنحوتة إلهة رعوية، تحمل تفاحة، متجرّدة من ردائها وحولها غزلان أو عنزتان.

اسم البناية عنصر في الذاكرة الشعبية لأهالي منطقة رأس بيروت عمره سبعة عقود ونيّف من الزمن. تحول إلى لقب وأسدل اللقبُ الحياء الجمعي على مشهد عري عومل كعورة واستبدلتْ الانوثة فيه بالذكورة الحيوانية الضارية.

التسمية كائن أيديولوجي نادرا ما نأبه به وهو أشد العناصر الأيديولوجية مراوغة وتدليسا ونفوذا. آن نسمّي الشيء يعني ان نعيّن له هوية ومرجعا ونَسَبا وطبيعة وجوهرا. وقوة التسمية نابعة من البداهة، فالتسمية ليست بحاجة إلى برهان. زيد هو زيد وعمرو هو عمرو. وإذ يلقّب زيد «أبو خالد» مثلا فإذا هو رجل مكتمل الذكورية منجب للرجال.

وهكذا في حالتنا حيث حولت التسمية مشهدا بصريا إلى مشهد افتراضي بديل يدعو المارين إلى انكار ما يشاهدونه من انعدام التطابق بين اسم البناية ومشهد مدخلها. لنسمّ الأمر غض نظر ذهني أيضا يستدعي مقدارا من التواطؤ أو من الاستهتار.

بين خريطتين

ما العلاقة بين «بناية الأسود» في بيروت واتفاقية سايكس بيكو؟

كما ان «بناية الأسود» في رأس بيروت اسم لغير مسمى «اتفاقية سايكس بيكو» (9–16 أيار/ مايو 1916) اسم لغير مسمّى: فاسمها الرسمي «اتفاقية آسيا الغربية». فاوض عليها سايكس وبيكو ووقعا على الخريطة لكن التوقيع الرسمي تم بأقلام وزيري خارجية بريطانيا وروسيا غراي وسازانوف وسفير فرنسا في لندن، كامبون. وكان الغرض الأساسي من الاتفاقية هو تثبيت وعد بريطاني–فرنسي بمنح الشريف حسين دولة عربية مستقلة في سوريا يحكمها زعيم عربي، مقابل إعلانه الحرب ضد العثمانيين. وهذا مثبت في المادة الأولى من الاتفاقية.

تحتل سوريا الطبيعية - المنطقة المعدة لأن تكون الدولة العربية المستقلة – القسم الأكبر من الخريطة يخترقها خط يفصل بين منطقتي النفوذ الفرنسية شمالاً (A) والبريطانية جنوبًا (B شريط الساحل إلسوري الواصل إلى عكا جنوبا ملّون بالأزرق ويقع تحت السيطرة الفرنسية المباشرة. وولايتا الموصل وبغداد إلى اليمين ملوّنتان بالأحمر دليل أنهما تحت السيطرة البريطانية المباشرة وكذلك عكا وحيفا على الساحل الفلسطيني. وسنجق القدس، أي القسم الأكبر من فلسطين ملوّن بالبُنّي، وهو منطقة دولية بإدارة مشتركة بريطانية–فرنسية–روسية. تشارك الإمبراطورية الروسية في الاتفاقية على اعتبارها الحليفة الراعية للمسيحية الشرقية والموعودة باستعادة القسطنطينية في حال الانتصار.

منذ أن وقعت والاتفاقية وهي موضوع نزاع. فرنسا تعد نفسها بالسيطرة على «سوريا التامة» بما فيها فلسطين وبريطانيا مصممة على السيطرة على كامل فلسطين لحماية قناة السويس وسيطرتها في مصر. سوف يسدد إعلان بلفور في تشرين الثاني/نوفمبر 1917 ضربة قاصمة للاتفاقية إذ مهد لاحتلال الجيش البريطاني لكامل فلسطين التاريخية في أواخر ذلك العام. أخيرا، انعقدت المساومة التي أنتجت الحدود الحالية لأقطار المشرق عندما تنازل كليمنصو الفرنسي للويد جورج الإنكليزي عن لواء الموصل (لقاء حصة في النفط) وعن فلسطين لقاء تنازل الأخير لفرنسا عن سورية. تكرّس نظام الانتداب في مؤتمر سان ريمو، نيسان/ابريل 1920 بناء على خريطة جديدة قام بموجبها «الاتحاد السوري» و«دولة لبنان الكبير» تحت الانتداب الفرنسي. وضُم لواء الموصل - الذي كان سابقًا في سوريا – إلى لوائي بغداد والبصرة لتكوين مملكة العراق تحت الانتداب البريطاني، واستأثرت بريطانيا بالانتداب على كامل فلسطين وانشأت، عام 1921، إمارة شرقي الأردن تصل العراق بفلسطين. ورسّمَت اتفاقية بوليه–نيوكومب (1923) الحدود بين الدولتين المنتدبتين، أي بين جنوب سوريا ولبنان وشمال فلسطين.

تعدّى الأمر في زوغان النظر هنا إلى خريطة العام 1916 يرينا خريطة العام 1920، وأن الأولى نالت لقب «خريطة التقسيم» بدل الثانية. حمل اسم «سايكسبيكو» التعبيرَ عن جرح تاريخي فاغر خسر فيه عرب المشرق الاستقلال والطموح إلى الوحدة في ذلك العام 1920 الذي سمّي حينها «عام النكبة»، قبل ان تنتقل التسمية إلى عام 1948 الفلسطيني. وجسدّت الخريطة تقطيع أوصال الجسد القومي. لكن المثير هو تحول «سايكسبيكو» إلى شيفرة سحرية جيو–استراتيجية تحلل وتتوقع مشاريع إعادة رسم خريطة المنطقة ووجهتها الدائمة

> حمل اسم «سايكسبيكو» التعبيرَ عن جرح تاريخي فاغر خسر فيه عرب المشرق الاستقلال والطموح إلى الوحدة

التمثال - يمين

وعلى العكس من ادعاء غياب السرديات الكبرى بعد نهاية الحرب الباردة تنمو من خلال تلك اللغة سرديةٌ شاملة ما علينا إلا أن نجمع عناصرها المتفرّقة، من تسميات ومصطلحات وتراكيب، لتتبدّى أمامنا كونيةً وحدانية وغير مسبوقة.

من حيث المنهجية، طغى المكان على الزمان، والذاكرة على التاريخ، والسياسة على الاقتصاد، وفصل النصاب المجتمعي عن النصاب السياسي.

وفي الاقتصاد والاجتماع، طغى الأفراد على المجتمع («يوجد أفراد فقط لا يوجد مجتمع»– مارغريت ثاتشر) وحل «النمو» نتاج تلقائية آليات السوق والاستثمار الخارجي محل «التنمية» ابنة الدولة والتخطيط المركزي. وتحوّرت «العدالة الاجتماعية» – التوزيع العادل للفرص والموارد والثروات - إلى «الحماية الاجتماعية»، للحد من تدهور مستوى معيشة الفقراء وذوي الدخل المحدود نتيجة الآثار الاجتماعية المدمّرة لآليات السوق. في السياسة، الحوكمة والتعددية بدل الديمقراطية، وحقوق الإنسان المختصرة بالحقوق الشخصية والفردية، على حساب الحقوق الاقتصادية والاجتماعية وحق الشعوب في تقرير المصير. وفي عهدة «المنظمات غير الحكومية»، تحول المناضل إلى «ناشط»، بغض النظر عن وجهة النشاط أو هدفه وصار «المناضل» militant لقبًا للجهادي و«الإرهابي».

«التطبيع» هو أسم جديد لمشاريع «السلام» العربية الإسرائيلية. أترك لخيلة القراء التأمل في جدل الشاذ والطبيعي، والمحو والابدال، في مقاومة الشعب الفلسطيني وفي الصراع العربي الإسرائيلي خلال قرن كامل. هنا يبلغ سلطانُ التسمية ذروته حيث حرب إبادة جمعية تسمّى «حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها». اكتفي بسرد حادثة واحدة.

الأربعاء 13 آذار (مارس) 2024، طفل فلسطيني يحتفل بحلول شهر رمضان وهو يلوّح بلعبة نارية (فتيشة). تقتله رصاصة في القلب من قنّاص على برج مراقبة خلف جدار العزل. يهرع بن غفير وزير الشرطة لتهنئة أفراد الشرطة. ويعلن للصحافة: لن يكون تحقيق في الحادثة. سأعمل على تكريم الفاعل بوسام. وأضاف: هذا ليس طفلا عمره 12 سنة. هذا إرهابي عمره 12 سنة.

التسمية تقتل.

> يسدد إعلان بلفور في نوفمبر 1917 ضربة قاصمة للاتفاقية

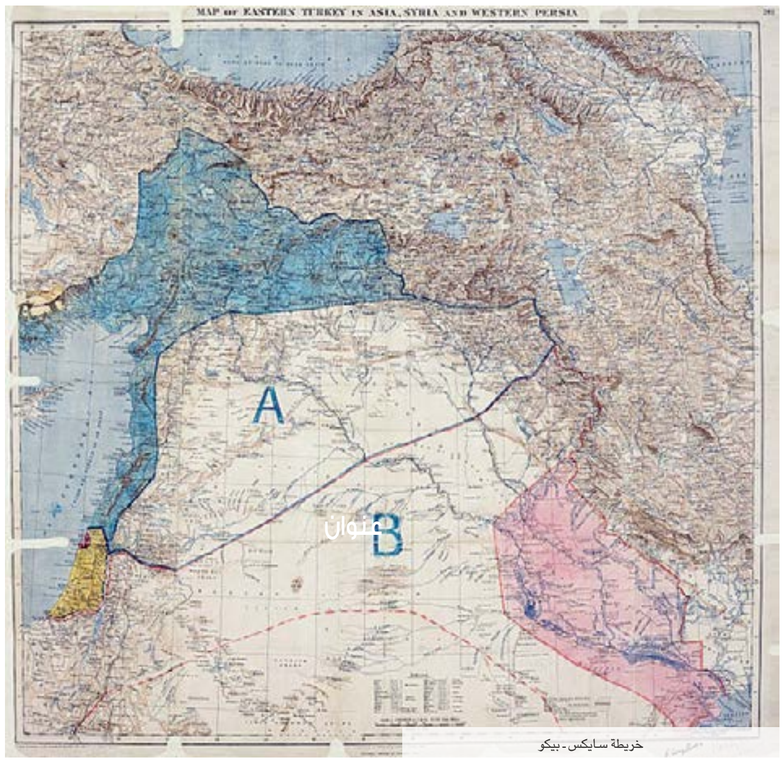

خريطة سايكس - بيكو

(*) من مداخلة في ندوة «العمران، زمان ومكان»، نقابة المهندسين، بيروت.

السجن ستة أشهر لصحافي بسبب حديث إذاعي

لندن – «القدس العربي»:

أصدرت محكمة تونسية قراراً الأسبوع الماضي بالسجن لمدة ستة أشهر ضد الصحافي محمد بوغلاب وذلك بتهمة الإساءة إلى موظفة عامة على خلفية مداخلة إذاعية سابقة.

وحسب التفاصيل التي نشرتها وسائل الإعلام التونسية فقد قضت المحكمة الابتدائية في العاصمة تونس بالسجن ستة أشهر بحق بوغلاب وذلك بسبب حديثه في برنامج عبر إذاعة «كاب أف أم» في آذار/مارس الماضي، حيث تحدث في مداخلته عن شبهات فساد تتمثل بالسفر على حساب الدولة، تلاحق عاملة في وزارة الشؤون الدينية.

وخلال المحاكمة نفى بوغلاب التهم الموجهة إليه، مؤكداً أنه لم يسئ إلى أيّ طرف، وأدى دوره كصحافي من واجبه كشف الفساد في حال امتلاكه وثائق تؤكد وقوعه.

وأشار إلى أنّ وزير الشؤون الدينية، إبراهيم الشائبي، هو من دفع الموظفة إلى مقاضاته بسبب كشفه قضية فساد تتعلق بسيارة الوزير خلال الصيف الماضي.

وحضر محمد بوغلاب إلى قاعة المحكمة مع عدد كبير من المحامين، ومنهم محامي النقابة الوطنية للصحافيين التونسيين، الذين أكدوا براءته من التهم المنسوبة إليه، وطالبوا باعتماد المرسوم 115 المنظم لقطاع الإعلام في محاكمات الصحافيين، وعدم اعتماد نصوص قانونية من قبيل مجلة الاتصالات والمرسوم 54 اللذين يتميزان بطابعهما الزجري وأحكامهما السالبة للحرية.

وأوقف بوغلاب، الذي يُعدّ من الوجوه الإعلامية التي تعلن رفضها لسياسات الرئيس قيس سعيّد، في 23 آذار/مارس الماضي، وقرّرت النيابة العامة إيداعه السجن في انتظار محاكمته، حيث خضع للتحقيق في شكوى موظفة وزارة الشؤون الدينية، وكذلك في شكوى أخرى تقدمت بها أستاذة جامعية تتهمه بالإساءة إليها، بسبب منشور له على «فيسبوك» قبل أكثر من عام. وأدانت النقابة الوطنية للصحافيين التونسيين الحكم الصادر بحق بوغلاب، ووصفته في بيان رسمي بأنه «غير منصف وجائر» مذكرةً بأنه ثالث حكم قضائي بالسجن في حق الصحافيين خلال الأشهر الثلاثة الأولى من السنة الحالية، ومعلنةً قرارها بتكليف محاميها استئناف الحكم على بوغلاب.

وقالت النقابة إن الحكم يُعد مواصلة «لمنعرج خطير تشهده معالجة القضاء التونسي للملفات حرية التعبير وحرية الصحافة وسياسته في سجن الصحافيين وسلب حريتهم»، وأكدت أن هذه «المعالجة القضائية لما يقوم به الصحافيون في أثناء عملهم ضرب لدور الصحافة في الرقابة على عمل مؤسسات الدولة خدمة للمصلحة العامة ولحق المواطن في صحافة حرة وتعددية ومهنية» ونبّهت من خطورة انحراف السلطة القضائية من دورها كحامية للحقوق والحريات إلى سيف يُسلط على الصحافيين ويسلب حريتهم.

إطلاق سراح صحافي جزائري بعد انتهاء أحكام قضائية بحقه

لندن – «القدس العربي»:

أطلقت أجهزة الأمن في الجزائر سراح الصحافي مصطفى بن جامع يوم الخميس الماضي بعد أن أنهى مدة محكوميته التي فرضتها محكمة جزائرية بحقه العام الماضي.

وحسب التفاصيل التي نشرتها وسائل الإعلام الجزائرية فقد تم إخلاء سبيل بن جامع بعد قضائه عقوبة السجن المترتبة على حكمين قضائيين سابقين صدرا بحقه، الأول يتعلق بتلقّي أموال من الخارج وعقوبتها السجن لمدة ثمانية أشهر حبساً نافذاً، أما العقوبة الثانية فهي السجن ستة أشهر حبساً نافذاً في قضية تهريب الناشطة أميرة بوراوي إلى فرنسا.

وكانت محكمة قسنطينة، شرقي الجزائر، قد قضت بحبس الصحافي مصطفى بن جامع ستة شهور حبساً نافذاً، بعد اتهامه بمساعدة الناشطة أميرة بوراوي بالهرب إلى فرنسا عبر تونس، في تشرين الأول/أكتوبر الماضي. واستند مصطفى بن جامع في كانون الثاني/يناير الحكم بالسجن ثمانية أشهر بتهمة «تلقي أموال من مؤسسات خارج الوطن أو داخله، قصد القيام بأفعال من شأنها المساس بالنظام العام».

ودينت أميرة بوراوي غيابياً، وحكم عليها بالسجن عشر سنوات، كما حكم على والدتها بالسجن لمدة عام، وابن عمها لمدّة ستّة أشهر. أما الشرطي الذي كان متاوباً في النقطة الحدودية التي عبرت منها أميرة بوراوي فقد حكم عليه بالسجن ثلاث سنوات.

وجرى توقيف مصطفى بن جامع الذي يرأس تحرير صحيفة ليبروفانسيان في الثامن من شباط/ فبراير 2023 في مقر عمله في عنابة شرقي البلاد، وصدر بحقه حكم بالسجن 20 شهراً، منها ثمانية نافذة في قضية الباحث الجزائري الكندي رؤوف فراح الذي صدر بحقه نفس الحكم وغادر السجن.

وأدين الباحث والصحافي بتهمة «نشر معلومات ووثائق يتمّ تصنيف محتواها سرياً بشكل جزئي أو كلي، على شبكة إلكترونية أو غيرها من وسائل الإعلام الإلكترونية» وفق المحامي.

ويتعلق الأمر بتلقي مصطفى بن جامع مبلغ 1400 يورو من طرف منظمة غير حكومية، لقاء تقارير كان قد أعدها لمصلحتها حول قضايا حرية الصحافة والتعبير وحقوق الإنسان في الجزائر. وتم تحويل المبلغ المذكور من حساب المؤسسة إلى الصحافي مصطفى بن جامع عبر حساب مصرفي للباحث بتهمة «نشر كلف لاحقاً والده منح المبلغ بما يقابله من الدينار الجزائري، بعد تغيّر انتقال بن جامع إلى تونس لتلقي المبلغ، بسبب منعه من السفر في قضايا أخرى. وأدين في القضية نفسها والد الباحث رؤوف فراح بالسجن لمدة عام مع وقف التنفيذ، بتهمة المشاركة.

إغلاق قناتين في أفغانستان بسبب «عدم الالتزام بالقيم الإسلامية»

لندن – «القدس العربي»:

أغلقت السلطات الأفغانية ممثلة بحركة طالبان الأسبوع الماضي قناتين تلفزيونيتين بدعوى عدم مراعاة «القيم الإسلامية والوطنية» حيث لم يعد ممكناً لقناتي «نور» و«باريا» البث حتى تصدر محكمة قراراً بشأنهما.

ونقلت وكالة «أسوشيتد برس» عن المسؤول في لجنة انتهاكات وسائل الإعلام في وزارة الإعلام الأفغانية، حفيظ الله بارakزاي، قوله إن المحكمة ستحقق في ملفات القناتين، ومقرهما كابول. وأضاف باراكزاي: «على الرغم من التحذيرات والتوصيات المتكررة، فإن قناتي نور وباريا لم تلتزما بالمبادئ الصحافية، ولم تأخذا في الاعتبار القيم الوطنية والإسلامية» من دون الخوض في تفاصيل حول الانتهاكات المزعومة.

وتحظى قناة نور التي بدأت البث عام 2007 بدعم وزير الخارجية السابق وزعيم حزب الجمعية الإسلامية صلاح الدين رباني، بينما بدأت قناة باريا البث عام 2019 وهي مملوكة لرئيس الوزراء السابق والقيادي في الحزب الإسلامي الأفغاني قلب الدين حكمتيار، ولم تصدر القناتان أي تعليق.

ووصف مركز الصحافيين الأفغاني غلق القناتين بأنه «غير قانوني» من جانب الحكومة التي تسيطر عليها حركة طالبان. ورأى أن هذا الإجراء «يُعد بمثابة خطوة أخرى ضمن فرض المزيد من القيود على وسائل الإعلام في البلاد». وكان المركز قد وثق، في تقريره السنوي لعام 2023 نحو «168 انتهاكاً لحقوق الصحافيين في أفغانستان تضمنت وفاة واحدة و61 حالة اعتقال».

وفقد كثير من الصحافيين الأفغان وظائفهم بعد سيطرة «طالبان» على السلطة عام 2021 حيث أغلقت وسائل إعلام بسبب نقص التمويل أو مغادرة موظفيها إلى خارج البلاد. وتواجه الصحافيات في أفغانستان صعوبات إضافية بسبب حظر عملهن وتقييد حركة سفرهن.

استنفار أردني على شبكات التواصل لمنع ترحيل لاجئ سوري شارك في مظاهرة مؤيدة لغزة

لندن – «القدس العربي»:

غرقت شبكات التواصل الاجتماعي في الأردن بصور لشاب سوري اعتقلته أجهزة الأمن الأردنية يوم التاسع من نيسان/أبريل الحالي، وقررت خلال أيام إبعاده عن الأراضي الأردنية، ويواجه احتمالات أن يتم تسليمه إلى دمشق، وذلك عقاباً له على مشاركته في مظاهرة منددة بالحرب الإسرائيلية على قطاع غزة.

وتبين بأن الشاب السوري عطية أبو سالم هو طالب جامعي يدرس في قسم الصحافة والإعلام بجامعة اليرموك الأردنية، كما تبين بأنه لم يُشارك في التظاهرات التي تم اعتقاله خلالها وإنما كان يقوم بالتصوير هناك على سبيل التدريب الصحافي، لكن قوات الأمن الأردنية ألقت القبض عليه وقررت سريعاً إبعاده عن الأردن التي لجأ إليها مع عائلته وهو طفل صغير، فيما لم يتم عرض الشاب أبو سالم على أية هيئة قضائية كما لم يتم توجيه أية اتهامات له ولم يتم إدانته بارتكاب مخالفات قانونية.

وسرعان ما تصدر عطية أبو سالم اهتمام الأردنيين على شبكات التواصل الاجتماعي، وتصدر اسمه قوائم الوسوم الأوسع انتشاراً والأكثر تداولاً في الأردن، فيما سارع الكثير من النشطاء في الأردن إلى المطالبة بالتراجع عن قرار إبعاده وترحيله.

وكتبت الناشطة بيان أبو طعمة على شبكة «إكس» (تويتر سابقاً): «عطية شاب سوري الجنسية مقيم في الأردن منذ 12 عاماً، ويعمل إلى جانب دراسته في مجال صناعة الأفلام والإعلام المرئي بشكل مستقل. لم يُعرض عطية على المدعي العام أو الحاكم الإداري ولم توجه إليه أيّ تهم، ورغم ذلك فقد صدر بحقه قرار إبعاد من قبل وزارة الداخلية الأردنية».

وأضافت أبو طعمة في تدوينة لاحقة: «حسب شقيقة عطية فوالدته اليوم كان لديها جلسة علاج (جرعة كيميائي) ولم تتمكن من الذهاب لأن عطية مرافقها المسجّل لدى مركز الحسين للسرطان غير موجود».

وكتب أحد المعلقين: «قامت قوات الأمن الأردنية مساء يوم الثلاثاء الموافق 9 نيسان/ابريل باعتقال الشاب السوري عطية أبو سالم وهو في طريقه لتصوير وقفة تضامنية مع قطاع غزة الذي يواجه إبادة جماعية منذ أكثر من نصف عام».

لم يصدر بحقه حكم يجرّمه

أما مدونة تُدعى راية فكتبت تقول: «لم يُعرَض على محكمة ولم يصدر بحقه حكم يجرّمه أو يفيد أنه أخلّ بالأمن، عدا عن أن إبعاده إلى سوريا يشكل خطراً على حياته. تضامن اللاجئ السوري مع غزة على أرض الأردن ليس جريمة».

وكتب أحمد السواعي: «عدا عن خطورة الإبعاد على حياة عطية الشخصية، فإنّ تداعياته ستكون كبيرة على عائلته أيضاً، والدته مصابة بمرض السرطان وهو أكبر أبنائها الذكور المقيمين في الأردن ومعيلها والمرافق لها عند المراجعات الاستعمار الإيطالي».

وغرد فرانسيسكو لوراسو على شبكة «إكس» قائلاً: «عطية أبو سالم شاب سوري مقيم بالأردن أعتقل على خلفية التظاهر السلمي لدعم غزة مساء يوم الثلاثاء الموافق 9 نيسان، عطية مقيم في الأردن منذ 12 عاماً وهو طالب في مجال صناعة الأفلام والإعلام المرئي، واليوم ورغم أنه لم يتم عرضه على المدعي العام وعدم توجيه أية تهم إليه تم إصدار قرار بالإبعاد من وزارة الداخلية الأردنية، وهو بالطبع قرار تعسفي يمثل خطراً كبيراً على حياة الشاب واستقرار أسرته حيث أن أمه مصابة بمرض السرطان وهو أكبر أبنائها ومعيلها.. نتمنى ونطالب بالإفراج عن عطية وعن جميع المعتقلين بشكل غير قانوني على خلفية التظاهر السلمي لدعم القضية الفلسطينية».

وكتب أحد النشطاء: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، والظلم ظلمات، شاب عم يدرس ومقيم عندكم كل هل فترة يعني رح تنقلب حياته رأسا على عقب بسبب تافه، الله يحمي الأردن، ماعمل شي لإبعاده، ياريت محامي يعترض ويحاول يدافع عنه.. كونوا صوته».

مخالفة دستورية

ونشر «فريق حقوق الإنسان» في الجامعة الأردنية تدوينة قال فيها: «لماذا يشكل قرار إبعاد الطالب عطية وجرعات العلاج الكيماوي فإذا تم تنفيذ قرار الإبعاد سوف تتعاظم مصيبتها بالسرطان مع فقدانه».

وأضاف في تغريدة ثانية: «أجمع أصدقاء عطية ومن يعرفه –وأنا منهم– على أدبه وصدقه وحبه لهذا البلد. عودته لحياته كمُعيل لوالدته وطالب جامعي وناشط حقيقي في مجاله من أبسط حقوقه، وفي إبعاده دون عرضه على القضاء ظلم لا نقبله كأردنيين».

وعلقت دانية: «عطية لم يؤذِ أحداً ولا يستحق الإبعاد، هو طالب وعيلته هون وشغله هون.. ولا مرة شفنا منه تصرف غلط لشو الإبعاد؟ هاد ظلم بحقه وبحق إمه يلي الله يبعلم بوجعها جسدياً ونفسياً.. هو مصوّر شو عمل؟ عطية رح يبعدوه عن إمه المريضة يلي بحاجته وينهوا مسيرته الدراسية وشغله عشان بصوّر في المظاهرات، عطية مصوّر وإعلامي مو مجرم! قرار الإبعاد إلى سوريا هو قرار ظالم وبلا رحمة».

أما إسراء فعلقت تقول: «طالب إعلام راح يغطّي المظاهرات مع غزة أمام السفارة، في دولة (الصحافة فيها سقفها السماء).. لا لإبعاد عطية».

وكتبت هالة: «لا يمكن إعادة اللاجئين وطالبي اللجوء أو ترحيلهم إلى بلد قد تنتهك فيه حياتهم أو سلامتهم البدنية ولا ينبغي إعادتهم إلى بلدهم الأصلي تحت أي ظرف من الظروف.. (المادة 33 من الاتّفاقيّة الخاصة بوضع اللاجئين)».

وعلقت هدى أبو هاشم: «مجرد تخيُّل مصير عطية أبو سالم، المعتقل السوري الذي اعتقل أثناء توجهه لتصوير مظاهرات الرابية، من اختفاء خلف غياهب سجون الأسد وتدهور صحة والدته المصابة بالسرطان بسبب مبادئهم السياسية أو دفاعهم عن الحرية، كما أنها تركت إجراءات تسليم مرتكبي الجرائم من اللاجئين إلى الاتفاقات الدولية». وكتب أحمد: «مش معقول نرحل سوري عند بشار عشان صوّر مظاهرة، لازم يكون في رحمة له، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء».

وقالت ليلى العاجيب: «احنا كشعب وصلتنا الرسالة بأن سقف حرية التعبير تم تخفيضه. ونعلم أن التشدد بالتضييق الأمني هو رسالة سياسية فحواها رسم حدود جديدة، صحيح مش رادين كثير. بس فاهمين والله.. ما في داعي ليصل هذه الرسالة عن طريق قرارات فيها خطر على حياة شاب وإيذاء لعائلته».

وعلقت منى الخطيب: «ولا تخيلت بأسوأ السيناريوهات سوادا ان تقوم السلطات باستخدام كرت الترحيل بحق أي من الموجودين على أرضنا.. هذا إجراء يحقنا كلنا وعلينا جميعاً رفضه ومنعه».

وكتب بلال الجابر: «كل التضامن مع الشاب السوري الذي صدر قرار ترحيله بسبب مشاركته في مظاهرات متضامنة مع غزة.. مش معقولة يكون اللاجئ مكسر عصا ودرس لغيره.. إذا بالأساس شايف انه المظاهرات مش قانونية أو تهديد للأمن القومي لا تسمح فيها».

وعلقت جولان ظاطا: «الزميل الطالب السوري عطية محمد سالم قرار تعسفي؛ فلم يعرض على محكمة ولم يصدر بحقه حكم يجرمه أو يفيد أنه أخل بالأمن، ناهيك أن إبعاده لسوريا يشكل خطرا على حياته».

وقالت بيسان عودة: «بأي حق يبعد الطالب عطية محمد أبو سالم؟ وبأي وجه نسلمه إلى قاتله؟ لا لاستضعاف اللاجئين وتهديدهم بترحيلهم إلى الأنظمة المجرمة بسبب دعمهم لغزة.. هذا ما لا نقبل به كأردنيين ولن نقبل».

بالمقابل كتب الناشط الأردني تامر الخوالدة: «أطالب بترحيل السوري عطية محمد ابو سالم وإبعاده من الأردن وذلك إثر مشاركته بالمظاهرات في الأردن، الدستور الأردني كفل حق التظاهر للأردنيين حصرا، والشعب الأردني أثبت حسن ضيافته للأشقاء السوريين وسيبقى كذلك، لكن هذا لا يعني سكوته عن أية تجاوزات فردية، الأحزاب التي تستأجر اللاجئين في مظاهراتها وحدها من تتحمل المسؤولية الأخلاقية لإبعاد أي مخالف للأنظمة والقوانين في الأردن، ولا أحد فوق القانون».

كما كتبت الصحافي المؤيد للحكومة سمير الحياري قائلا: «لستُ مع إبعاد أي شقيق عربي خارج الأردن قبل جلده وتأديبه وحبسه.. ليس لانه شارك بمظاهرات ضد بلدنا وهتف ضد النظام فحسب إنما المعاملة بالمثل فأي أردني لو شارك في مظاهرة أو ما شابه في بلد غير بلده لتمت تصفيته.. على المزاودين ان يكفوا عن البرادة وقلة الحياء».

علوم وتكنولوجيا

نصف الموظفين في العالم يتوقعون أن يقضي الذكاء الاصطناعي على أعمالهم

لندن – «القدس العربي»:

يتوقع الخبراء أن يتمكن الذكاء الاصطناعي يوما ما من أداء جميع وظائفنا بشكل أفضل، وهو ما يعني أن أغلب الوظائف البشرية أو كثير منها سوف تختفي مع مرور الوقت، وسوف تؤدي هذه التكنولوجيا إلى طفرة في نسب البطالة وتحل بدل الكثير من الموظفين في العالم.

ويتوقع الخبراء أن تتولى الآلات جميع وظائفنا في غضون قرن من الزمان فقط.

ونشرت جريدة «دايلي ميل» البريطانية استطلاعاً للرأي شمل 16 ألف عامل، ووجد الاستطلاع أن الكثير من الموظفين يعتقدون أن الذكاء الاصطناعي يمكنه فعل ما يقومون به بالفعل. وحسب تقرير «دايلي ميل» الذي اطلعت عليه «القدس العربي» فقد اعترف ما يقرب من نصف الموظفين بأن التكنولوجيا يمكن أن تتفوق عليهم في «المهام الروتينية» مع إيلاء اهتمام أفضل بالتفاصيل.

وتأتي هذه النتيجة بعد أسابيع فقط من تحذير أحد مراكز الأبحاث الرائدة من أن الذكاء الاصطناعي قد يستولي على أكثر من ثمانية ملايين وظيفة في بريطانيا إذا لم تتصرف الحكومة بسرعة.

ومن المتوقع أن تشهد «نهاية العالم للوظائف» الأدوار الإدارية والمبتدئة أولاً، ولكنها ستؤثر بشكل متزايد على أولئك الذين يتقاضون أجوراً أعلى حيث تصبح أكثر تعقيداً.

ووجد تقرير مستقبلي العمل الصادر عن موقع الوظائف أن واحداً فقط من كل ثلاثة مشاركين كان واثقا من أن الذكاء الاصطناعي سيكون له تأثير إيجابي على دورهم.

ومع ذلك، شعرت الأغلبية – تسعة من كل عشرة – بالثقة في قدرتهم على التكيف مع التغييرات خلال السنوات الخمس المقبلة.

وأخبر العمال عن حجم مسؤولياتهم اليومية التي أصبحت جاهزة بالفعل للأتمتة، حيث قال ثلاثة من كل خمسة أن الذكاء الاصطناعي يمكنه إجراء تحليل البيانات بشكل أفضل من البشر.

وكانت المهام الروتينية 48 في المئة

استقصائية شملت أكثر من 2700 باحث في مجال الذكاء الاصطناعي في كانون الثاني/يناير، إلى أن الذكاء الاصطناعي يمكن أن يكون «أفضل وأرخص» من البشر في كل مهنة بحلول عام 2116.

ويأتي تاريخ التنبؤ قبل 50 عاماً تقريباً من نفس التنبؤ الذي تم إجراؤه في العام السابق، ما يسلط الضوء على مدى سرعة تحسنه.

ووجدت دراسة استقصائية حديثة أجريت على 600 من الرؤساء التنفيذيين العالمين أن العديد منهم يرسلون على عجل موظفين «مبتدئين» إلى معسكرات تدريب الذكاء الاصطناعي لتأهيلهم لمواكبة التطورات. واعترف المئات أيضاً أنهم يخشون أن تتولى التكنولوجيا دورهم يوماً ما.

وقال الكثيرون إنهم يستخدمون بالفعل أدوات مثل «تشات جي بي تي» سراً لمساعدتهم على القيام بمسؤولياتهم اليومية، واعتبروها عملهم الخاص. وقال نيك باكستر، الرئيس التنفيذي لمجموعة «آي إن غروب» إن العديد من الشركات سريعة النمو لا تزال تعاني من فجوة المهارات، وهي مشكلة تؤدي في النهاية إلى الإضرار بالنمو وإبطاء الابتكار.

وأضاف: «إذا أردنا بناء اقتصاد رقمي ديناميكي حقاً، تحتاج الشركات إلى الوصول إلى أحدث المواهب في مجال الذكاء الاصطناعي والتكنولوجيا، ما يسمح للشركات الطموحة بالوصول إلى إمكاناتها الكاملة».

وقال تريستان ويلكنسون، قائد القطاع العام في شركة «إيه أن دي ديجيتال» إن الشركات هي شريان الحياة لاقتصاد بريطانيا، ومع ذلك فإن الكثير منها يكافح من أجل مواكبة وتيرة التحول الرقمي.

وأضاف: «لا يمكن تحقيق النمو الاقتصادي المستدام إلا إذا حصلت الشركات على الدعم والمهارات المتخصصة التي تحتاجها لتبني المبادرات الرقمية على المدى الطويل».

وقال داني ستايسي، رئيس قسم ذكاء المواهب في شركة «إنديد» ببريطانيا: «من الطبيعي أن يشعر العمال بأن الذكاء الاصطناعي سيغير دورهم، خاصة أننا لم ندرك بالكامل بعد تأثير الذكاء الاصطناعي على مكان العمل».

وأضاف: «لكن الموظفين في المملكة المتحدة واثقون من قدرتهم على التكيف وهم بشكل عام أكثر تفاؤلا بشأن تأثيرات التكنولوجيا على وظائفهم أكثر من تشككهم، مما يظهر أنهم مستعدون لأي تغيير يأتي في طريقهم».

علماء ينشرون أول محادثة بين البشر والحيتان في البحر.. ماذا تعني؟

لندن – «القدس العربي»:

زعم علماء مختصون في الولايات المتحدة أنهم تمكنوا من إجراء أول محادثة واتصال مباشر بين البشر والحيتان في البحر، وهو ما يشكل اختراقاً علمياً بالغ الأهمية.

وحسب تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية، واطلعت عليه «القدس العربي» فإن العلماء يعتقدون بأن هذا الحوار الذي تم إجراؤه مع الحيتان قد يُمهد الطريق للتواصل مع الكائنات الفضائية في العالم الخارجي.

وقال العلماء إن أول محادثة في العالم بين البشر والحيتان قد تكون الخطوة الأولى لفهم الكائنات الفضائية.

وتحدث فريق من معهد «SETI» وجامعة كاليفورنيا مع حوت أحدب يبلغ من العمر 38 عاماً، يُدعى تووين، قبالة سواحل الاسكا.

واستخدموا ميكروفوناً تحت الماء لإرسال نداءات للحيتان، وتلقوا 36 رداً حيث بدا وكأن تووين كان منخرطا بنشاط في تبادل تواصلي.

وقامت الخوارزميات المدعومة بالذكاء الاصطناعي بتحليل الردود، وكشفت أن تووين ربما شارك مكالمة ترحيب مع الفريق على متن قارب في المحيط الهادئ.

وفي حين أن التحدث إلى نوع مختلف لم يتم بهذه الطريقة من قبل، إلا أن الباحثين قد يستخدمون هذه التجربة للتحدث يوماً ما مع كائنات حية خارج كوكب الأرض.

وفي غياب أي كائنات فضائية، يأمل الباحثون في استخدام الحيتان لتطوير استراتيجيات التواصل غير البشري.

وتعتبر الحيتان الحدباء وكيلاً فضائياً جيداً بسبب ذكائها العالي للغاية وقدرتها على الاتصال.

وقالت بريندا ماكوان، مؤلفة البحث الرئيسية، لجامعة كاليفورنيا في ديفيس: «إن الحيتان الحدباء معقدة للغاية اجتماعيا» وأضافت: «إنهم يسافرون مسافات شاسعة. لديهم ذخيرة صوتية ضخمة. أقول دائماً أن كل صوت يصدر في العالم الطبيعي يصدره الأحدب. إنه أمر لا يصدق تنوع الأصوات التي تنتجها».

وعثر الفريق على تووين مع حجرة في المحيط الهادئ، وقرر أنه أفضل مكان لنشر الميكروفونات تحت الماء.

وغادر تووين الحجرة وانضم إلى الفريق بالقارب هناك، ما سمح للباحثين بالتقاط أول محادثة فردية مع الحوت – إلى جانب ثرثرة الحجرة أثناء اصطيادهم لوجبتهم التالية.

وعلى الرغم من أن بعض الأصوات التي تصدرها الحيتان يمكن أن تكون أصواتاً اجتماعية، إلا أن الباحثين يعتقدون أنها قد تصدر أوامر مثل إخبار بعضها البعض بالصعود أو النزول.

وعلى سبيل المثال، اقترح الفريق أن الحيتان ربما تقول لبعضها البعض «أضرب الشبكة بشكل أعمق» أو حتى تقول «أنت أحمق» كرد فعل عاطفي.

وأخبر الفريق جامعة كاليفورنيا في ديفيس أنهم عندما أسقطوا الميكروفونات تحت الماء لأول مرة، لم يسمعوا شيئاً ولكنهم لم يشعروا بالقلق لأن الحيتان سافرت آلاف الأميال من هاواي وكانت تتغذى. لقد بحثوا حتى عثروا على حجرة كانت تنطق مع بعضها البعض ونفذوا المحاولة مرة أخرى لتسجيل ما كانوا يقولونه.

وفي اليوم التالي، قام الباحثون بإسقاط مكبرات الصوت والمسجلات في الماء وقاموا بتشغيل تسجيل الأصوات عندما ظهر الحوت بالقرب من القارب.

واستغرق الأمر ثلاث محاولات قبل أن يستجيب تووين للمكالمة، وفي كل مرة بعد ذلك، أصبح الرد أقوى وحاول الباحثون مطابقة درجة استجابات الحوت التي قامت بعد ذلك بتعديل زمن الاستجابة الخاص بها ليتناسب مع التسجيل.

وابتكر الباحثون تقنية الاتصال تحت الماء باستخدام ميكروفونات وأجهزة تسجيل متطورة تعمل تحت الماء، إضافة إلى خوارزميات الذكاء الاصطناعي التي تسجل وتحلل الأصوات التي تصدرها الحيتان.

ويتم تدريب الذكاء الاصطناعي على البيانات المستمدة من نداءات الحيتان واللغة البشرية ويبحث عن الأنماط والهياكل اللغوية.

ومن الممكن أن يكون رد تووين المستمر على التسجيل قد نشأ من التسجيل في اليوم السابق، وفقاً للباحثين الذين قالوا إنه تبين أن الحوت كان جزءًا من تلك الحجرة.

وقال الباحثون: «من المحتمل جداً أن تكون هذه المكالمة بالذات بارزة جداً.. هذه كانت مكالمة على دراية بالحوت بطريقة أو بأخرى. وربما هذا هو السبب وراء استجابته لكل هذا بشكل مباشر وبقائه معنا لمدة 20 دقيقة».

وفي الورقة البحثية، اقترح الفريق العلمي أن استجابة تووين كانت مدفوعة بـ«الإثارة وربما بداية الانفعالات».

ومن الممكن أن يكون رد تووين المستمر على التسجيل قد نشأ من التسجيل في اليوم السابق، وفقاً للباحثين الذين قالوا إنه تبين أن الحوت كان جزءًا من تلك الحجرة.

ويقول الباحثون الذين يعملون في مجال البحث عن الذكاء خارج الأرض إنهم بدأوا في فهم تواصل الحوت الأحدب ويأملون أن يساعدهم ذلك عندما يتواصلون مع الكائنات الفضائية.

وقال الدكتور لورانس دويل من معهد «SETI» والمؤلف المشارك في الدراسة: «بسبب القيود الحالية على التكنولوجيا، فإن الافتراض المهم للبحث عن كائنات ذكية خارج كوكب الأرض هو أن الكائنات الفضائية ستكون مهتمة بإجراء اتصالات وبالتالي استهداف أجهزة الاستقبال البشرية».

وأضاف: «هذا الافتراض المهم يدعمه بالتأكيد سلوك الحيتان الحدباء».

وقال فريد شارب، المؤلف المشارك في الورقة البحثية، لجامعة كاليفورنيا في ديفيس: «على حد علمنا، ربما كان هذا هو التبادل الصوتي الأكثر تفصيلاً الذي تم الإبلاغ عنه حتى الآن مع حوت البالين».

وتابع: «والطريقة التي تم بها ذلك، وحقيقة أن الحيوان ظل موجوداً لفترة طويلة، وتفاعل معنا مؤقتاً. إنه يفتح الباب لمزيد من عمليات التشغيل الديناميكية».

علماء يتوصلون إلى أهم دليل على وجود كائنات فضائية خارج الأرض

لندن – «القدس العربي»:

توصل علماء الفضاء والفلك إلى أهم إشارة أو علامة على وجود الكائنات الفضائية خارج كوكب الأرض، ووجود حياة أخرى على الكواكب الأخرى، وهو ما يُعطي آمالاً جديدة في الأوساط العلمية بشأن احتمالات أن ينجح العلماء في التواصل مع الكائنات الفضائية التي يسود الإعتقاد بأنها تتواجد على الكواكب الأخرى بعيداً عن الأرض.

وقال تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية، واطلعت عليه «القدس العربي» إن علماء من جامعة كورنيل الأمريكية في الولايات المتحدة يعتقدون أنهم خطوا خطوة كبيرة إلى الأمام في البحث عن الكائنات الفضائية.

وفي دراسة جديدة، يزعم هؤلاء العلماء أن الكواكب التي تؤوي حياة غريبة قد تعطي لوناً أرجوانياً مميزاً.

وقالت الدكتورة ليزا كالتنيجر، المؤلفة المشاركة في الدراسة: «نحن فقط نفتح أعيننا على هذه العوالم الرائعة من حولنا» وأضافت: «يمكن للبكتيريا الأرجوانية أن تعيش وتزدهر في ظل مجموعة متنوعة من الظروف، بحيث يسهل تخيل أنه في العديد من العوالم المختلفة، قد يكون اللون الأرجواني مجرد اللون الأخضر الجديد».

وعادة ما ترتبط الحياة على الأرض بلون أخضر مألوف، حسب ما يؤكد العلماء، إلا أنه ومع ذلك قد تبدو الحياة على الكواكب الأخرى مختلفة تماماً.

وفي دراستهم الجديدة، شرع الفريق في فهم ما يجب أن يبحث عنه صائدو الكائنات الفضائية.

وقال الدكتور كالتنيجر: «نحن بحاجة إلى إنشاء قاعدة بيانات لعلامات الحياة للتأكد من أن التلسكوبات الخاصة بنا لا تفوت الحياة إذا لم تكن تبدو تماماً مثل ما نواجهه من حولنا كل يوم».

وقام الباحثون بفهرسة الألوان والتوقيعات الكيميائية لمجموعة متنوعة من الكائنات الحية والمعادن.

وكشف تحليلهم أن البكتيريا الأرجوانية يمكنها استخدام الأشعة تحت الحمراء غير المرئية لتشغيل عملية التمثيل الضوئي.

ولهذا السبب، من المرجح أن البكتيريا الأرجوانية كانت سائدة على الأرض في وقت مبكر قبل ظهور عملية التمثيل الضوئي من النوع النباتي، كما قال الباحثون.

وقالت ليجيا فونسيكا كويلو، المؤلفة الأولى للدراسة: «إنهم يزدهرون هنا بالفعل في مجالات معينة». وبعيداً عن الأرض، يمكن أن تكون البكتيريا الأرجوانية مناسبة تماماً للكواكب التي تدور حول نجوم قزمية حمراء أكثر برودة، وهو النوع الأكثر شيوعاً في مجرتنا.

وأضاف الدكتور كويلو: «فقط تخيل لو أنها لم تكن تتنافس مع النباتات الخضراء والطحالب والبكتيريا». وتابع: «الشمس الحمراء يمكن أن توفر لهم أفضل الظروف لعملية التمثيل الضوئي».

وعلاوة على ذلك، يقول الباحثون إن هذه العوالم ستنتج «بصمة ضوئية» مميزة يمكننا اكتشافها باستخدام التلسكوبات الأرضية والفضائية.

وقال الدكتور كويلو: «إذا كانت البكتيريا الأرجوانية تزدهر على سطح أرض متجمدة، أو عالم محيطي، أو أرض كرة ثلجية، أو أرض حديثة تدور حول نجم أكثر برودة، فلدينا الآن الأدوات اللازمة للبحث عنها».

وتأتي الدراسة الجديدة بعد وقت قصير من اقتراح العلماء أن الحياة الفضائية يمكن أن تكون مختبئة بالقرب من الأرض.

ويزعم علماء من جامعة واشنطن أن وكالة الفضاء الأمريكية «ناسا» يمكن أن تؤكد وجود حياة غريبة في عام 2030 عندما تطلق مركبتها البالغة قيمتها 178 مليون دولار إلى قمر المشتري.

ومن المقرر أن تطلق وكالة ناسا المركبة الفضائية يوروبا كليبر في تشرين الأول/أكتوبر المقبل في رحلتها التي تستغرق خمس سنوات ونصف حيث ستقضي أربع سنوات في استكشاف القمر الجليدي.

وفي دراسة حديثة، قام الباحثون بتحليل الأدوات الموجودة على متن المركبة، ووجدوا أنها قادرة على التقاط خلية حية واحدة في حبة جليد صغيرة يتم إخراجها من محيطات القمر.

شاحنات «تيسلا» تواجه مشاكل كبيرة غير معلنة ومستقبلها لا يزال غامضاً

لندن – «القدس العربي»:

أظهرت صور تم التقاطها بواسطة طائرات بدون طيار مئات الشاحنات غير المكتملة والمكدسة في ساحات خارجية للتخزين تابعة لمصنع شركة «تيسلا» الأمريكية في تكساس، وهو ما يرجح صحة التقارير التي تحدثت عن «مشاكل خطيرة تتعلق بالسلامة» تواجه هذه الشاحنات الكبيرة العاملة بالطاقة الكهربائية النظيفة والتي كان من المفترض أن تطرحها شركة «تيسلا» في الأسواق.

ونقل تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية، واطلعت عليه «القدس العربي» عن أحد العملاء قوله إن شركة «تيسلا» أوقفت عمليات تسليم شاحنتها «Cyber-truck» المستقبلية وسط مشكلات خطيرة تتعلق بالسلامة وسط مزاعم بأن المشكلة التي تعطل هذه المركبات تتعلق بمبيعات السيارات الكهربائية.

وبالان، التي انضمت إلى مصنع تيسلا في فريمونت بولاية كاليفورنيا في عام 2010 كمهندس كبير للتصميم، تقاتل الآن تيسلا في المحكمة بشأن ما تصفه بأنه انتقام لجهودها لتصحيح مشكلة خطيرة في طراز «أس» من السيارات.

ووفقاً ليالان فقد أظهرت الأرضية سيئة الصنع، ميلاً للالتفاف أسفل دواسات مكابح سيارة «تيسلا» الكهربائية بالكامل، ما يمنع السائقين من إبطاء سياراتهم، على عكس المشكلة الأخيرة التي أدت إلى تشويش دواسات «سايبرتراك» بأقصى سرعة.

وقالت بالان: «لقد قالوا إنهم سيحاولون التعامل مع الأمر» في إشارة إلى موظفي «تيسلا» الحاليين والمبلغين المحتملين في المستقبل الذين تواصلوا معهم.

لكنها تشعر بالقلق من أن معركتها القانونية الطويلة والعامة الآن مع شركة تيسلا، مع الدعاوى القضائية المتعلقة بالإنهاء غير المشروع والتشهير على مدار العقد الماضي، قد تخيف موظفي تيسلا الآخرين وتمنعهم من الإدلاء بمعلومات حول المشاكل التي تواجه شاحنات «سايبر تراك».

وقالت بالان: «الناس، والمهندسون الجيدون، يخشون أن يقولوا إن هناك خطأ ما، لأنهم يعرفون أنهم سوف يسيرون على نفس المسار الذي كنت عليه».

وعلى الرغم من عدم وجود إعلان رسمي من «تيسلا» فقد نشر العديد من العملاء رسائل نصية تلقوها من الشركة لإلغاء «موعد التسليم» الخاص بهم والمتعلق بتسليم شاحنات «سايبر تراك» بسبب «تأخير غير مبرر وغير متوقع» فيما يتعلق بإعداد سياراتهم.

وأشارت «تيسلا» إلى مشكلة غير محددة في الأجزاء، وفقاً لهذه النصوص الموجهة للعملاء، والتي يمكن أن تتعلق بأغطية دواسة الوقود.

وأرسل أحد ممثلي شركة «تيسلا» رسالة إلى أحد العملاء يقول فيها: «يبدو أنهم يحتاجون حتى 20 نيسان/أبريل على الأقل لتصحيح المشكلة، لكن من المحتمل أن يستغرق الأمر وقتاً أطول من ذلك». وتابعت الرسالة النصية للشركة: «تعمل شركة تيسلا على توصيل الأجزاء المحسنة إلى جميع المواقع المتضررة في أسرع وقت ممكن».

وتُظهر لقطات جديدة لطائرة بدون طيار الجهود السريعة لتوسيع مصنع «تيسلا» خارج أوستن في ولاية تكساس الأمريكية، حيث يوجد ما يقدر بنحو 600 شاحنة من طراز «سايبر تراك» في وضع الخمول على الجانبين الغربي والشرقي من طريق ولاية تكساس السريع 130.

وتم دفع الشاحنة الجديدة إلى الإنتاج في مصنع «تيسلا» كما زعم محاموا عمال البناء في السنوات الأخيرة، على الرغم من مخاطر السلامة في الموقع وعدم اكتمال بناء المنشأة نفسها.

وقد تقدم مؤخراً عميل واحد على الأقل من عملاء «سايبر تراك» في كاليفورنيا مدعياً أن مكابح السيارة الكهربائية تعطلت بعد أسابيع قليلة من الشراء، ما أدى إلى اصطدام سيارتهم بعمود إشارة الطريق.

وفي منشور على منتدى مالكي الشاحنات التي تنتجها شركة «تيسلا» قال السائق إنه حاول إبطاء الشاحنة عن طريق الضغط على الفرامل، ليجد أنها لم تعمل، مضيفاً أن الأكياس الهوائية أيضاً لم تنفتح عندما اصطدمت السيارة بشأن قطع الغيار، بالإضافة إلى إعلان ماسك أنه سيتم تسريح ما يصل إلى 14 ألف عامل في شركة «تيسلا» بسبب ضعف بمخاوف على السجادة، ويغلقها في مكانها ويحفز السيارة على التسارع بأقصى سرعة.

وتأتي إفصاحات بالان في الوقت الذي تظهر فيه لقطات جديدة لطائرة بدون طيار لأساطيل كاملة من شاحنات «سايبر تـرك» غير المكتملة المدعومة بدواسة الوقود الخاصة بها.

وقالت المهندسة كريستينا بالان إن مشكلات سلامة دواسة الوقود والفرامل التي واجهت «تيسلا» قبل عقد من الزمن مع طراز سيارات تيسلا «S»، من المحتمل أن تحدث الآن مرة أخرى مع شاحنات «سايبر تراك» الكبيرة.

وقالت بالان، التي ترفع دعوى قضائية ضد شركة السيارات الكهربائية التي يملكها رئيسها السابق إيلون ماسك بتهمة التشهير: «بعد أن غادرت، أصبح الأمر أسوأ».

وأضافت بالان: «لدي عدد لا بأس به من الأشخاص الموجودين الآن في تيسلا. لقد لفتوا انتباهي إلى بعض قضايا السلامة الخطيرة».

ووصف أصحاب سيارات «سايبر ترك» الجدد دواسة الوقود الخاصة بها بأنها «فخ الموت» ما يوضح كيف يمكن لغطاء الدواسة أن ينزلق من دواسة الوقود ويعلق

اقتصاد

تونس: نسبة نمو ضعيفة رغم التحسن في المؤشرات الاقتصادية

تونس – «القدس العربي»:

روعة قاسم

حققت الاقتصاد التونسي بعض المؤشرات الجيدة خلال السنة المنقضية، ومن ذلك ارتفاع عائدات الصادرات القطاعين الصناعي والفلاحي، وعائدات صادرات القطاع المنجمي، بالإضافة إلى ارتفاع عائدات القطاع السياحي وتحويلات التونسيين بالخارج. وتراجعت أيضا خلال العام الماضي الواردات التونسية من الخارج بشكل لافت وهي التي كانت تستنزف رصيد البلاد من العملة الصعبة، وهو ما قلص من عجز الميزان التجاري لأول مرة منذ فترة طويلة.

كما تراجع المعدل السنوي للتضخم إلى 7.8 في المئة في شهر كانون الثاني/يناير من هذا العام وذلك بالمقارنة مع 8.1 في المئة في شهر كانون الأول/ديسمبر سنة 2023. وأبقى البنك المركزي التونسي على سعر الفائدة الرئيسي دون تغيير عند 8 في المئة حتى يتباطأ التضخم خلال الفترة المقبلة حفاظا على القدرة الشرائية للمواطن.

ديون متراكمة

ورغم هذه المؤشرات الجيدة التي تؤكدها أرقام المعهد الوطني للإحصاء، إلا أن نسبة النمو المسجلة كانت سيئة ودون المستوى المأمول وأصابت أغلب التونسيين بالإحباط. ذلك أنها لم تتجاوز 0.4 في المئة وهي نسبة لا يمكنها أن تحل المشاكل الاجتماعية على غرار الفقر والبطالة، بل أنها ستفاقمها ما لم تجد الحكومة حلولا لمشكلة التنمية.

وبالفعل فقد أظهرت أرقام المعهد الوطني للإحصاء في تونس ارتفاع معدل البطالة إلى 16.4 في المئة خلال الربع الأخير من سنة 2023 مقارنة مع 15 في المئة التي تم تسجيلها في نفس الفترة من السنة الماضية. وبالتالي، وحسب بيانات المعهد، فقد ارتفع عدد العاطلين عن العمل إلى 667 ألفا و500 شخص خلال الثلاثية الأخيرة من سنة 2023 بعد أن كان 638 ألفا و100 خلال الثلاثية الثالثة من نفس السنة.

وإبقاء البنك المركزي على سعر الفائدة الرئيسي بدون تغيير لم يمنعا من ارتفاع أسعار المواد الغذائية بنسبة 12.1 في المئة. ويرجح أن هذا الارتفاع سببه الزيادة في أسعار بعض المواد مثل القهوة التي ارتفع سعرها بـ 35 في المئة، ولحم الخروف الذي ارتفع سعره بـ 22.9 في المئة في الفترة الأخيرة.

ولا يخفى على أي متابع للشأن التونسي أن على البلاد ديون كبيرة من مخلفات العشرية السابقة تقوم بسدادها بصورة منتظمة، وسداد أقساط هذه الديون هو الذي يستحوذ على غالبية العائدات المالية المتأتية من القطاعات المذكورة. ولعل هذا السداد في الآجال المحددة هو الذي دفع وكالة موديز للتصنيف الائتماني إلى تعديل نظرتها المستقبلية لتونس من سلبية إلى مستقرة. ومن أسباب هذا التعديل أيضا هو أن الضغوط التي تواجهها الحكومة لن تزيد بشكل كبير خلال الفترة المقبلة وستبقى هي نفسها.

وتتوقع الحكومة أن يصل الدين العام المتراكم سنة 2024 إلى قرابة 140 مليار دينار تونسي أي قرابة 79.8 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي، ارتفاعا من 127 مليار دينار. وكانت هناك توقعات بتقليص عجز الميزانية إلى 6.6 في المئة من الناتج الداخلي الخام خلال هذا العام، ثم 3.9 في المئة مع نهاية سنة 2026 لكن تحقيق هذه الأرقام يبدو صعبا بالنظر إلى المؤشرات المسجلة.

الأجور والطاقة

يرى الخبير الاقتصادي عماد بالرابح في حديثه لـ«القدس العربي» أن ارتفاع أعداد موظفي القطاع العمومي خلال العشرية الماضية جعل جزءا كبيرا من النفقات يذهب إلى أجور موظفي هذا القطاع رغم التخفيض المستمر في أعداد الموظفين من خلال غلق باب المناظرات والامتناع عن الانتداب. كما أن قطاع الطاقة يستنزف الكثير من موارد الدولة، حسب بالرابح، وذلك بعد تراجع إنتاج المحروقات في العشريتين الأخيرتين واضطرار البلاد إلى تغطية عجزها الاستهلاكي الذي وصل إلى أكثر من 50 في المئة من خلال التوريد.

ويضيف الخبير الاقتصادي قائلا: «إن ما يلومه البعض على الحكومة هو عجزها عن إيجاد الحلول لهذه المشاكل، وإصرارها فقط على الترفيع في الجباية والاقتراض اللذين قد يساهمان في انتعاشة خزينة الدولة لكنهما لا يزيدان معيشة المواطن إلا صعوبة. ويتعارض هذا التوجه مع فكرة إنشاء الحكومات التي جاءت تاريخيا لتحقيق رفاه المواطن وليس فقط لإيجاد الحلول لعجز ميزانية الدولة، والثورات قامت في تونس عبر التاريخ من أجل تحسين المعيشة وليس لملء خزائن الدول بالمداخيل لسداد الديون».

إن سداد الديون ولئن كان أمرا إيجابيا ويعطي انطباعا جيدا عن الدولة الملتزمة بالسداد في المواعيد المحددة إلا أنه يكون على حساب التنمية التي تخلق وحدها الثروة ومواطن الشغل وتساهم في القضاء على البطالة وتجعل البلد يتجاوز نسبة النمو السيئة التي تم تسجيلها. فما ضر الحكومة مثلا لو ذهبت للتفاوض مع دائنيها الغربيين والخليجيين والصناديق المالية الدولية والأوروبية والعربية والأفريقية من أجل إعادة جدولة هذه الديون أو تحويلها إلى استثمارات ينتفع منها الجميع، أي الدائن والمدين على حد سواء».

لقد تراءى للحكومات التونسية في الأعوام الأخيرة، حسب محدثنا، أن أفضل الحلول للتخفيض من كتلة الأجور لموظفي الدولة هو التوقف عن الانتدابات وعدم إجراء المناظرات استجابة لمطالب صندوق النقد الدولي. ولئن كان هذا الحل ناجعا، حسب الخبير الاقتصادي، بسبب قدرته على التخفيف من كتلة الأجور وعلى توفير موارد إضافية لميزانية الدولة، إلا أن مساوئه كبيرة من الناحية الاجتماعية، فهو يحرم الشباب المتخرج حديثا من الجامعة، من حقه في العمل ويساهم في ارتفاع البطالة، وبالتالي فقد فكرت الحكومة في تغطية عجز الميزانية بما أمكن جمعه من مداخيل على حساب المسألة الاجتماعية.

> نسبة النمو لا يمكنها أن تحل مشاكل الفقر والبطالة بل ستفاقمها ما لم تجد الحكومة حلولا لمشكلة التنمية

أسباب مجهولة

وفيما يتعلق بمسألة الطاقة يرى أستاذ الاقتصاد رضوان حسني في حديثه لـ«القدس العربي» أن هناك حيرة في صفوف المواطنين تتعلق بالأسباب التي تجعل الحكومة لا تتحرك باتجاه تكثيف الانتقال نحو الطاقات البديلة بنسق سريع في ظل العجز الطاقي الذي تعيشه البلاد والمكلف على خزينة الدولة. فقد توقف نشاط التنقيب عن النفط والغاز، حسب محدثنا، وتراجع إنتاج المحروقات في الحقول التونسية، والعجز الطاقي يتفاقم سنة بعد سنة والتوريد يتزايد ويكلف خزينة الدولة مبالغ طائلة ورغم ذلك تتعطل مشاريع إنتاج الكهرباء بالطاقة الشمسية ولا أحد يعرف ما السبب.

ويتساءل محدثنا هل أن السبب في تعطل الانتقال نحو الطاقات البديلة هو اللجوء الحكومي إلى الحل السهل والمريح، وهو استيراد الطاقة، الذي يبدو أنه أقعد المسؤولين عن الاستثمار بنسق سريع في الطاقات البديلة وتوفير أموال استيراد الطاقة لاستثماره في التنمية لخلق الثروة والنهوض بالمناطق الداخلية والحد من البطالة؟ أم أن هناك أياد خارجية اخترقت الدولة التونسية خلال العشرية السابقة التي عانت فيها الدولة من الوهن، ومن مصلحة هذه الجهة أن لا يحصل الانتقال نحو الطاقات البديلة وتبقى تونس موردة للغاز لإنتاج الكهرباء؟

ويضيف محدثنا قائلا: «لقد كان مبرمجا أن تنتج الخضراء 30 في المئة من حاجياتها الطاقية من الطاقات البديلة في موفى سنة 2025 لكنها اليوم لا تنتج إلا 3 في المئة فقط من حاجياتها وسنة 2025 على الأبواب ولم يبق لها الكثير، رغم أن الـ30 في المئة تعتبر ضعيفة لبلد يعاني عجزا طاقيا منذ بداية الألفية. لقد كان من المفروض، حسب الخبراء، أن تسعى تونس إلى تغطية كامل عجزها الطاقي والمقدر بأكثر من 50 في المئة وذلك من الطاقات البديلة.

فما يتم تحصيله من عملة صعبة من عرق وجهد التونسيين وعملهم الدؤوب طيلة العام في كافة القطاعات يتم التفويت فيه بسهولة في توريد الغاز، رغم أن الحلول موجودة ومتوفرة ويعرفها القاصي والداني. فمشروع الربط الكهربائي بين تونس وإيطاليا يشجع على التحول الطاقي باعتباره سيتيح إمكانية تصدير الكهرباء الذي يتم إنتاجه من الطاقة الشمسية إلى قلب أوروبا وذلك بالنظر إلى موقع تونس الواقع في وسط أفريقيا قبالة قلب أوروبا وليس أطرافها».

لعل خيار الدولة في الذهاب باتجاه شركاء جدد مثل الصين، التي بدأت بعد في إنجاز جملة من المشاريع التنموية، يعتبر جيدا، بنظر محدثنا، إلا أنه كان من الأفضل برأيه لو تم البحث عن حلول أخرى لمشكلة الديون ولكتلة الأجور، ولو تم الاستثمار أكثر في الطاقات البديلة لتوفير الموارد للقيام بالمشاريع التنموية. ويرى حسني أن خيار الحكومة في تشجيع البنوك الوطنية في المساهمة في التنمية يعتبر حلا من الحلول لإيجاد الموارد لتحسين معيشة المواطن.

ليبيا وسط الجدل الدائر حول الاتفاقيات المبرمة مع الشركات الأجنبية هل تنجح في رفع إنتاجها من النفط؟

طرابلس – «القدس العربي»:

نسرين سليمان

تثير تعاقدات المؤسسة الوطنية الليبية للنفط مع شركات أجنبية جدلا في ليبيا منذ بضعة أشهر وتضمن الجدل إقالة وزير النفط في حكومة الوحدة الوطنية والذي يعد أحد أبرز المعارضين لإتمام هذه التعاقدات، حيث يرى هو وآخرون كالمجلس الأعلى للدولة أن تطوير الحقول بنسب أرباح هائلة بالشراكة مع شركات أجنبية وفي ظل وجود شركات محلية هو خسارة للدولة الليبية وتسليم في أرزاقها.

ومؤخراً طلبت شركتا توتال إنرجي الفرنسية، وكونوكو فيليبس الأمريكية وهما الشريكان الأجنبيان للمؤسسة الوطنية للنفط في حقول شركة الواحة للنفط بزيادة هامش ربحهما من 6.5 إلى 13 في المئة من حصتها من الإنتاج التي تعادل 40.83 في المئة مع تمديد صلاحية العقود المبرمة مع المؤسسة إلى العام 2046 وذلك مقابل الموافقة على خطة زيادة إنتاج حقول شركة الواحة للنفط، وفق مذكرة وجهها أخيرا رئيس مجلس إدارة المؤسسة، فرحات بن قدارة إلى رئيس حكومة الوحدة الوطنية ورئيس المجلس الأعلى للطاقة عبدالحميد الدبيبة.

وجاء طلب الشركتين كشرط للمساهمة في خطة تطوير حقول شركة الواحة، حسب مذكرة بن قدارة، والتي طالب فيها بتوفير استثمارات تتراوح ما بين 15 إلى 20 مليار دولار لتنفيذ خطة زيادة إنتاج حقول شركة الواحة للنفط إلى 850 ألف برميل يوميا، موضحا العرض الذي قدمته الشركتان بالخصوص.

ودعا بن قدارة في المذكرة إلى التفاوض مع الشريكين للوصول إلى ما وصفه بحلول مرضية للطرفين تضمن تنفيذ برنامج تطوير الشركة بأسرع وقت ممكن وهو البديل الذي فضله بن قدارة على خيار وصفه بالمخاطرة المنفردة عند تنفيذ خطط تطوير حقول شركة الواحة، وذلك بسبب تحديات قانونية ونزاعات قضائية مع الشركاء، فضلا عن الحاجة إلى تدبير التمويل الكافي.

لكن المذكرة نفسها تكشف عن حقائق لا تبرر العجلة التي يدعو إليها بن قدارة لتغيير اتفاقيات عقود الامتياز والمشاركة التي سوف تنتهي في فترة تتراوح بين 12 إلى 16 عاما (2035 و 2039) حيث أن الاحتياطي المتاح للإنتاج من حقول شركة الواحة للنفط يقدر بنحو 6 مليارات برميل، وفي حدود مستويات الإنتاج الحالي (350 ألف برميل يوميا) يوفر هذا الاحتياطي استمرار الإنتاج طوال 60 عاما.

كما أن الاحتياطي المكتشف وغير المطور في حقول الواحة لا يتعدى 1.5 مليار برميل، ولم يوضح بن قدارة من أين، وكيف سيزيد الإنتاج بواقع نصف مليون برميل يوميا؟ كما إن حديث بن قدارة عن أن الطلب على النفط كمصدر للطاقة سيتناقص تدريجيا من الآن وحتى العام 2050 يعد اتفاقا على متطلبات المرحلة الراهنة التي تستوجب الوقف الفوري لأية مفاوضات نفطية، ومخالفا لما دعا إليه كل من ديوان المحاسبة والنيابة العامة وأعضاء في مجلسي النواب الدولة.

كذلك تأتي مسألة بن قدارة إلى العام 2050 بمثابة تلويح بأوضاع غير مؤكدة عالميا من أجل الإسراع بالتفاوض مع الشريكين الأجنبيين، وتمرير الصفقة رغم أنهما لم يوضحا بعد ما هي التكاليف التي ستقع على عاتقهما مقابل تمديد العقود، بل وتعديلها بمضاعفة أرباحهما لنحو 24 عاما مقبلة.

وبالفعل استجاب رئيس حكومة الوحدة الوطنية سريعا لطلب بن قدارة حيث شكل لجنة للتفاوض مع الشريكين الأجنبيين (توتال وكونوكو فيليبس) لتعديل اتفاق الامتياز والمشاركة في حقول شركة الواحة للنفط، في خطوة مخالفة لما دعا إليه كل من النائب العام وديوان المحاسبة وبرلمانيين ومختصين.

وفي اذار/مارس الماضي قرر رئيس هيئة الرقابة الإدارية عبدالله قادربوه، إيقاف وزير النفط والغاز بحكومة الوحدة الوطنية محمد عون عن العمل لدواعي ومقتضيات لمصلحة التحقيق بدون توضيح تفاصيل القضية أو المخالفات محل التحقيق، الأمر الذي دعا نحو 53 عضوا في مجلس الدولة ونقابة النفط إلى المطالبة بإلغاء القرار الذي وصفوه بالإجراء المشبوه والظالم وأعربوا عن استغرابهم من سرعة تكليف من يسير أعمال الوزارة بديلا عنه بشكل معد ومرتب مسبقا من قبل رئيس الحكومة عبدالحميد الدبيبة.

وإثر الجدل الدائر أكد المجلس الأعلى للدولة، في جلسة الأربعاء، ضرورة تطوير الحقول النفطية من خلال إلزام المؤسسات المالية التابعة للدولة بتوفير الأموال والدخول في شراكة مع الشركات النفطية التابعة للمؤسسة الوطنية للنفط داعيا إلى الابتعاد عن أي تعاقدات قد تساهم في التفريط في مصدر رزق الليبيين.

وأكد المجلس ضرورة مكافحة الفساد ودعم جهود مكافحة التهريب، وضرورة إبعاد المؤسسة الوطنية للنفط عن أي تجاذبات سياسية وأي خلافات داعيا إلى توفير الحروقات من الميزانية المعتمدة للدولة الليبية أو الترتيبات المالية التي تقرها اللجنة المختصة وإيقاف عمليات مقايضة النفط الخام بالمحروقات معتبرا أن هذه المقايضة سببت إهدارا للمال العام نتيجة غياب الرقابة والشفافية المتعلقة بهذا الأسلوب من التعاملات.

في المقابل أعلن وزير النفط والغاز المكلف خليفة عبدالصادق خطط حكومة الوحدة لرفع الإنتاج النفطي إلى 1.4 مليون برميل يوميا باستثمارات بقيمة عشرة مليارات دولار بحلول نهاية 2024.

وأشار عبدالصادق إلى خطط لزيادة إنتاج النفط الليبي إلى مليوني برميل يوميا بحلول السنوات الثلاث المقبلة والذي يبلغ حاليا 1.2 مليون برميل يوميا، إذ رصدت لهذه الغاية استثمارات تصل قيمتها إلى 17 مليار دولار، وفق ما كشف في مقابلة صحافية الخميس، على هامش اجتماعات الربيع لصندوق النقد والبنك الدوليين.

تطوير الحقول القائمة

وفيما يتعلق بالإيرادات، ذكّر بتحقيق ليبيا ستة مليارات دولار في الربع الأول من السنة، مشيرا إلى توقعها زيادة الإيرادات مع ارتفاع الإنتاج إذا بقيت أسعار النفط عند مستويات الربع الأول. ويهدف المحافظة على الإنتاج عند مستوياته الحالية، جرى رصد ميزانية تقدر بحوالي عشرة مليارات دولار خلال العام الجاري والمقبل.

وكشف أن هذه الأموال تنقسم إلى قسمين، الجزء الأول يهدف إلى تطوير الحقول القائمة وتنفيذ الصيانة الدورية لها، بالإضافة إلى حفر المزيد من الآبار. أما الجزء الثاني سيخصص من أجل صيانة البنية التحتية اللازمة لقطاع النفط. وأظهر تقرير منظمة أوبك الصادر في اذار/مارس ارتفاع إنتاج ليبيا، وهي عضو في المنظمة، بنحو 144 ألف برميل يوميا.

وزير النفط المكلف أشار إلى أن حالة القوة القاهرة رُفعت عن جميع الشركات العاملة في البلاد، مشددا على أن القطاع يتعافى وأصبح جاذباً كما جرى التعامل مع أغلب هواجس المستثمرين وأعلنت في مطلع كانون الثاني/ يناير حالة القوة القاهرة بحقل الشرارة النفطي، على خلفية إغلاقه من قبل محتجين لهم مطالب سياسية، لتعود وتستأنف الإنتاج بعد نحو أسبوعين.

وفي السياق يقول رئيس المؤسسة الوطنية للنفط في ليبيا إن إنتاج البلاد من النفط سيتجاوز 1.5 مليون برميل يوميا بحلول نهاية 2025 قبل أن يصل إلى مليونين في غضون ثلاث سنوات.

ونقل المكتب الإعلامي لرئيس حكومة الوحدة الوطنية عبد الحميد الدبيبة تصريحات رئيس المؤسسة فرحات بن قدارة التي أدلى بها خلال انعقاد المجلس الأعلى لشؤون الطاقة والمياه بديوان مؤسسة النفط والذي رأسه الدبيبة.

وأكد بن قدارة أن هذه الأرقام يمكن تحقيقها من خلال «الاستمرار في التعقدات المالية للمشروعات الجارية للوصول إلى الإنتاجية المطلوبة».

وشدد على «ضرورة متابعة خطة زيادة الإنتاج والوصول إلى إنتاج مليوني برميل وفق الجداول الزمنية».

إعادة التفاوض

وبينما تأمل شركتا توتال إنيرجيز وكونوكو فيليبس إعادة التفاوض على شروطهما في حقل الواحة، الذي ينتج أكثر من 300 ألف برميل يوميا، تتفاوض شركات إيني الإيطالية وأدنوك الإماراتية وتوتال إنيرجيز مع المؤسسة الوطنية للنفط بشأن حقل الغاز NC-7 وشكك من في تكاليف وعملية اختيار المستثمر للمشاريع في حقل حمادة.

وزير النفط الليبي وقبل إقالته انتقد أيضا صفقة بثمانية مليارات دولار مع شركة إيني الإيطالية، ورأى أن أحكام استرداد التكلفة سخية للغاية، وأن مؤسسة النفط تجاوزت تفويضها في اتخاذ قرارات من اختصاص الوزارة.

وقد أثارت مسألة إقالة وزير النفط في وقت سابق جدلا واسعاً حيث اتهم التجمع الوطني للأحزاب الليبية حكومة الدبيبة بإطاحتها بوزير النفط والغاز، محمد عون، من أجل تنفيذ اتفاقيات مرفوضة، ومنها مفاوضات الاتفاقية الخاصة بحقل «NC7» في حوض الحمادة.

وأشار التجمع إلى صدور قرار مجلس النواب رقم 15 لسنة 2023، الذي «يمنع المساس بالثروات السيادية، ويعتبر أي اتفاق يقع بشأن الاتفاقية باطلا» وكذلك ما صدر عن مجلس الدولة ومكتب النائب العام من مخاطبات بإيقاف هذه المفاوضات التي تتجاهلها حكومة الدبيبة.

وقال في بيان، إنه يتابع بقلق بالغ التداعيات المتلاحقة المتعلقة بملف الطاقة في ليبيا، والفساد الذي يشوب كثيرا منها، والذي تعتبر حكومة الوحدة الوطنية والمؤسسة الوطنية للنفط طرفين رئيسين فيه، مشيرا إلى الارتفاع غير المبرر لفاتورة دعم المحروقات، خاصة المستهلكة من طرف الشركة العامة للكهرباء، والإصرار على مقايضة النفط الخام بالمحروقات، والتكليف المباشر لشركات حديثة التأسيس ومجهولة بعقود تطوير بعض الحقول.

واعتبر التجمع أن شبهة الفساد تحوم حول الدبيبة ومؤسسة النفط بسبب إصرارهما «على المضي في مفاوضات الاتفاقية الخاصة بحقل NC7 في حوض الحمادة» مردفا: «كان آخر إجراء اتخذته الحكومة هو إزاحة وزير النفط بها، باعتباره المعارض الوحيد داخلها للاتفاقيات والإجراءات المشبوهة المتعلقة بقطاع النفط والغاز، حيث سارعت الحكومة بتكليف غيره تمهيدا لإبرام هذه الاتفاقية».

فيما قالت النقابة العامة للنفط في ليبيا، إن القرار الصادر عن رئيس هيئة الرقابة الإدارية ظالم، مطالبة الهيئة بإلغائه، ودعت جميع القوى والمواطنين بالوقوف ضد إيقاف الوزير الذي يضر بمصالح الدولة الليبية.

وأردفت النقابة في بيان: «ندين هذا القرار الذي استهدف أحد الرموز الوطنية والمهنية والمدافعين عن قطاع النفط في ليبيا، فهذا القرار يعتبر انتهاكا صارخا لمبدأ الشفافية والنزاهة، ويأتي في ظل الأوضاع السياسية والاقتصادية المزرية التي تمر بها البلاد».

انعدام الاستقرار السياسي

في سياق آخر رجح مجلون أن يؤدي إعفاء وزير النفط الليبي محمد عون عن منصبه، الشهر الماضي، إلى فتح باب استئناف العمل في كبريات مشروعات النفط والغاز بالبلاد، التي كان الوزير يعرقل استمرار عملها بدون الاتفاق مع المستثمرين على شروط جديدة حسب رأيهم.

ويرى عدد من المحللين أن استبعاد وزير النفط الليبي قد يسهم في تسهيل الوضع تدريجيًا، لكنهم حذروا من أن عدم الاستقرار السياسي ما يزال يمثل مشكلة.

على العكس من ذلك يؤكد موقع «إس آند بي غلوبال بلاتس» الأمريكي أن إقالة محمد عون من وزارة النفط الليبية، وتعيين خليفة عبدالصادق يعكسان مدى حساسية الصناعة النفطية أمام انعدام الاستقرار السياسي المستمر منذ سنوات.

وبينما لفت الموقع، في تقرير نشره الخميس، إلى أن إقالة عون قرار سياسي، إلا أنه استبعد إلغاء القرار، الذي يؤكد كيف تحول القطاع النفطي، المسؤول عن 95 في المئة من العائدات الحكومية، إلى ساحة رئيسية للصراع السياسي.

وذكر أن العلاقات بين أصحاب المصلحة المؤثرة في الصناعة هي من تتحكم في ازدهار القطاع النفطي، وخص بالذكر العلاقات بين رئيس حكومة الوحدة الوطنية والمؤسسة الوطنية للنفط ووزارة النفط والمصرف المركزي.

غير أن الموقع الأمريكي رجح أن تؤدي إقالة عون إلى فترة قصيرة من الاستقرار الاقتصادي والنفطي، وأن تنخفض حدة الخلافات بين المؤسسة الوطنية للنفط ووزارة النفط، وهي خلافات طفت على السطح في الآونة الأخيرة.

وفيما يتعلق بتداعيات إقالة عون على صناعة النفط في ليبيا، قال المحلل في شؤون الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بشركة فيريسك مابلكروفت هاميش كينير، إن القرار عكس إشارات متضاربة بالنسبة إلى قطاع النفط في ليبيا وشركات النفط الدولية.

وأضاف كينير لموقع «أويل برايس» أنه يمكن أن تطلق إقالة عون العنان لإحراز بعض التقدم في مشروعات نفطية ضخمة لأن عون كان السبب في وقف تطوير مشروع NC7 في حقل حمادة بزعم أنه منح امتيازات مفرطة للشركات الأجنبية على حد قوله. لكنه تابع قائلا أنه على الجانب الآخر، يظل عون محتفظا بدعم بعض الأطراف القادرة على عرقلة ووقف إنتاج النفط والغاز الطبيعي في البلاد.

ولفت الموقع إلى أن ازدهار القطاع النفطي في ليبيا يعتمد على العلاقات بين الأطراف الرئيسية، بما فيها وزير النفط، ورئيس حكومة الوحدة الوطنية، عبدالحميد الدبيبة، ورئيس المؤسسة الوطنية للنفط، فرحات بن قدارة، ومحافظ المصرف المركزي، الصديق الكبير.

ونبه التقرير الأمريكي إلى أن الخلافات بين عون وغيره من أصحاب المصلحة، التي برزت للعلن خلال الأشهر القليلة الماضية، أثارت استياء وشكوك المستثمرين. وقد اتهم عون شركات النفط الدولية بوقف خطط التطوير، ومحاولة الحصول على شروط تعاقدية أفضل من الحكومة.

طنطا المصرية عاصمة المتصوفين
وبلد «المشبك» والسيد البدوي والحاجات التي لا تقضى

القاهرة ـ «القدس العربي»:
حسام عبد البصير

تعد طنطا ملاذاً لجميع المشارب والنحل، فإليها يتجه أهل الدنيا من الباحثين عن سياحة قصيرة غير مكلفة ويحملون منها الحلوى الجافة رخيصة الثمن لأحبابهم، وكذلك يقصدها المتصوفة الذين يؤمنون بقدرة الأولياء الصالحين على قضاء الحاجات، وهو ما يعده جمهور المذاهب الإسلامية شركاً خالصاً، لذا ينفر السلفيون عن الاقتراب من مقامات الأولياء الذين تحتضن طنطا أحد أبرز رموزهم.

ترجع نشأة طنطا إلى زمن الفراعنة حيث كانت تعرف باسم تناسو، وكانت إحدى بلاد المقاطعة الخامسة من مقاطعات الوجه البحري في مصر الفرعونية، وفي القرن الرابع قبل الميلاد سماها الإغريق تانيتاد، ولما آلت مصر إلى الرومان عرفت باسم طنتنا وعين لها مجلس للأعيان. وفي العصر البيزنطي قبل الفتح العربي، أطلق عليها طو، وكان الإسم القبطي القديم طنيطاد، وبعد الفتح الإسلامي تحور الإسم إلى طنتدا، وبات بها جامع وحمام وسوق وأسقفية، وبمرور الزمن حرف الاسم تدريجيا، فأصبح عامة المصريين ينطقونها في زمن الحملة الفرنسية على مصر باسم طنطه، وهو ما ذكر في كتاب «وصف مصر» وحالياً تعرف المدينة باسم طنطا عاصمة محافظة الغربية، كما تعرف عند البعض بإسم مدينة شيخ العرب ومدينة البدوي.

مسجد السيد البدوي

وتبعد 92 كيلومترا من جهة الشمال الغربي من القاهرة، وهي ملتقى لطرق السكك الحديدية والبرية، وتربطها بأنحاء البلاد شبكة مواصلات شهدت مزيدا من التطوير على مدار السنوات الماضية. اهتمام خاص تحظى به طنطا من الجهات الحكومية في مصر لتطويرها وتنمية السياحة على أرضها، وظل أي محافظ جديد يهبط الإقليم يضع المدينة وتطويرها وتعبيد طرقها ومدها بالخدمات نصب عينيه بما يليق بمكانتها التاريخية، وأهميتها عند عامة المصريين.

وأول ما يسترعي الانتباه في طنطا مصانع الحلوى المنتشرة على نطاق واسع خاصة تلك المعنية بالموالد وفي القلب منها حلوى المولد النبوي الشريف، وهو الذي يحتفل به المصريون في شهر ربيع الأول من كل عام بينما يرفض علماء السنة والجماعة تلك الاحتفالات معتبرين إياها لا أصل لها في الثابت عن نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام كما لم يفعلها أصحابه من بعد ولا السلف الصالحون. ويشير أتباع علماء السنة والجماعة أن أفضل احتفال بنبي الإسلام يتمثل في إتباع هديه، فيما يعتبر أصحاب مصانع الحلوى في سائر البلاد وفي المقدمة منها طنطا المولد النبوي أهم المناسبات التي ينتظرها العاملون في تلك الصناعة لما تشهده من رواج كبير. ومن بين الصناعات التي تزخر بها الغربية كذلك صناعة الأسماك الملحة وفي المقدمة منها السميخ.

ويوجد فيها عدد كبير من الشوارع التجارية والأسواق، فلكل منطقة ما يبرزها ويزيد من شهرتها وأبرزها شوارع سوق السميخ، وسوق النحاس ويشتهر بالمشغولات النحاسية والألومنيوم وتل الحدادين، ويشتهر بأعمال الحدادة والصاغة حيث يختص بأغلى وأنفس الصناعات حيث صناعة الذهب والمجوهرات. وهناك كذلك العديد من الشوارع القديمة وبعضها يحمل أسماء الأعلام في الأدب والعلوم ومنها طه الحكيم وسعد الدين والسكة الجديدة ودرب الأثر والقيثارية والبحر والبورصة وسوق الحكمة. ومن أبرز آثارها الإسلامية مسجد العمري الذي تم تشييده في زمن الفتح الإسلامي وسمي بهذا الاسم نسبة إلى عمرو بن العاص، ومن الآثار الترفيهية التي توجد بطنطا حديقة حيوان تسمى المنتزه، وبالقرب منها العديد من الفنادق الحديثة التي يقبل عليها زوار المدينة. ومن معالم المدينة كذلك متحف وسط الدلتا بشارع محب والذي يضم بين دفتيه العديد من التحف والمخطوطات والقطع الأثرية من كافة العصور التاريخية التي مرت بها مصر، ويرجع اهتمام الحكومة الملكية قبل ثورة 1919 لإنشاء متحف في مدينة طنطا وبالتحديد عام 1913 حيث تم تخصيص قاعة في مجلس مدينة طنطا لعرض بعض الآثار، وفي عام 1957 نقلت القطع إلى مدخل سينما البلدية. وفي عام 1981 بدأت هيئة الآثار عملية إنشاء المتحف الحالي الذي جرى افتتاحه في عام 1990 في عهد الرئيس الراحل حسني مبارك، ويتكون من خمسة طوابق ويحتوي على قسم للهدايا في المدخل. ومن المعالم المعمارية في مدينة طنطا مبنى محطة السكة الحديد، الذي يعد تحفة معمارية مكتملة وترجع أسباب شهرتها لأنها تعد المحطة الثانية في تاريخ مصر، بعد محطة باب الحديد الشهيرة بالقاهرة.

مسرح طنطا

من أبرز صروح المدينة مسرح طنطا، الذي يقع في ميدان الجمهورية بأول شارع البحر وبعد واحداً من أهم وأكبر المسارح في مصر وله حسب النقاد المعنيين بالتاريخ الفني قيمة ثقافية متفردة لكونه أحد ثلاثة مسارح تم تصميمها على الطراز الإيطالي هو ومسرح الأوبرا القديم ومسرح سيد درويش، وتم التخطيط لانشائه ليكون مركزاً رئيساً لنشر الثقافة، ويحتوي على مقصورة ملكية كانت خاصة بالملك فاروق، أما خشبة المسرح فيصل ارتفاعها إلى ثلاثين متراً. وشهد مسرح طنطا العديد من المناسبات السياسية المهمة حيث اعتلى الزعيم الراحل جمال عبدالناصر خشبته عقب ثورة 23 يوليو 1952 ليلقي خطاباً أمام الجماهير، ومن المناسبات الفنية الهامة حفل السيدة أم كلثوم التي أحيت عليه إحدى حفلاتها.

رواج سياحي

تعد طنطا مزارا سياحيا دينيا للمتصوفين لوجود المسجد الأحمدي ومقام السيد البدوي الذي يعد تحفة معمارية بهندسته وبزخارفه ومشغولاته الخشبية ولوحاته الخطية المنتشرة على منبره ومحرابه وجدرانه وقبابه. ويتوافد على المسجد قرابة مليوني زائر في المولد الذي يقام مرتين سنويا، حيث تحتفل 67 طريقة صوفية من داخل وخارج مصر ويقام في منتصف تشرين الأول/أكتوبر من كل عام لمدة أسبوع، كما يقام احتفال آخر منتصف شهر نيسان/ابريل يعرف بالمولد الرجبي من كل عام، ولمدة أسبوع. وترجع تلك الأهمية إلى أن القطب الصوفي الكبير أحمد البدوي شيخ الطريقة الأحمدية، كان قد اختار طنطا محلا لإقامته، وبعد وفاته في 24 اب/أغسطس 1276 عن عمر يناهز 79 عاماً، خلفه تلميذه عبدالعال، وبنى مسجده. وكان في البداية على شكل خلوة كبيرة بجوار القبر، ثم تحولت إلى زاوية للمريدين، ثم بنى علي بك الكبير – حاكم مصر في زمن المماليك– المسجد والقباب والمقصورة النحاسية حول الضريح، وأوقف لها الأوقاف للإنفاق على المسجد الذي أصبح واحدا من أكبر مساجد مصر، حيث تقدر مساحته بنحو 6300 متر. وهو مربع الشكل به صحن كبير تحيط به الأروقة من جميع الجهات، وتغطي الصحن قبة مرتفعة، وفي الجهة الغربية للمسجد يقع ضريح السيد البدوي، كما يضم المسجد مجموعة من آثاره منها مسبحته التي يبلغ طولها عشرة أمتار وبها ألف حبة، وصنعت من خشب العود والعنبر، وتفوح منها رائحة المسك، وأيضا عمامته ولثامه وعصاه الخشبية. ولا يقتصر دور هذا المسجد على إقامة الشعائر والصلوات بل تحول إلى مؤسسة تعليمية مرموقة على غرار الجامعة الأزهرية، وكان عدد طلابه أكثر من 2000 طالب، وله شيخ كشيخ الأزهر وبلغ قمة مجده وازدهاره خلال القرن الرابع عشر الهجري. وبالقرب من مسجد السيد البدوي في شارع الجلاء بوسع القادم لطنطا مشاهدة سبيل علي بك الكبير، أحد معالم المدينة الأثرية وتم تدشينه في عهد علي بك الكبير في الفترة من 1183– 1185 هجري وينتمي للطراز الإسلامي بنقوشه وزخارفه في النوافذ وأبواب السبيل.

مجد المتصوفة

دارت الحياة في طنطا حول السيد البدوي منذ أن نزل فيها. وهذا القطب عاش عصرا مليئا بالأحداث في مشرق العالم الإسلامي. فقد شاهد الزحف التتري على بغداد وقتل الخليفة وحرق مكتبتها وانتشار الذعر بين المسلمين وكان ذلك عام 656 هجرية، كذلك وقبل زحف التتار على مصر شهدت مصر حملة لويس التاسع بأسطوله الضخم الزاحف إلى دمياط والذي استولى عليها وهو في طريقه إلى المنصورة.

كما شهدت هذه الفترة انحسارا لدولة الإسلام في الأندلس في بداية القرن السابع الهجري، وزالت دولة المرابطين في المغرب. وفي هذا الجو الذي أحاط بالناس بدأ نشر الطرق الصوفية وقام بها أقطاب صالحون للوصول إلى الطريق القويم، وكان البدوي أحد هؤلاء الأقطاب، ويقول عنه الكاتب إبراهيم أحمد نور الدين في كتابه «انه رضي الله عنه اشتهر بقوة الروح وصفاء النفس. وكان يؤمن كصوفي مظهرا ان الله يجيب الدعاء. ولاسيما إذا كان الداعي من عباده المخلصين». وحياة سيدي أحمد البدوي تنقسم إلى قسمين أحدهما في طنطا التي عرفت بذلك منذ أيام الحملة الفرنسية، والأخرى قبل أن يأتي إلى طندتا، وهو اسم طنطا القديم منذ ميلاده وإلى أن جاء إلى مصر. يقول المؤرخون إن أجداد البدوي تركوا مسقط رأسهم في الحجاز عام 73 هجرية بعد موقعة كربلاء واستشهاد جده الإمام الحسين، وكانت هجرة الكثيرين إلى غرب العالم الإسلامي الذي يشمل مصر والمغرب والأندلس.

ملتقى البسطاء

ولد القطب البدوي عام 596 هجرية (1119 ـ 1200 ميلادية) في مدينة فاس ورحلت أسرته إلى مكة وعمره 7 سنوات، واستغرقت الرحلة من فاس إلى مكة خمس سنوات، وترجح الدكتورة سعاد ماهر أن الأسرة أقامت في مصر أغلب هذه السنوات الخمس، ويؤيدها علي باشا مبارك في ذلك، ثم رحل بالبدوي أبوه علي بن ابراهيم مع أولاده وأهله سنة 603 هجرية يريد الحجاز للحج في طريقه بمصر وأقام فيها مدة. وفي مكة تفقه البدوي على مذهب الإمام الشافعي وأتقن العلوم وعكف على العبادة. وحسب ما أشار الباحث الراحل محمد مصطفى البرادعي نقلا عن دراسة تاريخية، في مدينة فاس وضع اللثام على وجهه كعادة مغربية فسمي بالبدوي. واستمر البدوي في تأملاته وعبادته عدة سنوات في شعاب مكة وجبالها، وأراد المزيد من علم أعلام الصوفية في العراق والسيدين أحمد الرفاعي وعبدالقادر الجيلاني. ويشير مؤرخون إلى أنه توجه إلى موطن فاطمة بنت بري في شمال العراق بناء على نداء باطني أمره بذلك، ليقوم سلوك هذه المرأة. وقد نسجت القصص والقصائد حول لقاء البدوي مع بنت بري، وهي سيدة كما وصفوها كانت تتمتع بقسط وافر من الجمال والمال، وكانت تمتحن من يريد أن يتتلمذ عليها بموضع الحسن الذي تتمتع من نفسها فيقع فيها من يطيل النظر إليها. وقد تجمع حول بنت بري أنصارها يؤازرونها في مسلكها الخاطئ، وأطنبت المصادر في لقاء البدوي مع بنت بري، ولم تؤثر فيه وشعرت أنها أمام جبل شامخ من الصلابة والإيمان، وعدلت عن خطتها والتزمت جانب الحق وأتبعت طريق الشرع. وتقول هذه المصادر إن هذا اللقاء كان شهادة ميلاد السيد البدوي، حيث تأكدت ولايته وصار قطب الأقطاب أعلى مراحل الصوفية. وبعد عودته إلى مكة رأى ذات ليلة في رمضان عام 634 هجرية رؤية ألحت عليه ثلاث مرات تقول (سر إلى طندتا فانك تقيم بها وتربي رجالا) ووصل إلى المدينة عام 637 هجرية في عهد الملك العادل الثاني، وقد أوشك على الأربعين من عمره، ونزل بدار تاجر العسل والحبوب الشيخ ركن الدين ركين وظل عنده 12 عاما، وبعد وفاته انتقل إلى دار مجاورة هي دار ابن شحيط.

تصوف ونضال

ترك السيد أحمد البدوي كما يرى المؤرخون أثرا كبيراً بالنسبة لأتباع الفرق الصوفية في تاريخ مصر الاجتماعي والديني والاقتصادي لأزمنة مديدة. وبدوره قال الجبرتي في نهاية القرن 18 الميلادي عن الاحتفال بمولد البدوي، «أصبحت موسما وعيدا لا يتخلفون عنه للزيارة والتجارة وتجتمع في مولده العالم الأكبر وأهالي الأقاليم البحري والقبلي». وتقول المصادر إن البدوي جعل من مريديه بمثابة (التوجيه المعنوي) في الجيوش الحديثة، وإن الكثير من أتباعه شاركوا في مقاومة الغزو الصليبي قتالا وجهادا، وأسر لويس ملك فرنسا وكثير من جنوده. وأبرزت الملاحم الشعبية بأن السيد البدوي جاء بالأسرى وكانت الأغنية الشعبية «الله.. الله يابدوي جاب اليسرى». ولتسجيل تاريخ هذا القطب فإن أهم آثاره المعمارية هو المسجد الأحمدي في طنطا فحين توفي السيد البدوي أقام تلميذه عبدالعال بجوار القبر خلوة تحولت فيما بعد إلى زاوية عُرفت بالأحمدية حتى عصر السلطان قايتباي 1483 ميلادية فأقيمت قبة على الضريح ومئذنة للزاوية. وفي عهد علي بك الكبير حول الزاوية إلى مسجد، وكما تقول دكتورة سعاد ماهر إن علي بك الكبير بنى في عام 1768 ميلادية ثلاث قباب على المسجد أكبرها فوق ضريح السيد وواحدة فوق تلميذه عبدالعال، والثالثة فوق الشيخ مجاهد، كما صنعت مقصورة نحاسية على ضريح السيد ونقش عليها اسمه ونسبه الشريف وأنشأ سبيلا في مواجهة السيد وفوقه مدرسة لتعليم القراءة وقيسارية عرفت (بالغورية) لنزول تجار القاهرة في حوانيتها أيام مواسم المولد لبيع الأقمشة والبضائع. أما مقام السيد الأحمدي الحالي فقد وضع أساسه عام 1269 هجرية 1852 ميلادية وتمت عمارته في عهد الخديوي إسماعيل، وأدخلت على عمارته بعض الشبابيك النحاسية ومحراب من الرخام الدقيق ومنبر جميل وفريد من الخشب المجمع. وفي السبعينيات من القرن الماضي تم توسعة المسجد وأضيفت إليه منارتان.

مجهول النسب

المشبك اسم ذائع الصيت في عالم الحلوى منذ مئات السنين لا أحد يعرف على وجه اليقين سبب تلك التسمية، إذ يرجح البعض أنها قدمت أولاً من الشام بينما يصر البعض على انها مصرية النشأة. المشبك ينتشر بيعها بمنطقة ومحيط مسجد سيدي أحمد البدوي ويقبل على شرائها جميع الأهالي من القاهرة ومحافظات الدلتا الذين يتوافدون على المدينة لقضاء نهاية الأسبوع. اختلفت الروايات التاريخية حول أصل حلوى المشبك، إذ يؤكد البعض بأنها مصرية الأصل تصنع بدمياط، والبعض الآخر اختلفوا عليها ما بين كونها سورية أو تركية، ويقول آخرون إن أصلها هندي، لكن أكثر الروايات شهرة بين الناس، هي أن أصل هذه الحلوى يعود إلى الشام، حيث اعتاد تجار أهل الشام منذ عدة قرون على التوافد إلى مصر للتجارة.

يعتبر المشبك الأكثر شهرة ومحط اعجاب جميع الطبقات الاجتماعية من فقراء وأغنياء، لكنه يمثل الاختيار الأول لزائري طنطا، ويباع بالكيلو وبالقطعة أو بالقرص، ويصنع من الدقيق ونشاء الذرة، مع إضافة خميرة وسكر وماء ورد وغيرها من المكونات الأخرى التي تضيف لها نكهة مميزة جعلتها تستحوذ على شهية الكثير من المصريين، حتى أصبحت من أشهر أصناف الحلويات الشرقية في الموالد المنتشرة في عدد من المحافظات بشمال وجنوب البلاد. ويرجح البعض تسمية حلوى «المشبك» بهذا الاسم إلى شكلها، الذي هو عبارة عن شكل دائري يحتوي على خيوط متشابكة. وتمر تلك الحلوى بـ 7 مراحل للتصنيع حتى تصل إلى المستهلك.

وتعد منطقة سيدي أحمد البدوي أحد أهم المناطق السياحية في الغربية، فطوال شهور السنة يتوافد الزائرون من جميع المحافظات لشراء الحلوى وكذلك الحمص والتسالي والتي تشتهر بجودتها في صناعة هذه المنتجات عن غيرها من المحافظات والمناطق الأخرى. وطنطا أساس صناعة الحلوى الجافة في مصر إذ توارثها الأهالي عن الآباء والأجداد، حيث أن تصنيع الحلوى الجافة وبيعها يزدهر على مدار العام وليس مرتبطا بمناسبة المولد النبوي الشريف أو المولد الأحمدي، وطنطا تنتج ما يقرب من مئات الآلاف من العبوات بحلوى المشبك وتضاعف إنتاج تلك الحلوى نظرا للإقبال الشديد عليها.

ومن يحط أقدامه في المدينة سيتوقف أمام مباني الجامعة، التي تحمل اسم المدينة والتي تضم العديد من الكليات في التخصصات المختلفة، وقد بدأت كفرع لجامعة الإسكندرية، ثم انفصلت وأصبحت جامعة منفردة باسم جامعة وسط الدلتا في عام 1972. كما ينتشر في طنطا التعليم الأزهري، حيث يوجد بها أقدم المعاهد الأزهرية في مصر ويحمل عنوان المعهد الأحمدي الذي يعود تاريخه لـ150 سنة. كما توجد بها كلية القرآن الكريم، وهي الأولى من نوعها في مصر، وليس لها شبيه من حيث تخصصها النادر في مجال العناية بالقرآن الكريم، وسائر ما له علاقة به من تفسير وأحكام كتاب الله سبحانه وتعالى إلا كلية القرآن الكريم بالمدينة المنورة في المملكة العربية السعودية.

لا يستطيع الزائر لطنطا أن يفوت فرصة وجوده في تلك المدينة العتيقة من دون مشاهدة المعالم الترفيهية والأثرية الفرعونية والرومانية والقبطية والإسلامية، التي تتراص على أرضها، وفي صدارتها آثار قرية خرسيت الفرعونية. وعلى بعد مسافة لا تتجاوز آلاف الأمتار تبرز آثار قرية تلبنت قيصر، والتي شيد بها الرومان، الذين احتلوا مصر قبل الفتح الإسلامي واحدة من أهم قلاعهم.

رياضة

حماقة وانهيار إمبراطورية البريميرليغ في دوري أبطال أوروبا!

لاعبو سان جيرمان يحتفلون عقب اقصاء برشلونة

لندن ـ «القدس العربي»: عادل منصور

بعد أربع مواجهات مليئة بالإثارة والتشويق، اكتملت مقاعد المربع الذهبي للدور نصف النهائي لدوري أبطال أوروبا، بتأهل البرباعي بوروسيا دورتموند وباريس سان جيرمان وبايرن ميونيخ وريال مدريد على حساب الضحايا أتلتيكو مدريد وبرشلونة وآرسنال ومانشستر سيتي على التوالي، في ما عُرف إعلاميا في المملكة المتحدة بتحطم أسطورة إمبراطورية الدوري الإنكليزي الممتاز، بعد فشل ممثلو الدوري الأقوى والأكثر تنافسية عالميا في تجاوز الدور ربع النهائي لبطولة النخبة في القارة العجوز، كثامن مرة منذ بداية الألفية تغيب فيها أندية البريميرليغ عن الدور نصف النهائي للكأس ذات الأذنين، والأولى منذ موسم 2019–2020، وذلك على عكس أغلب التوقعات التي كانت ترجح استمرار التفوق النسبي للأندية الإنكليزية على باقي كبار الدوريات الخمس الكبرى الأوروبية، باستثناء بابا البطولة ريال مدريد، في السنوات القليلة الماضية، وتحديدا السنوات الخمس الأخيرة، التي شهدت تتويج أندية البريميرليغ بثلاثة ألقاب، منها نهائيان بالصبغة الإنكليزية الخالصة، وسؤال الذي يفرض نفسه الآن: كيف فرط السكاي بلوز ومدفعجية لندن في المقعد الإنكليزي في نهائي «ويمبلي» المقرر مطلع يونيو/ حزيران المقبل؟ والسؤال الآخر: كيف نجح «بي إس جي» في قلب الطاولة على غريمه الكتالوني العنيد في عقر داره؟ هذا ما سنناقشه معا في قصتنا الأسبوعية.

حماقة وريمونتادا

نبدأ بموقعة ملعب «مونتفيردي»، التي جمعت صاحب الأرض برشلونة بضيفه الفرنسي الثقيل باريس سان جيرمان، وشهدت بعض التقلبات النادرة في عالم المركولا المجنونة، تجلت في البداية الجيدة لفريق المدرب شتافي هيرنانديز، التي أسفرت عن أفضل سيناريو كان ينتظره بعد حسم ذهاب «حديقة الأمراء» بثلاثية مقابل اثنين في الأسبوع قبل الماضي، بأخذ الأسبقية عن طريق نجم الشهر رافينيا بعد مرور 12 دقيقة فقط، وما تبعها من سيطرة على وسط الملعب، وأفضلية واضحة في المحاولات وخلق الفرص، قبل أن تنقلب الأمور رأسا على عقب، بعد هفوة المدافع رونالد أراوخو في اندفاعه على الجناح الشاب برادلي باركولا لمنعه من التسجيل من انفراد صريح مع الحارس الألماني مارك اندريه تير شتيغن، التي على إثرها اضطر البارسا لاستكمال المباراة بعشرة لاعبين بعد طرد مدافعه الثلاثيني عند الدقيقة 29، وفي رواية أخرى، كان مشهد «الماستر سين» أو منعرج المباراة الحقيقي، وشاهدنا كيف تسبب الطرد في قتل معنويات المايسترو ورجاله، وعلى العكس بالنسبة لزميل الأمس وغريم اليوم لويس إنريكي وفريقه، ولو أن هذا لا يقلل من عمل إنريكي وتحضيره الجيد قبل الملحمة، كما وضح في تعلمه من أخطاء مباراة الذهاب، مثل الدفع بالقائد ماركينيوس في مركزه الأصلي في قلب الدفاع، بعد اختباره الفاشل في مركزه المدافع الأيمن في المباراة الأولى، وأيضا أعاد المدمر كيليان مبابي إلى مكانه المفضل، كمهاجم وهمي في عمق الملعب بمركز الرقم 9.5 وعلى يمينه عثمان ديمبيلي وعلى يساره باركولا، فكانت المكافأة ظهور ثلاثي الوسط فابيان رويز وزايري إميري وفيتينا في أفضل حالاتهم على الإطلاق، خاصة الأخير الذي بصم على ما يمكن وصفها مجازا بـ«مباراة العمر»، بجرأة وشجاعة في قراراته في الثلث الأخير من الملعب، والإشارة إلى تمريراته العمودية الدقيقة في ظهر مدافعي البارسا، ودوره المؤثر في سلاسة خروج «بي اس جي» منتصرا، كما تتحدث عن قيمة وتأثير أسد أطلس أشرف حكيمي سواء على المستوى الدفاعي أو الهجومي، مقارنة بالصورة التي كانت عليها الجهة اليمنى للكبير الباريسي بدون رابح موندیال قطر في مباراة الذهاب، كجبهة باشمة وشبه عاجزة دفاعيا وهجوميا.

وهذه التفصيلة الخاصة بحكيمي كانت واضحة وضوح الشمس في ظهيرة الصيف، في لقطة الضربة القاضية الرابعة، بانطلاقة عنترية على طريقة العدائين الأولمبيين في سباق الـ100 متر، انتهت بوصول الكرة على طبق من فضة أمام مبابي على مشارف منطقة الستة ياردات، ليقتل المباراة إكلينيكيا بالهدف الرابع، وذلك كما أشرنا أعلاه بقيادة ناجحة وقراءة موفقة من قبل إنريكي، الذي عرف كيف يطوع خبرته التدريبية لحاكاة ريمونتادا مارس/ آذار 2017، التي كان بطلها، لكن مع البلو غرانا. على عكس تشافي، الذي تفنن في شق صفوف فريقه بعد طرد أراوخو، بما وُصفت على نطاق واسع بين النقاد والمتابعين بـ«حماقة» مبالغ فيها، بعد المشاهد الصادمة والخادشة للحياء التي وثقتها العدسات خارج الخطوط، تارة بتحول المدرب الكتالوني إلى «شمشون الجبار»، اعتراضا على أي قرار لحكم الساحة ضد فريقه، وتارة أخرى وهو يقذف كل أنواع اللعنات على حكم الساحة ووالدته، الأمر الذي عجل بإرساله إلى المدرجات مع بداية الشوط الثاني، رغم أن الحكم كان عادلا بوجه عام في قراراته الحساسة التي لم تخدم مصالح البارسا، مثل قرار طرد أراوخو واحتساب ركلة جزاء على جواو كانسيلو بعد تهوره على عثمان ديمبيلي على خط مربع العمليات. والأسوأ على الإطلاق بالنسبة لتشافي، هي طريقة إدارته للمباراة بعد حالة الطرد، وشاهدنا كيف أعدم الفريق هجوميا عندما أخرج رجل النصف ساعة الأول لامين يامال، لتعويض النقص العددي في الدفاع بإنيغو مارتينيز، لكن في المقابل، ضحى باللاعب القادر على القيام بالأدوار المركبة المطلوبة في هكذا مواقف، اللاعب القادر على المرور من لاعب أو اثنين في المساحات الشاغرة على الأطراف وفي العمق، بدلا من الرهان على الاسم الكبير روبرت ليفاندوسكي، الذي تبين بعد ذلك أن الإبقاء عليه، جعل البارسا يستكمل المباراة وكأنه بتسعة لاعبين، لعدم قدرته بدنيا على مجاراة الزيادة العددية والسرعات الباريسية، وغيرها من التفاصيل البسيطة التي رسمت الخوف الباريسي المستحق برباعية مقابل هدف، دليلا على أن رجل ريمونتادا 2017، كان أكثر تركيزا وتفاعلا مع أحداث المباراة، على عكس لاعبه السابق في «كامب نو»، الذي فقد السيطرة على نفسه وعلى فريقه بعد طرد أراوخو، ربما لقلة خبرته في حقل التدريب؟ ربما لسوء حالة أغلب اللاعبين؟ لكن الشيء المؤكد ولم يختلف عليه أغلب النقاد والمتابعين، أن باريس سان جيرمان تأهل على حساب برشلونة عن جدارة واستحقاق.

إمبراطورية البريميرليغ

في الوقت الذي يتحدث فيه عالم كرة القدم عن عظمة المنافسة الثلاثية في الدوري الإنكليزي الممتاز، وفرص المان سيتي وأرسنال الكبيرة لإبقاء لقب البريميرليغ في بلاد الضباب للعام الثاني على التوالي، جاءت الضربة المؤلة الأولى، بخروج بطل ثلاثية الموسم الماضي على يد بعبع القارة وكبيرها ريال مدريد، في مباراة تكاد تكون كربونية لنفس الليالي الظلماء التي شهدت خروج السيتي بيب غوارديولا من مراحل خروج المغلوب. صحيح اللوس بلانكوس كان موفقا في خطف هدف الأسبقية عن طريق قاهر السيتي رودريغو غوس، لكن ما حدث بعد ذلك فاق كل التوقعات، بما في ذلك أكثر المتفائلين من عشاق النادي الميرينغي، والحديث عن الحصار الكروي الذي تعرض له كارلو أنشيلوتي وفريقه في ما تبقى من المباراة، حتى أن البعض اعتبر أن وصول الفريق السماوي إلى الشباك البيضاء مجرد مسألة وقت، في ظل الغارات والهجمات المكثفة على الحارس الأوكراني أندري لونين، والتي وصلت لنحو 33 تسديدة مقابل ثماني تسديدات للضيوف. المفاجأة الوحيدة أن الأمر استغرق 76 دقيقة حتى تمكن أسطورة السيتي كيفن دي بروين من إدراك هدف التعديل، بقذيفة صاروخية كادت تمزق شباك الحارس الأوكراني، ولولا صمود الدفاع الملكي ومن خلفه لونين في آخر ربع ساعة والأشواط الإضافية، لخرج الميستر كارليو من ملعب «الاتحاد» بنتيجة ثقيلة للعام الثاني على التوالي، وجزء كبير من الصمود الدفاعي، يرجع في المقام الأول إلى نجم جولة إياب ربع النهائي أنطونيو رودیغر، طبعا ليس لتصدره التريند في العالم الإسلامي بعد صيحة التكبير، ولا حتى لأعصابه الفولاذية لحظة تنفيذ ركلة الترجيح الحاسمة، بل لدوره الكبير في إنقاذ موسم ريال مدريد، باعتباره الرجل المخلص الذي جاء من بعيد، ليضرب عصفورين بحجر واحد، الأول بمساعدة الإدارة في توفير الميزانية التي كانت مخصصة للتوقيع مع قلب دفاع جديد في سوق الانتقالات الشتوية الأخيرة، لتعويض كارثة إصابة الثنائي ديفيد آلابا وإيدير ميليتاو بالرباط الصليبي، والثاني وهو الأهم إعادة القوة والتوازن لخط دفاع الريال، بعد الهزة التي تعرض لها الخط الخلفي الموسم الماضي، الذي كان يشارك فيه المدافع الألماني بصفة ثانوية، وفي مراكز أخرى ومهام مختلفة عن مركزه الأساسي كقلب دفاع، تارة بالدفع به في مركز الظهير الأيمن لتعويض فترات غياب كاربخال ولوكاس فاسكيز، وتارة أخرى في مركز الظهير الأيمن في فترات ابتعاد الفرنسي فيلاند ميندي عن الملاعب.

مع ذلك لم يفتعل روديغر أي مشكلة أو يظهر أي نوع من أنواع الاعتراض على رؤية المدرب، إلى أن جاءته الفرصة التي ينتظرها منذ وصوله من تشلسي في صيف 2022، ليستعيد في وقت قياسي تلك النسخة البراقة التي رسمها لنفسه في موسم تتويج البلوز بالأميرة الأوروبية الثانية في العام 2021، أو بالأحرى المستوى الخرافي الذي كان عليه في مباراتي نصف النهائي أمام الريال في نهاية ولاية زين الدين زيدان الثانية، وعرضه البطولي أمام السيتي في النهائي، وأكبر دليل على عودة صاحب الـ31 عاما إلى قمة مستواه مرة أخرى، نجاحه في عزل سلاح السيتي الرادع إيرلينغ براوت هالاند عن فل فودن وبرناردو سيلفا ودي بروين والبقية، مقدما ما يمكن وصفه بالدرس المجاني لكل المدافعين في ترويض الوحش الاسكندينافي وتحويله من سفاح وجلاد إلى حمل وديع، بالكاد كنا نسمع اسمه على فترات متباعدة في ذهاب «سانتياغو بيرنابيو»، وبالمثل أراح الدفاع والحارس من أكبر صداع وكابوس يواجه خصوم السيتي، وعلى سيرة حامي العرين لونين، فقد أثبتت التجارب مرة أخرى، أن الريال تقريبا لم يتأثر بإصابة أفضل حارس مرمى في العالم في السنوات القليلة الماضية تيبو كورتوا، بتلك الشخصية والحالة الرائعة التي يبدو عليها الشاب الأوكراني، كمشروع حارس مرمى من الطراز العالمي على المدى القريب أو المتوسط على أقصى تقدير، بفضل تصدياته الحاسمة وموهبته الفطرية في التعامل مع الانفرادات والاختبارات المحققة بنسبة 100% التي يتعرض لها، والجديد في موقعة الأربعاء الماضي، براعته في التصدي لـركلات الجزاء، والتي كانت فارقة في حسم بطاقة التأهل للدور نصف النهائي والثأر من رباعية نصف نهائي النسخة الأخيرة، وفي المقابل، سيكون من الصعب إلقاء اللوم على المدرب الكتالوني بيب غوارديولا أو حتى انتقاده على طريقة إدارته للمباراة، يكفي إلقاء نظرة سريعة على أبرز أرقام وإحصائيات المباراة، بما في ذلك الفرص المحققة ونسبة الاستحواذ التي لامست الـ70%، لكن كما أجمع العديد من النقاد والمتابعين، الكرة أرادت الريال في مواجهة بايرن ميونيخ في نصف النهائي، وهو ما أثار قلق ومخاوف الإنكليز، نظرا للتفاوت الكبير بين القدرة الشرائية وحجم إنفاق كبار البريميرليغ وبين خصومه في باقي الدوريات الكبرى، باستثناء باريس سان جيرمان، شاملة عوائد البث التلفزيوني التي تحقق مليارات أكثر من الليغا والبوندسليغا والسيريا آه واللیغ ا معا.

السقوط الحر

على النقيض من وضع السيتي المشرف بالنسبة للكرة الإنكليزية أمام نادي القرن الماضي، بعث آرسنال رسائل أقل ما يُقال عنها مخيفة لجماهيره، بظهوره بصورة باهتة أمام بايرن ميونيخ في مباراة إياب الدور ربع النهائي، التي انتهت بهدف جوشوا كيميتش الوحيد، وذلك في الوقت الذي كان يعتقد فيه عشاق النادي اللندني، أن الوقت قد حان لرد الديون القديمة والجديدة للعملاق البافاري، الذي يمر بواحد من أتعس مواسمه في العصر الحديث، وصلت لحد خسارة لقب البوندسليغا للمرة الأولى منذ 11 عاما أمام مشروع تشابي الونسو في باير ليفركوزن، وسبقها ودع كأس ألمانيا من الأدوار الإقصائية الأولى، بينما ممثل الجزء الأحمر لشمال لندن، كان حتى قبل موقعة الذهاب، يبدو وكأنه يواصل المضي قدما في طريقه الصحيح، بعد التحسينات الكثيرة التي أضافها المدرب الإسباني ميكيل أرتيتا على المجموعة، بعد ضياع لقب البريميرليغ الموسم الماضي بفارق ضئل عن البطل السماوي المهيمن، تجلت في عودة المدافع ويليام ساليبا من الإصابة السيئة التي أبعدته عن الملاعب لفترة طويلة، إلى جانب البعد الجديد الذي أضافه صفقة العام في إنكلترا ديكلان رايس على وسط الملعب، لكن فجأة وبدون سابق إنذار، بدا وكأن آرسنال في طريقه للعودة إلى فصوله الباردة، وكانت البداية أو مؤشر الخطر الحقيقي، حين خطف التعادل من البايرن في ذهاب ملعب «الإمارات»، وتبعها بالسقوط المدوي أمام أستون فيلا بثنائية نظيفة على نفس الملعب، في ضربة قوية لحظوظ الفريق في المنافسة على لقب الدوري أو استعادته للمرة الأولى منذ عقدين من الزمان، واكتملت بالعرض البارد في «الإيانز أرينا»، الذي لا يعكس أي رغبة أو حماسة بالنسبة للاعبين لمصالحة الجماهير بعد هزيمة عطلة نهاية الأسبوع أمام الفيلانز، والمفارقة أن التاريخ يعيد نفسه للعام الثاني على التوالي، بهبوط مفاجئ في مستوى جُل اللاعبين الذين بالكاد غابوا عن دقيقة لعب واحدة مستحقة منذ بداية الموسم، في مقدمتهم بوكايو ساكا وبن وايت، تماما كما حدث في مثل هذه الأيام من العام الماضي، التي شهدت تخلي آرسنال عن صدارة الدوري لمصلحة السيتي.

هذا بالإضافة إلى ضعف الخبرة الأوروبية لدى أغلب لاعبي الفريق اللندني، وبالأخص الذين لم يسبق لهم اللعب في دوري أبطال أوروبا من قبل، على عكس منافسهم المتسلح بكتيبة من المحاربين والمتمرسين على هكذا سهرات ومواعيد يقولون عنها «تُكسب ولا تُلعب»، ولو أن هذا لا يقلل من عمل النادي البافاري، خصوصا في الشوط الثاني الذي قلب فيه الطاولة على ضيفه الإنكليزي، كاشفا أبرز عيوب ونقاط مشروع المدرب أرتيتا، وتكمن في السذاجة في التعامل مع المباريات الكبرى، والافتقار إلى العمق والواقعية على مدار الـ90 دقيقة، ما يعني صراحة وبدون مجاملة، أن وصول آرسنال إلى طريق البطولات الكبرى ما زال بعيدا، وعلى عكس ما قاله عراب المشروع قبل المباراة، بأن فريقه احتاج عاما واحدا لتحقيق قفزات تحققها أندية أخرى في 10 سنوات، ولعل من شاهد المباراة لاحظ معاناة الفريق من أجل الوصول إلى المناطق الدفاعية المحظورة للدفاع البافاري، حتى في أوقات الأفضلية النسبية على مستوى الاستحواذ السلبي على الكرة في الشوط الأول، وذلك بفضل القراءة الجيدة للمدرب توماس توخيل الذي أغلق كل المنافذ على ضيوفه، باعتماده على إيريك داير بجانب ماتياس دي ليخت في قلب الدفاع ي طريقة 4–2–3–1، مع تعاون كونراد لايمر مع ليون غوريتسكا في وسط الملعب، وحرية وتناوب في المراكز بين الثلاثي جمال موسيالا وليروي ساني ورافائيل غيريرو خلف رأس الحربة هاري كاين، وبعد نجاح توخيل في تحقيق المطلوب منه، بتأمين نتيجة التعادل السلبي في أوقات تفوق المنافس، تحسن الأداء كثيرا في الشوط الثاني، بعد انتقال كيميتش إلى الجهة اليمنى، ليصدر كل أنواع المشاكل لخط دفاع الغانرز، قبل أن يوقع بنفسه على هدف التأهل للدور نصف النهائي، وكما أجاد كيميتش في الحد من خطورة مارتينيلي في الجهة اليمنى، أيضا نصير مزراوي أبلى بلاء حسنا في مركز الظهير الأيسر، بعد دوره الكبير في إبعاد بوكايو ساكا عن المناطق المزعجة، وبالمثل تفوق غوريتسكا بفضل عامل الخبرة الأوروبية على ديكلان رايس في معركة السيطرة على دائرة الوسط في الأوقات الحاسمة، بينما في المقابل، اعتمد مدرب آرسنال على طريقة اللعب 4–3–3، بالحفاظ على ثنائية ويليام ساليبا وغابرييل في عمق الدفاع، وبن وايت وتاكيهيرو تومياسو في مركزي الظهير الأيمن الأيسر، فيما أدى جورجينيو دور لاعب الارتكاز، وأمامه رايس ومارتن أوديغارد، خلف ثلاثي الهجوم المكون من ساكا ومارتينيلي وكاي هافيرتز. ورغم اعتماد أرتيتا على هذا الكم الهائل من المواهب واللاعبين أصحاب النزعة الهجومية، إلا أنهم فشلوا جميعا في تسديد ولو كرة واحدة يُقال عنها خطيرة أو مقلقة للمخضرم مانويل نوير، في ظل استسلام الجناحين للرقابة الصرامة وعزل هافيرتز بين ثنائية دي ليخت وداير، حتى بعد تدخل المدرب في الشوط الثاني، بإشراك غابرييل جيسوس وإيدي نكيتياه وليباندرو تروسارد، لم تتحسن الأوضاع وظل الفريق وكأنه بلا أفكار خلاقة أو حلول من خارج الصندوق، على عكس صاحب الأرض الذي كان أكثر رغبة وإيجابية لضرب موعد مع ريال مدريد في الدور نصف النهائي للمرة الثامنة في تاريخ المواجهات المباشرة بين العملاقين.

أما المباراة الرابعة والأخيرة، التي لم تحظ بنفس المشاهدة والاهتمام، فكانت شاهدة على عودة أتلتيكو مدريد إلى فصوله الباردة، بالتفريط في فرصة التأهل إلى الدور نصف النهائي، رغم أنه على الورق كان الطرف الأوفر حظا للتأهل للدور نصف النهائي، لكنه على أرض الواقع، أثبت بوروسيا دورتموند أنه لم يتصدر مجموعة الموت بضربة حظ أو من قبيل الصدفة، بداية بأدائه البطولي في «واندا متروبوليتانو»، الذي كاد ينتهي على نتيجة التعادل 2–2، لولا تعاطف العارضة مع حامي عرين الهنود الحمر، ثم بإخماد ثورة التشولو وفريقه بعد عودتهم في النتيجة في الشوط الثاني بنفس النتيجة 2–2، وذلك بتسجيل هدفين في غضون 3 دقائق، لتنتهي موقعة إياب «سيغنال ايدونا بارك» بفوز صاحب الأرض برباعية مقابل اثنين، ليتجدد اللقاء مرة أخرى بين أسود الفيستيفاليا وأثرياء عاصمة الضوء، لكن هذه المرة ليس في دور المجموعات، بل بحثا عن تأشيرة اللعب في نهائي «ويمبلي» الشهر بعد المقبل.

لاعبو البايرن يحيون جماهيرهم عقب هزيمة أرسنال

فرحة لاعبي الريال بركلات الترجيح أمام السيتي

كورتوا وغافي ونجوم لامعة خارج «يورو 2024»!

لندن ـ «القدس العربي»:

في الوقت الذي ينتظر فيه عشاق كرة القدم الجميلة ركلة بداية بطولة كأس أمم أوروبا في ألمانيا 2024، يعيش بعض نجوم ومشاهير اللعبة لحظات صعبة ومعقدة، وبالأخص الذين يعانون من إصابات طويلة الأجل، على إثرها تكاد تتبخر أحلامهم في تمثيل بلادهم في نهائيات اليورو، والبعض الآخر ما زال يسابق الزمن، على أمل أن يستعيد كامل لياقته البدنية قبل اختيار القائمة المسافرة إلى وطن الماكينات الفارهة للمشاركة في أعرق بطولات القارة العجوز على مستوى المنتخبات، وفي هذا التقرير نستعرض معا أبرز النجوم الذين قد لا نتمكن من مشاهدتهم في اليورو المنتظر.

المدافع الأنيق

واحد من أشهر المدافعين الذين تأكد غيابهم عن البطولة، هو جوكر دفاع ريال مدريد وقائد منتخب النمسا ديفيد آلابا، الذي تعرض لإصابة سيئة بتمزق في الرباط الصليبي الأمامي للركبة، وحدث ذلك عشية أعياد الميلاد في ديسمبر / كانون الأول الماضي في مباراة ريال مدريد ضد فياريال على مستوى الليغا، ومعها أصبحت مشاركته مع منتخب بلاده في اليورو أشبه بالمستحيل، نظرا الى حاجته لثمانية أشهر على أقل تقدير من أجل التعافي بشكل كامل من العملية الجراحية، أو بالأحرى لن يكون متاحا لركل الكرة قبل بداية موسم 2024–2025. وبدرجة أقل زميله في «سانتياغو بيرنابيو» تيبو كورتوا، الذي تعرض لنفس الإصابة المروعة في بداية الموسم، لكنه تمكن مؤخرا من التغلب عليها، حتى أنه كان مرشحا بقوة للعودة مرة أخرى إلى عرينه في النادي الميرينغي بعد عطلة الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) الأخيرة، وذلك قبل أن يعود إلى المربع صفر، بانتكاسة أخرى على مستوى الغضروف المفصلي الداخلي الأيمن في مثل هذه الأيام من الشهر الماضي، وعلى إثرها خضع لعملية جراحية في اليوم التالي، وحتى وقت كتابة هذه الكلمات، تبدو فرصه في المشاركة في اليورو ضئيلة للغاية، إما لصعوبة تعافيه من الجراحة الجديدة وعودته الى المشاركة قبل نهاية الموسم، وإما لخلافه القائم مع مدرب منتخب «الشياطين الحمر» دومينيكو تيديسكو، الذي تسبب في اعتذار الحارس عن المشاركة أمام إستونيا في تصفيات اليورو الصيف الماضي، لعدم حصوله على شارة القيادة في هذه المباراة، وعنها قال المدرب في آخر حديث مع الصحافيين في عطلة مارس/ آذار الماضي: «لقد بذلت قصارى جهدي لأخذه إلى بطولة أوروبا هذا الصيف، لكن آخر شيء سمعته هو أنه لم يشعر بأنه مستعد للذهاب. كان الأمر واضحا وصادقا من جانبه»، ليرد الحارس عبر حساباته الشخصية، بوصف مدرب المنتخب بالكاذب، كمؤشر أو علامة، لصعوبة لحاق كورتوا بالبورو، حتى لو حدثت المعجزة وشفي من الإصابة وعاد إلى قمة مستواه قبل البطولة.

جوهرة برشلونة

في إسبانيا، دفع موهوب برشلونة غافي، فاتورة باهظة الثمن، بعد إشراكه في مباراة بلا معنى أمام جورجيا في تصفيات اليورو، وذلك بعد 3 أيام من مشاركته لمدة 90 دقيقة كاملة أمام قبرص، في المباراة التي حسمت تأهل إسبانيا بشكل رسمي إلى البطولة الأوروبية، وهو ما جعل النادي الكتالوني يلقي باللوم على مدرب المنتخب لويس دي لافوينتي، وتحميله بمفرده مسؤولية الإصابة السيئة التي تعرض لها لاعب الوسط المراهق، بقطع في الرباط الصليبي الأمامي للركبة اليمنى، وإصابة أخرى مرتبطة بالغضروف المفصلي الجانبي، ليتأكد غيابه عن اليورو بنسبة 100%، وربما يمتد غيابه لنهاية العام الميلادي الحالي، ومع ذلك، يرفض المدرب الاتهام الموجه إليه بأنه السبب في الإصابة التي ألمت بالشاب، كونه كان معرضا لخطر الإرهاق شأنه شأن أغلب جواهر «لا ماسيا»، الذين تدهورت مسيرتهم في سن مبكرة، وعلى رأسهم أنسو فاتي، وبدرجة أقل بيدري، الذي يعيش نفس التهديد في الوقت الحالي، بعد نجاته بأعجوبة من توابع الإرهاق في فترة ما بعد جائحة كورونا، وفي دفاعه عن نفسه من اتهام جمهور برشلونة، قال دي لافوينتي في آخر معسكر للماتادور: «اللاعب كان جاهزا تماما للعب، ومثل هذه الإصابات يمكن أن تحدث في أي موقف، كان حادثا ومن سوء الحظ أسفر عن إصابة سيئة»، لكن في كل الأحوال، تأكد غياب غافي عن منتخب إسبانيا الأول في اليورو، وربما لنهاية العام الميلادي الحالي، وفقا لما جاء في بيان اتحاد كرة القدم الإسباني في إعلان تفاصيل الكارثة للنادي الكتالوني وجماهيره.

قائمة عريضة

تشمل قائمة نجوم ومشاهير اللعبة الغائبين عن البطولة الأوروبية، المدافع الأيمن لنادي تشلسي والمنتخب الإنكليزي ريس جيمس، الذي صدم المشجعين في منشور عبر حساباته على مواقع التواصل الاجتماعي في فبراير/ شباط الماضي، بتجدد مشاكله على مستوى أوتار الركبة، من دون أن يكشف هو أو مدربه في الفريق اللندني ماوريسيو بوتشيتينو عن أي تفاصيل بخصوص موعد عودته، فقط مدرب المنتخب غاريث ساوثغيت قال في آخر لقاء صحافي في معسكر الشهر الماضي: «نأمل بأن يخوض بعض المباريات قبل بطولة أوروبا، لكن السؤال المحير هو: هل سيستطيع أن يلعب 7 مباريات في أقل من شهر بعد عودته من الإصابة؟ من خلال معرفتي بسجل إصاباته في السنوات القليلة الماضية، أتصور أن الأمر سيكون معقدا، لكنه لاعب من الطراز العالمي ويمكنه تقديم شيء مهم ولا شك في ذلك»، ما يعني أن مدافع تشلسي سيكون بحاجة لإقناع المدرب بمخاطرة ضمه إلى القائمة، في الوقت الذي اكتفى فيه بالمشاركة مع فريقه في 9 مباريات فقط منذ بداية الموسم، كما هو الحال بالنسبة لزميله في «ستامفورد بريدج» كريستوفر نكونكو، الذي تضاءلت فرصه هو الآخر في المشاركة مع فرنسا في اليورو، بسبب لعنة الإصابات التي غالبا لا تفارقه منذ قدومه من ألمانيا في سوق الانتقالات الصيفية الأخيرة، والتي كانت سببا في تأخر ظهوره الأول بالقميص الأزرق حتى فترة عيد الميلاد، قبل أن تتجدد معاناته بشكوى على مستوى الفخذ وأخرى في أوتار الركبة، لكن مازالت أمامه الفرصة لاستغلال المباريات المتبقية على انتهاء الموسم، وإلا سيكتفي بمشاهدة كيليان مبابي وعثمان ديمبيلي وباقي رفاقه يدافعون عن لقب الديوك.

هناك أيضا لاعب المنتخب الإيطالي دومينيكو بيراردي، الذي أصيب بتمزق كامل في وتر إخيليس (وتر العرقوب) في أول ظهور بعد تعافيه من إصابته بأن الغضروف مطلع الشهر الماضي، لتصبح مشاركته في مهمة الحفاظ على اليورو شبه مستحيلة، في ظل حاجته لنصف عام على أقل تقدير للتخلص من هذه الإصابة القاتلة، ومعه مواطنه المحترف في صفوف نيوكاسل يونايتد ساندرو تونالي، الذي خطف الأنظار ببدايته الواعدة بعد انتقاله الفاجئ من ميلان إلى جيوش المدينة، قبل أن تتم معاقبته بالإيقاف لمدة 10 أشهر، لمشاركته في واحدة من أكبر فضائح المراهنات التي ضربت جنة كرة القدم منذ ثمانينات القرن الماضي، وكذا مدافع نيوكاسل يونايتد زفن بوتمان، الذي انضم لقائمة المصابين بقطع في الرباط الصليبي، حيث تأكد غيابه عن منتخب هولندا في اليورو.

تيبو كورتوا

غافي

شابي ألونسو بطل «متسلسل» غيّر وجه ليفركوزن!

برلين ـ «القدس العربي»:

يقال أن «فلاناً يولد بطلاً»، وأن الأبطال في حقولهم المختلفة تكون جيناتهم مماثلة من جهة الرغبة الجامحة دائماً في الفوز وتحقيق النجاح، وهكذا نقل المدرّب الإسباني شابي ألونسو فطرته بأجواز الألقاب الرفيعة المستوى في بايرليفركوزن، فقاده بعد مسيرته الزاخرة على صعيدي الأندية والمنتخبات، إلى فكّ عقدته واحراز أوّل لقب بتاريخه في الدوري الألماني لكرة القدم، من دون أن يخسر أي مباراة حتى الآن في مختلف المسابقات.

أحرز ألونسو، لاعب الوسط السابق البالغ 42 عاما، دوري أبطال أوروبا 2005 ثم كأس إنكلترا مع ليفربول، ومرّة ثانية دوري أبطال 2014 وبطولة إسبانيا 2012 مع ريال مدريد، قبل ثلاثة ألقاب متتالية في الدوري الألماني مع بايرن ميونيخ بين 2015 و2017. وتوّج مسيرته الاحترافية بلقبين في كأس أوروبا (2008 و2012) وواحد في كأس العالم (2010) مع منتخب بلاده. واكتسب «لا باربا روخا» (اللحية الحمراء) خلال تلك الفترة الكثير من المعرفة التي صقلت فلسفته التدريبية. مواطنه بيب غوارديولا ورافايل بنيتيز وفيسنتي دل بوسكي والبرتغالي جوزيه مورينيو والإيطالي كارلو أنشيلوتي، هم من بين مجموعة من المدربين المتميزين الذين لعب تحت قيادتهم.

كان رحيله المفاجئ من ريال مدريد إلى بايرن ميونيخ في عام 2014 مدفوعا إلى حدّ كبير بفرصة مشاهدة الأساليب التدريبية لغوارديولا مباشرة. وتتجلّى مبادئ غوارديولا النقيّة في الطريقة اللافتة للنظر التي اجتاح بها فريق ألونسو ليفركوزن ألمانيا. ولم يتفاجأ غوارديولا بنجاح مواطنه، بعد أن رأى فهمه للعبة عن قرب «لقد كنت محظوظًا جدا لوجوده لمدة عامين. لقد كان لاعبا ذكيا». وتابع: «هناك لاعبو وسط يطرحون عليك الأسئلة، ولديهم فضول، ويسألون عن المباراة، وأنت تدرك أن هذا الرجل (سيكون مدرّبا)». وفيما يذكّر أسلوب ليفركوزن المرتكز على كثافة التمرير، بطريقة لعب فرق غوارديولا، رفض الونسو مقارنات مماثلة «ليست تيكي تاكا. في كثير من الأحيان، تكون تيكي تاكا حيازة دفاعية إلى حد ما. لعبت فيها، لكن لدينا أشياء أخرى».

إدارة أنشيلوتي

قبل سنوات قليلة توقّع جوزيه مورينيو مستقبله التدريبي: «والده (بيريكو) كان لاعباً ومدرباً (أحرز لقب الدوري مرتين كلاعب مع ريال سوسييداد في 1981 و1982). شغل مركز الوسط ومعرفته باللعبة مرتفعة جداً. لعب في إسبانيا، إنكلترا وألمانيا وأشرف عليه أفضل المدربين. اذا جمعنا كل هذه الأمور، اعتقد ان لديه الإمكانات ليكون مدرباً جيداً جداً». وينسب ألونسو الفضل إلى أنشيلوتي باعتباره صاحب التأثير الأكبر على أسلوبه التدريبي، بسبب قدرته الفائقة على إدارة لاعبيه. وقال ألونسو الذي يصف نفسه بـ«الباسيكي، بشكل كامل، لكن مع تأثير ألماني» لشبكة «بي بي سي» البريطانية متحدثاً عن مدربيه السابقين: «لقد حاولت دائماً أن أكون قريباً منهم، لأفهم كيف ولماذا يتخذون قراراتهم». وأضاف المدرب الذي أعلن أخيراً أنه سيكمل مشواره مع ليفركوزن الموسم المقبل، رغم الطلب الهائل من الأندية الكبرى لضمّه: «تتعلّم من ذلك ولكنك تحتاج إلى بناء شخصيتك الخاصة، إنها ليست عملية نسخ ولصق، إنه عمل هذا المدرب». وتابع: «أنت بحاجة إلى بناء أفكارك الخاصة والإيمان بها حتى تتمكن من نقل هذه الفكرة وهذا ما أحاول القيام به».

حتى بعيداً عن منطقة «الراين الرور» الصناعية المهووسة بكرة القدم، بدأ الوسط الكروي يشعر بقدوم مدرب من الطراز الرفيع إلى الساحة العالمية. وكان الألماني يورغن كلوب آخر مدرب أطاح العملاق البافاري، خلال فترة وجوده على رأس الإدارة الفنية لبوروسيا دورتموند، قبل أن ينزل الونسو البايرن على عرش احتكره 11 عاماً ويصبح مرشحاً فوق العادة لخلافة كلوب: «الديناصورات إذا أردتم أنشيلوتي، مورينيو، غوارديولا، وربما أنا، لن نفعل ذلك خلال العشرين عاما المقبلة». وأضاف كلوب: «الجيل القادم موجود بالفعل، وأود أن أقول إن شابي هو الأفضل في هذا المجال».

بعد الاعتزال

أخذ الونسو وقته قبل أن يلجأ إلى التدريب بعد اعتزاله اللعب في عام 2017. وبدأ مشواره التدريبي في صفوف شباب ريال سوسييداد، فهندس صعود فريقه الرديف إلى الدرجة الثانية للمرة الأولى منذ مطلع الستينات.

وتلقى المكالمة من ليفركوزن في تشرين الأول/ أكتوبر 2022، عندما كان النادي في النصف الثاني في جدول ترتيب الدوري الألماني. ورغم التذبذبات المبكرة حيث فاز مرّة يتيمة في سبع مباريات، أعاد الفريق إلى السكة الصحيحة. أنهى الموسم في المركز السادس وبلغ الدور نصف النهائي لمسابقة الدوري الأوروبي (يوروبا ليغ)، حيث خرج بصعوبة على يد روما الإيطالي. لكن قلّة كانت تتخيل هذه القفزة إلى الأمام في أول موسم كامل لألونسو في منصبه، إذ حلّق في الترتيب متبعداً بفارق شاسع عن بايرن ميونيخ، وينافس أيضاً على لقبي الكأس المحلية و«يوروبا ليغ». وقال الونسو الى وسائل إعلامية إنه لا توجد وصفة سحرية وراء نهجه، شارحاً: «أتحدّث، أعمل، أظهر، أتحسّن، أقوم بتمرين جماعي، تمرين فردي، لا أعرف اسماء هذه التقنيات: هي محادثة وجها لوجه».

قد تكون فلسفة الونسو التدريبية واضحة المعالم، لكنه ليس متشبثاً بها. ومن الواضح إدراكه لأهمية اللاعبين «لست متشدّدا بتطبيق أسلوب لعب محدّد. كلا، لأنك أنت (المدرّب) لست الشخص الأهمّ. الشبان الآخرون (اللاعبون) أكثر أهمية منك». وتابع: «كنت ألقى تشجيعاً لأكون مبتكراً في أرض الملعب، أن اتخذ قراراتي بنفسي». وأردف قائلا: «لا يتعلّق الأمر بكوننا رجالاً ألبين. لديهم المعرفة والوجودة لاتخاذ القرارات الجيّدة».

انتشرت هذا الموسم مقاطع فيديو على مواقع التواصل الاجتماعي للاعب الوسط السابق يرسل تمريرات بعيدة المدى عالية الدقة خلال التمارين. ويبتسم لاعب لارتكاز السابق رداً على سؤال ما إذا كان أفضل ممرّر في فريقه ويقرّ انه يفتقد لأيام اللعب الماضية، قائلاً: «ينبغي الا أقول هذا الأمر، لكن نعم. أنا مشتاق (للعب)». وتابع ان التدريب «ليس ممتازاً. اللعب أفضل، أفضل بكثير». ويقول السويسري غرانيت تشاكا، لاعب وسط وقائد أرسنال الإنكليزي السابق، القادم إلى ليفركوزن من الصيف الماضي ان مدرّبه حسّن طريقة لعبه، حيث قال: «يكشف لي ألونسو عن الكثير، الكثير من التفاصيل الصغيرة في اللعب. هذا أمر مميّز».

تشابي ألونسو

خلدون الشيخ

كارثة انكليزية في أوروبا!

تطلب الأمر تسديدة عشوائية قبل نهاية المباراة بثلاث دقائق كي تحفظ الكرة الانكليزية ماء وجهها في المسابقات الاوروبية، وبعدها الى صدات اسطورية من حارس بطل كأس العالم ايميليانو مارتينيز خلال تسديد ركلات الترجيح، كي ينجح أستون فيلا في البقاء في احدى المسابقات الاوروبية كالممثل الوحيد لأفضل دوري في العالم (البريميرليغ) في الدور نصف النهائي، وأين؟ في المسابقة الاوروبية الثالثة، كونفرنس ليغ.

في السنوات الـ28 الماضية تأهلت الفرق الانكليزية الى الدور نصف النهائي لدوري أبطال أوروبا عشرين مرة، وفازت باللقب خمس مرات من آخر 6 نهائيات، وفي المسابقة الثانية لم تختف فرق البريميرليغ عن أدوارها المتأخرة، ولهذا يبدو للوهلة الأولى أن هذا الموسم كارثي للكرة الانكليزية في المسابقات الأوروبية، لكن ما هي العلة؟

لا شك في أن الجدل حول هذا الامر يبقى في حدود الرغبة في المعرفة أو التصديق، فالمدافع عن الكرة الانكليزية سيعتبر ان المنافسات الشرسة هي تكمن في الدوري المحلي، أي أن «السوبر ليغ» الحقيقي هو البريميرليغ، بل أن المداخيل الأكبر تأتي للأندية من المشاركة في الدوري الممتاز وليس في المسابقات الأوروبية، أي أن تركيز كل ناد مشارك في المسابقات الأوروبية سيكون منصباً على صراعات البريميرليغ، والتي فيها كل مركز يحتله النادي في النهاية يفرق عن سابقه مبلغا يبلغ مليوني دولار، ويضمن الحصول على ما أقله 120 مليون جنيه استرليني وقد تصل الى 180 مليوناً بحسب المركز وعدد المباريات المنقولة، في حين لا يحصل من مشاركته في دوري الأبطال سوى على نصف هذا المبلغ أو أقل، حتى في حال تألقه، وهذا المبلغ يتقزم أكثر وأكثر في حال المشاركة في المسابقتين الأخريين الدوري الاوروبي وكونفرنس ليغ. ومع ذلك هذا لا يعني أن الفرق الانكليزية الأربعة التي شاركت هذا الموسم في التشامبيونز ليغ، لم تكن تصارع من اجل تقديم أفضل ما لديها في المسابقة الاوروبية، فنيوكاسل عاد ليشارك في دوري الابطال بعد غياب نحو 20 سنة، بعد عامين من صراعه من أجل البقاء في الدوري الممتاز مروراً بموسم خيالي احتل فيه المركز الرابع تحت ادارة المدرب ايدي هاو، قبل أن تعصف به الاصابات في ظل وجوده في مجموعة موت صعبة جدا مع باريس سان جيرمان وميلان وبوروسيا دورتموند. فيما استمرت معاناة مانشستر يونايتد من تخبطه الاداري الذي انعكس عليه بشدة في أرض الملعب، فعانى من موسم مهتز وخرج من دور المجموعات، في حين أبلى أرسنال بلاء حسناً حتى ربع نهائي دوري الأبطال في دور لم يخضه منذ 2009، وبدا واضحاً أنه فريق في مرحلة التكوين وما زال يفتقد الى الخبرة، ان كان على صعيد أفراده الموهبين او حتى مع مدربه الطموح ميكيل أرتيتا، ولم يعد يملك القدرة على الصراع محلياً في مسعاه لاحراز لقب الدوري المحلي للمرة الاولى منذ 2004، وبين محاولة الوصول الى نهائي التشامبيونزليغ للمرة الاولى منذ 2006، لكن الذي أضاع فرصة ذهبية كان صاحب ثلاثية الموسم الماضي مانشستر سيتي، الذي كان على استعداد أيضا لتكرار هذا الانجاز هذا الموسم أيضا، لكن رغم سيطرته المطلقة على مبارياته مع صاحب الخبرة وأكثر الألقاب في المسابقة الأوروبية ريال مدريد، لم ينجح في كسر شوكته.

حتى العريق ليفربول، الذي اعتبر مرشحاً فوق العادة لاحراز لقب الدوري الأوروبي في الموسم الاخير لمدربه الألماني يورغن كلوب، مرت فوق رأسه الغيمة السوداء، ففي غضون أيام فقد فرصة تصدره للدوري الانكليزي بخسارة صادمة على أرضه أمام المغمور كريستال بالاس، وقبلها صدم أنصاره بخسارة أكثر قسوة أمام أتالانتا الايطالي بثلاثية نظيفة في أرضه، أخفق في قلبها واكتفى بفوز معنوي بهدف في بيرغامو ليودع مسابقة كانت في المتناول. وفي نفس الليلة كاد وستهام اللندني أن يفعل ما لم يستطع أي ناد أن يفعله وهو هزيمة بطل ألمانيا الجديد بايرليفركوزن، عندما تقدم عليه بهدف حتى الدقيقة الاخيرة من المباراة قبل يعادل بطل البوندسليغا، ليبقى على سجله خالياً من الهزائم في كل المسابقات، والأهم التأهل الى نصف نهائي المسابقة بمجموع 3–1، ليؤكد على اقصاء كل الأندية الانكليزية من المسابقة بخروج برايتون أيضا من الدور السابق.

بقاء فريق انكليزي واحد فقط من أصل 8 فرق شاركت في المسابقات الاوروبية هذا الموسم، يحلول أدوار نصف النهائي في المسابقات الاوروبية الثلاث، هو كارثي لكبرياء وطموح الدوري الأفضل في العالم، لكنه ليس مقياساً بكل تأكيد، ففي الموسم الماضي تألقت الفرق الايطالية أوروبيا، وكان لها ممثلون في كل المباريات النهائية للمسابقات الثلاث، لكن في النهاية خرجت بخفي حنين، وأخفقت في احراز أي لقب، وظلت الكرة الايطالية تعاني من أزمات مالية خانقة ومن قلة نسبة المشاهدة، على عكس ما يحدث في البريميرليغ.

@KhaldounElcheik

مجتمع

رفح على مشارف اجتياح بري ومخاوف النازحين تزداد من هجوم مفاجئ

إسماعيل عبدالهادي

ينتاب القلق أكثر من مليون نازح يعيشون في مناطق متفرقة من مدينة رفح جنوب قطاع غزة، حيث لجأوا إلى المدينة بعد أن أجبروا قسراً على النزوح من مناطق مختلفة من شمال ووسط مدينة غزة مع بدء الحرب مطلع تشرين الأول/أكتوبر الماضي، على اعتبار أن المدينة منطقة آمنة حسب تعليمات الجيش الإسرائيلي، لكن مع تكرار تصريحات رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو بضرورة التحرك العسكري في مدينة رفح، عم القلق أوساط النازحين من تجاهل الحكومة الإسرائيلية والجيش التحذيرات الدولية التي تنادي بضرورة نقل النازحين إلى مناطق آمنة قبل بدء أي هجوم بري، والدخول بشكل مفاجئ.

ومنذ مطلع شباط/فبراير الماضي، تتصاعد تصريحات القادة البارزين من السياسيين والعسكريين في إسرائيل بشأن نية الجيش التحضير لعملية برية في مدينة رفح والتي تفصل غزة عن مصر بحدود طولها تقريبا 14 كيلو متراً، وتكرار هذه التصريحات جاء بالتزامن مع شن الجيش عمليات توغل برية لمناطق واسعة من وسط وجنوب مدينة غزة وبالتحديد مدينة خانيونس، التي شهدت عملية عسكرية امتدت لأكثر من ثلاثة أشهر وانتهت بشكل مفاجئ تحضيراً لاجتياح رفح، وهذا ما أدى إلى تخوف المواطنين من شن هجوم مباغت يؤدي إلى ارتكاب المزيد من المجازر البشعة والدامية بحق المدنيين العزل.

وعقد النازحون في مدينة رفح على وجه الخصوص آمالا كبيرة على توصل حركة حماس إلى هدنة مع إسرائيل خلال الفترة الماضية، تقضي بالسماح لهم بالعودة إلى منازلهم في شمال القطاع قبل الدخول لرفح، لكن مع فشل الجهود للمرة الرابعة على التوالي، خيم الخوف على النازحين من قرب العملية، وذلك كضغط على حركة حماس لتقديم تنازلات في ملف التفاوض، وعلى ما يبدو فإن الهجوم البري الإسرائيلي على مدينة رفح المكتظة بمئات آلاف الغزيين في مساحة لا تتجاوز 55 كيلو مترا مربعا بات مسألة وقت، بعد أن صادق الجيش على خطة عملياته، لكن المعضلة الكبرى أمام قرار البدء هي اكتظاظ المدينة بالنازحين، وهذا يحتاج إلى إيجاد خطة لإجلاء أكثر من مليون نازح، بعد الطلب الأمريكي والدولي من إسرائيل الموافقة على أي عملية في مدينة رفح أقصى جنوب غزة.

عملية رفح آتية

ووفق صحيفة «معاريف» العبرية فإن عملية رفح آتية رغم الضغوط الدولية التي تمارس على إسرائيل لمنعها، في حين لم تقدم الحكومة الإسرائيلية لأمريكا أي خطة لإجلاء النازحين قبل البدء بالعملية بعد طلب الأخيرة ذلك، ويعتقد محللون عسكريون إسرائيليون أن معركة رفح ستكون الأشرس والأعنف من بين المعارك التي خاضها الجيش في مناطق مختلفة من قطاع غزة، وذلك لوجود لواء متماسك ومؤهل عسكرياً في المدينة، ويحتاج القضاء على الكتائب الست في المدينة لجهد عسكري كبير، وسيواجه الجيش خسائر خلال العملية.

وترفض جمهورية مصر التي تمارس ضغوطاً عبر الولايات المتحدة أي تحرك إسرائيلي في مدينة رفح، على اعتبار أن ذلك يخالف بنود اتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل، خاصة وأن الحديث الإسرائيلي يدور عن نية الجيش احتلال محور فيلادلفيا لقطع خطوط الإمداد عن غزة، حيث قال وزير الخارجية المصري سامح شكري في تصريحات صحافية، إن بلاده التزمت بمعاهدة السلام طيلة 40 عاماً وتتعامل مع المعاهدة بفاعلية، لكن التحرك البري من قبل إسرائيل في رفح يهدد بتعليق معاهدة السلام، حيث تعمل مصر ومنذ بدء الحديث عن نية الجيش الإسرائيلي دخول رفح، على تحريك الجيش والآليات العسكرية إلى شمال سيناء لتعزيز الحدود خشية أي اقتحام للحدود.

وفي أحاديث منفصلة مع مراسل «القدس العربي» عبر نازحون يعيشون على مقربة من الحدود الفاصلة بين مدينة رفح مصر، عن بالغ استيائهم من الواقع الذي يعيشونه، خاصة وأن حياتهم باتت خطيرة وكارثية مع نية الجيش دخول رفح برياً والسيطرة على محور فيلادلفيا، الذي يكتظ بآلاف الخيم التي تأوي النازحين الفارين من الموت والقصف الإسرائيلي، ويخشى السكان من إجبارهم على الخروج تحت القصف، بدون إيجاد خطة لإيواء الأعداد الهائلة داخل مراكز مخصصة لحمايتهم من الموت والجوع.

هدنة تسمح بعودة النازحين

يقول أدهم موسى الذي يعيش داخل خيمة ملاصقة للحدود مع مصر، أنه يخشى من تجاهل الاحتلال الإسرائيلي للمطالب الدولية المنادية بضرورة نقل النازحين كخطوة لحقن الدماء وتفاديا لمحاولة الجيش ارتكاب المجازر بحقنا كمدنيين عزل، والخوف يزداد مع ارتكاب الاحتلال مجازر في مدينة خانيونس وغزة بحق آلاف النازحين وتجاهل كافة القوانين والأعراف الدولية.

> الهجوم البري الإسرائيلي على مدينة رفح بات مسألة وقت

وأوضح لـ«القدس العربي» أن النازحين داخل مدينة رفح، باتوا منهكين من حجم المعاناة التي يتعرضون لها مع دخول الحرب شهرها السابع، وهم غير قادرين على النزوح مرة أخرى إلى مناطق بعيدة عن سكناهم، ويترافق ذلك مع تفشي الأمراض وانتشار الفقر والجوع بينهم بشكل واسع.

وأشار إلى أن حجم الإحباط الذي مني به كان كبيراً، مع فشل الجهود المتكررة للوصول إلى هدنة تسمح بعودة النازحين إلى شمال قطاع غزة، حتى أن الناس بحاجة إلى فترة كافية من الهدوء والتخلص من القتل والدمار المستمر، وأصوات الانفجارات التي لم تهدأ سواء خلال النهار والليل.

وفي خطوة منهم لتفادي أي هجوم مفاجئ على مدينة رفح، باعتبار أن الاحتلال الإسرائيلي فوق القانون ولا تهمه حياة المدنيين والحفاظ على أرواحهم، خرجت أعداد كبيرة من النازحين من مدينة رفح صوب منطقة الزوايدة وبعض المناطق الأخرى وسط مدينة غزة، تحسبا من حصارهم داخل المدينة وتعرضهم للأذى، وهذا ما حصل مع أعداد كبيرة من الذين كانوا في مناطق آمنة على حد وصف الجيش، لكن تمت مباغتتهم بالقصف ودخول الدبابات لخيامهم واعتقال وقتل العديد منهم.

المواطن محمد جرس أجبر برفقة عائلته على إزالة خيمته من منطقة تل السلطان بمدينة رفح والنزوح نحو مدينة دير البلح وسط القطاع، والتي تعج هي الأخرى بآلاف النازحين، ويعتبر جرس في حديثه لـ«القدس العربي» أن الاحتلال ومن خلال التصريحات المتكررة عازم على دخول رفح، وأي هجوم سيكون واسعا وفي حال لم يتم إجلاء النازحين قبل العملية البرية، فإن وضعهم سيكون صعبا للغاية، وربما لن يستطيع أحد التحرك تحت نيران القصف العشوائي الذي ستتعرض له المدينة من البر والبحر والجو.

غياب الأهداف الحقيقية

يقول الكاتب المختص في الشأن الإسرائيلي شريف السيد إن الاحتلال يعاني من أزمة عدم تحقيق أهداف الحرب على غزة بعد مرور نصف عام عليها، فهو يحاول إيهام الجمهور الإسرائيلي حتى العالم أن النصر سيأتي من اجتياح مدينة رفح آخر معاقل حماس.

وأضاف لـ«القدس العربي» أن الاحتلال سيدخل مدينة رفح استعدادا لإنهاء الحرب على غزة، والتي يتكبد فيها خسائر كبيرة في صفوف الجيش ولا يعرف كيف ينهي هذه الحرب بسبب غياب الأهداف الحقيقية، ولكن ليست هناك جدية في الحديث عن إيجاد خطة لإجلاء النازحين، والجيش في ظل الفشل في عملياته البرية يحاول تسجيل انتصارات بقتل المدنيين ومحاولة الضغط على حركة حماس للتنازل عن مطالبها.

وبين أن الهدف الأساسي من عملية الاجتياح البري، هو السيطرة على محور صلاح الدين أو ما يسمى فيلادلفيا الفاصل بين غزة ومصر، والذي يريد الجيش احتلاله والسيطرة على طرق إمداد فصائل المقاومة من هذا المحور بالسلاح والعتاد، وبالتالي تسجيل صورة انتصار واهم من داخل المدينة في ظل عجز الجيش عن تحقيق أي انتصار.

وأدان المختص في الشأن الإسرائيلي التجاهل الدولي والصمت العربي المستمر للجرائم، حيث يوفر الصمت الغطاء للاستمرار في حرب الإبادة التي يستهدف بها المدنيين، في ظل العجز الكبير والواضح من قبل الاحتلال في القضاء على المقاومة بعد مرور نصف عام على الحرب، والتي يستخدم خلالها كافة أنواع الأسلحة المحرمة دولياً.

يذكر أن المستوى السياسي والعسكري في إسرائيل، يقدم بين الفينة والأخرى مقترحات لإجلاء النازحين من داخل مدينة رفح، مع الضغط الأمريكي المطالب بذلك لدعم العملية، فالكثير من الخيارات طرحت ولا تزال تطرح وجميعها لم تكن معقولة بالنسبة للإدارة الأمريكية، حيث أن اللافت في الأمر أن جميع الخيارات لم تشمل أي عودة للنازحين إلى شمال غزة، واقتصرت على توزيع النازحين على مناطق ما بين مدينة خانيونس ووسط القطاع.

شوربة الفريكة

المكونات

كوب من الفريكة
بصلة كبيرة، مفرومة
كوب واحد من الدجاج المسلوق، مقطع
ملعقة صغيرة من الملح
نصف ملعقة صغيرة من الفلفل الأسود
ملعقة صغيرة من الهيل الناعم
ربع كوب من زيت الذرة

طريقة التحضير

نغسل الفريكة عدة مرات، ثمّ ننقعها بالماء لمدة ثلاثين دقيقة. في قدر متوسط الحجم نضع الزيت، ونسخنه على نار متوسطة، ثمّ نضيف البصل وباستعمال ملعقة خشبية نقلبه حتى يصبح لونه شفافاً.

نصفي الفريكة من ماء النقع ونضيفها إلى البصل، ونقلّبها لبضع دقائق مع البصل. نضيف أكواب من الماء أو المرق، والملح، والفلفل والهيل ونقلب لتختلط المكونات، ثمّ نترك الشوربة على نار قوية حتى تغلي. مخفف النار ونغطي القدر ونترك الشوربة تطهو حوالي 20 دقيقة أو إلى أن تنضج الفريكة.

في الخلاط نضع الشوربة ونشغله حتّى تصبح ناعمة. نعيد الشوربة الى القدر، ثمّ نضيف قطع الدجاج المسلوق، ونتركها تغلي لمدة 5 دقائق.

نضع الشوربة في طبق التقديم، ونزينها بالبقدونس.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بإرسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

دراسة تكشف أسباب الحياة السعيدة

إنها دراسة أجريت في جامعة هارفارد العريقة على مدار أكثر من ثمانية عقود وشارك فيها حتى جون إف كينيدي. والآن تم نشر نتائجها. لكن الهدف الوصول إلى أسباب الحياة السعيدة. فكيف جاءت النتائج؟

ومنذ عام 1938 أي منذ حوالي 86 عاما، يقوم الباحثون في جامعة هارفارد العريقة بدراسة أسباب السعادة من أجل الحصول على إجابة على السؤال التالي: ما الذي يجعلنا سعداء حقا؟

وشملت الدراسة حول أسباب السعادة خلال تلك السنوات أشخاصًا من جميع الطبقات الاجتماعية في بوسطن، بل وحتى الرئيس الأمريكي الأسبق جون كينيدي كان مشاركا فيها.

وباستخدام البيانات التي تم جمعها على مدار 85 عاما، نشر العالمان، البروفيسور روبرت ج والدينغر وزميله الدكتور مارك شولز نتائج الدراسة في كتاب بعنوان «الحياة الجيدة: دروس من أطول دراسة علمية عن السعادة في العالم».

وأهم نتيجة خرجت بها الدراسة هي أن الشهرة أو المال أو الجينات الجيدة لا تجعل الإنسان سعيدًا، فالمهم حقًا هو العلاقات الجيدة. فالبشر مخلوقات اجتماعية بطبعها، لذا فإن الصداقات والعلاقة الجيدة مع العائلة والشراكة المجدية هي أمور بالغة الأهمية عندما يتعلق الأمر بعيش حياة سعيدة مديدة.

ويوضح البروفيسور روبرت ج والدينغر، رئيس دراسة تنمية البالغين بجامعة هارفارد أن «النتيجة الأساسية هي أن علاقاتنا لها تأثير قوي على صحتنا». وصحيح أن اتباع نظام غذائي متوازن وصحي وممارسة التمارين الرياضية الكافية والنوم المريح والمنتظم هي حجر الزاوية في حياة سعيدة، إلا أن العلاقات الوثيقة تلعب دورا كبيرا في هذا.

ويوضح والدينغر أن «العناية بجسدك أمر مهم، ولكن العناية بعلاقاتك هي أيضًا شكل من أشكال الرعاية الذاتية. أعتقد أن هذا هو الاكتشاف». وحتى أن قائد الدراسة ذهب إلى حد القول إن «الوحدة قاتلة مثل التدخين أو إدمان الكحول».

ومع ذلك، وفقًا لوالدينغر فإن الأمر لا يتعلق ببناء أكبر عدد ممكن من الصداقات والاتصالات، بل المهم هو وجود أشخاص مقربين يمكنك الاعتماد عليهم. لذلك ينصح بالتالي؛ حاول أن تولي المزيد من الاهتمام لعلاقاتك.

وكانت قناة «وسط المانيا» بمدينة ليبزيغ شرق البلاد، قد أجرت استطلاع رأي عن أسباب السعادة ونشرت نتائجه في كانون الأول/ديسمبر 2020 أفاد بأن المشاركين في الاستطلاع يعتقدون أن «كل شخص يملك سعادته بيده».

وبالنسبة لمعظم المشاركين في استطلاع القناة فإن الصحة هي الشرط الأساسي لحياة سعيدة، حيث أكد ذلك 90 في المئة منهم ذلك. وتحتل الأسرة المركز الثاني في قائمة السعادة بنسبة 84 في المئة. ورأى 77 في المئة من المشاركين في الاستطلاع أن امتلاك منزل خاص هو جزء من حياة سعيدة، ويتبعه الحب والشراكة بنسبة 73 في المئة.

ويعد عدم وجود أي مخاوف مالية أيضًا عاملا قويًا من أسباب السعادة بنسبة 71 في المئة. كما أن السلام والإيمان والطبيعة تجعل الناس سعداء، وفقًا لمعظم المشاركين في استطلاع القناة الألمانية.

الحمل

يوم مليئ بالأحداث الجادة أكثر مما تتوقع

الثور

من الممكن أن تزيد مسؤولياتك بالعمل

الجوزاء

تجنب الأخطاء والتهور والتسرع

السرطان

التوتر قد يسبب لك فشلا أو خسارة

الاسد

لا تنفعل كي لا تسبب لنفسك أزمة صحية

العذراء

مرحلة ضبابية في العلاقة مع الشريك

الميزان

كن صبوراً جداً في التعامل مع الآخرين

العقرب

اليوم مهم جدا من الناحية العاطفية

القوس

تدخل اليوم في مشروع عمل جديد

الجدي

لا تتخذ قرارات نهائية بمفردك

الدلو

وقت جيد لتعزيز السلام في العمل

الحوت

تعاملك الفظ مع زملائك ينقلب عليك

جديد الطب

الأمم المتحدة تندد بتزايد أعمال العنف الجنسي خلال النزاعات في 2023

نـددت الأمم المتحدة بتزايد أعمال العنف الجنسيّ المرتبطة بالنزاعات في 2023 ذاكرة بصورة خاصة في تقرير نشر الجمعة «اعتداءات جنسية» ارتكبتها القوات الإسرائيلية في الضفة الغربية و«معلومات مقنعة» عن اغتصاب رهائن خطفوا خلال هجوم حركة حماس على الدولة العبرية في السابع من تشرين الأول/أكتوبر ونقلوا إلى قطاع غزة.

وذكر الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش في تقريره السنوي حول هذه المسألة أنه «في العام 2023 عرّض انـدلاع النزاعات وتصاعدها المدنيين إلى مستويات أعلى من أعمال العنف الجنسي المرتبط بالنزاعات، أججها انتشار الأسلحة وتزايد العسكرة».

ونسب التقرير أعمال العنف الجنسي إلى «مجموعات مسلحة تابعة للدولة أو غير تابعة للدولة» تتصرف في غالب الأحيان «بدون أي عقاب» مشيرا إلى استهداف «نساء وفتيات من النازحين واللاجئين والمهاجرين» بصورة خاصة. ويشير تعبير «العنف الجنسي المرتبط بالنزاعات» إلى أعمال الاغتصاب والاستعباد الجنسي والدعارة القسرية والحمل القسري والإجهاض القسري والتعقيم القسري والتزويج القسري وأي شكل آخر من العنف الجنسي على علاقة مباشرة أو غير مباشرة بنزاع.

وأكد غوتيريش في التقرير الذي يستعرض الـوضـع فـي الضفة الغربية والـسـودان وأفغانستان وأفريقيا الوسطى وجمهورية الكونغو الديمقراطية وبورما ومالي وهايتي، أن هذه الأعمال لا تزال «تستخدم كتكتيك حربي وتعذيب وإرهاب وسط تفاقم الأزمات السياسية والأمنية».

والضحايا هم «بغالبيتهم الكبرى» نساء وفتيات، لكنه تم أيضا استهداف «رجال وفتيان وأشخاص من أجناس اجتماعية مختلفة» وجرت معظم أعمال العنف هذه في مراكز اعتقال.

وفي الضفة الغربية، ذكر التقرير أن «معلومات تثبّتت منها الأمم المتحدة أكدت تقارير أفادت أن عمليات توقيف واعتقال نساء ورجـال فلسطينيين من قبل قوات الأمن الإسرائيلية بعد هجمات السابع من تشرين الأول/أكتوبر غالبا ما ترافقت مع ضرب وسوء معاملة وإذلال بما في ذلك تعديات جنسية مثل الركل على الأعضاء التناسلية والتهديد بالاغتصاب».

كما ذكر التقرير معلومات أفادت عن أعمال عنف «مماثلة» ارتكبتها القوات الإسرائيلية في غزة بعد بدء العمليات البرية في القطاع، ضمن رد الدولة العبرية على هجوم حماس.

أما بالنسبة إلى الاتهامات الموجهة إلى حماس بارتكاب تعديات جنسية خلال هجومها على إسرائيل، ردد غوتيريش الاستخلاصات التي وردت في تقرير رفعته المظلة الخاصة للأمم المتحدة حول العنف الجنسي خلال النزاعات براميلا باتن في مطلع آذار/مـارس بعد زيارة لإسرائيل.

وذكر أن «ثمة أسبابًا وجيهة للاعتقاد أن أعمال عنف جنسي» من ضمنها عمليات اغتصاب واغتصاب جماعي جرت في ثلاثة مواقع على الأقل في السابع من تشرين الأول/أكتوبر.

وفـي ما يتعلق بالرهائن المحتجزين في غـزة، أشـار التقرير إلى «معلومات واضحة ومقنعة» تفيد عن تعرض «نساء وأطفال خلال احتجازهم» للاغتصاب والتعذيب الجنسي، مؤكدا أن هناك «أسبابا وجيهة للاعتقاد أن أعمال عنف مماثلة قد تكون مستمرة».

ودعا غوتيريش إلى «الأخـذ بعين الاعتبار الجنسي المرتبط بالنزاعات في كل الاتفاقات السياسية واتفاقات وقف إطلاق النار».

وطلب من الحكومة الإسرائيلية أن تعامل المعتقلين «بإنسانية» و«تسمح بدون إبطاء لهيئات الأمم المتحدة المختصة بالقيام بتحقيق شامل حول كل الانتهاكات المفترضة» من أجل «ضمان العدالة والمحاسبة».

كما دعا حركة حماس إلى «إطلاق سراح الرهائن فورا وبدون شروط وضمان حمايتهم بما في ذلك من العنف الجنسي».

(اف ب)

الأعمال القسرية: ظاهرة يتضرر منها الملايين وتجمع عبرها المليارات بطرق غير شرعية

نواكشوط ـ «القدس العربي»: عبد الله مولود

حذرت دراسة فنية لمنظمة العمل الدولية من خطورة انتشار ممارسة الأعمال القسرية الشاقة المستعبِدة للبشر داخل القطاع الخاص، وفي جميع قارات العالم.

وأكدت الدراسة الصادرة للتو «أن ربع هذه الممارسة المستغلة لبني الإنسان يمثل 37 في المئة من مجموع العائدات غير الشرعية المحصلة منذ 2014 عبر العالم، حيث ازدادت هذه العائدات بـ 64 مليار دولار، وهو ما اعتبرته الدراسة واقعا مخيفا يجمع بين زيادة عدد الأشخاص المجبرين على الأعمال الشاقة، وزيادة العائدات المالية المحصلة عبر استغلال هؤلاء الضحايا.

وأوضحت الدراسة المنشورة تحت عنوان «أرباح وفقر واستغلال: البعد الاقتصادي للعمل القسري» أن المهربين والمجرمين يجنون 10 آلاف دولار من كل ضحية يستغلونها في العمل الإجـباري، مقابل 8269 دولارا (معدلة بعد التضخم) قبل عشر سنوات.

وحـددت الدراسة منطقتي أوروبـا وآسيا الوسطى، بصفتها البؤرة التي تتركز فيها العائدات غير الشرعية المحصلة من ممارسة العمل القسري (84 مليار دولار) تتلوها منطقة آسيا والمحيط الهادي (62 مليار دولار) ثم الأمريكيتان (52 مليار دولار) ثم أفريقيا (20 مليار دولار) ثم الدول العربية (18 مليار دولار).

وإذا ما تم احتساب العائدات غير الشرعية حسب كل ضحية على حدة، فستُظهر النتيجة أنها تصل لأعلى مستوياتها في أوروبـا وآسيا الوسطى، متبوعةً بالدول العربية ثم بالأمريكيتين ثم بأفريقيا وآسيا والمحيط الهادي.

ويمثل الاستغلال الجنسي القسري ثلثي العائدات غير الشرعية (73 في المئة) من إجمالي العائدات غير الشرعية، بينما لا تتجاوز هذه النسبة 27 في المئة من العدد الإجمالي لضحايا العمل الإجباري في القطاع الخاص.

وتجـد هـذه الأرقـام تفسيرها في احتساب الأمـوال المحصلة من كل ضحية على حدة، حيث يظهر الفرق الكبير بين الاسـتـغـلال الجنسي التجاري وأنـمـاط الاستغلال الأخرى التي تمارس عبر العمل القسري المفروض خارج النظام الإداري التقليدي.

الاستغلال الجنسي

فقد أظهرت الدراسة أن العائدات غير الشرعية المستجلبة عبر الاستغلال الجنسي تبلغ 27252 دولارا محصلة من كل ضحية، بينما تبلغ العائدات غير الشرعية المحصلة من أنواع الاستغلال الأخرى 3697 دولارا من كل ضحية.

وفيما أظهرت الدراسة أن قطاع الاستغلال الجنسي التجاري القسري، هو أول قطاع تحصل فيه الأموال غير الشرعية عبر العمل القسري، أكدت في جانبها الخاص بالتصنيفات، أن القطاع الصناعي هو ثاني موقع لتحصيل هذه الأموال (35 مليار دولار) يتلوه قطاع الخدمات (20.8 مليار دولار) ثم قطاع الزراعة (5 مليار دولار) ثم قطاع العمل المنزلي (2.6 مليار).

وأوضحت الدراسة «أن هذه العائدات غير الشرعية تقابل الرواتب المستحقة للعمال والتي بقيت في أيدي مستغليهم ظلما ضمن ما يقومون به من ممارسات قسرية في حقهم».

وأشارت الدراسة في استخلاصاتها إلى أنه «في عام 2021 تم تسجيل يوم محدد تعرض فيه 27.6 مليون شخص دفعةً واحدةً للعمل القسري» مبرزة أن هذا الرقم يؤكد أن 3.5 شخص من كل ألف نسمة في العالم قد تعرضوا للعمل الإجباري. وأظهرت الاستخلاصات ارتفاع عدد الأشخاص الذين تعرضوا للعمل القسري بمقدار 2.7 مليون بين عامي 2016 و2021. وفي تعليق له على الدراسة، يقول جلبير هونغو المدير العام لمنظمة العمل الدولية «إن العمل القسري يؤيد دورات الفقر والاستغلال ويقوض كرامة الإنسان؛ ونحن نعلم الآن أن الحالة ازدادت سوءا، وأنه يجب على المجتمع الدولي أن يتحد على وجه السرعة لاتخاذ إجراءات لإنهاء هذا الظلم».

وأضاف «أن ضحايا العمل القسري يتعرضون لأشكال متعددة من الإكراه، وأن أشدها ضررا وشيوعا، هو حجب الأجور بطريقة متعمدة ومنهجية».

وقـال «يجب على المجتمع الدولي أن يتحد على وجه السرعة لاتخاذ إجراءات لإنهاء هذا الظلم، وحماية حقوق العمال، ودعم مبادئ الإنصاف والمساواة للجميع».

وسلطت الدراسة الضوء على الحاجة الملحة للاستثمار في تدابير إنفاذ القوانين ضمانًا لوقف تدفق الأرباح غير المشروعة المحصلة من العمل القسري ولمحاسبة الجناة، مؤكدة أن ذلك يمكن أن يتم بتعزيز الأطر القانونية، وتدريب الموظفين المكلفين بإنفاذ القوانين، وتوسيع نطاق تفتيش مواقع العمل ليشمل القطاعات ذات الخطورة الشديدة، مع تحسين التنسيق بين تطبيق قانون العمل وإنفاذ القانون الجنائي.

وشددت الدراسة التأكيد على أنه من غير الممكن إنهاء العمل الجبري من خلال تدابير إنفاذ القانون وحدها، وأن هذه التدابير يجب أن تكون جزءا من منهجية شاملة تعطي الأولوية للأسباب الجذرية للممارسة ولحماية الضحايا.

وفي الأخير، أكدت الدراسة «أن بروتوكول عام 2014 الملحق باتفاقية العمل الجبري لعام 1930 وتوصية العمل الجبري رقم 203 (التدابير التكميلية) لعام 2014 توفر كلها إطارا استراتيجيا لعمل شامل ينهي أو يحد من ظاهرة العمل القسري التي يتضرر منها ملايين البشر عبر العالم».

منوعات

الفنان طارق بورحيم يخوض مغامرة تنظيم مهرجان «لفراجة» في مدينة مغربية صغيرة

الرباط ـ «القدس العربي»: عبد العزيز بنعبو

في عمق مدينة صغيرة تقع على هامش القنيطرة القريبة من الرباط، اختار الفنان طارق بورحيم، أن تكون مدينة سيدي يحيى الغرب محور نشاطه الفني والثقافي في محاولة لإعطاء البريق لبعض مدن الهامش كما يصطلح عليها محليا.

قبل فكـرة مـهـرجـان «لـفـراجـة» اشتغل بورحيم على تنشيط هذه المدنية الواقعة في عمق الغرب، من خلال مسرحيات أنجزها بمعية طاقم محلي مكّة في المئة، وشارك بها في ملتقيات ومهرجانات وفاز في بعضها بجوائز دولية هامة مثل الـدورة الأولـى لـ «مهرجان مسرح الرحالة» في الأردن، حين توج بجائزة أفضل إخراج مسرحي لمسرحية «الليلة» التي شاركت بها «فرقة مسرح سيدي يحيى الغرب» في المسابقة الرسمية.

هذا الفنان القادم من مدينة مكناس، يوضح لـ القدس العربي» سبب استقراره في مدينة سيدي يحيى الغرب وخوضه التحدي الكبير في تنشيطها فنيا وثقافيا وترفيهيا، أن هذا السؤال كثيرا ما يطرح عليه «وبصيغ مختلفة تحمل في طياتها نظرة دونية لمدن الهامش».

ويـجـزم قـائـلا، إن هـذا «الـشـيء الـذي لا أشعر به في سـؤالـك» موضحا أنه «يوجد في النهر ما لا يوجد في البحر» لأن «المدينة زاخرة بالطاقات، كما أن «الاشتغال في المدن الصغيرة له أهميته، فهي الأكثر احتياجا».

ويتابع الفنان بورحيم توضيحاته أن «فكرة الاشتغال بالمدينة ارتبطت بأهداف تأسيس الفرقة المتمثلة في الارتـبـاط بالفن عموما والمسرح بشكل خاص وبالتنمية البشرية» لذلك فقد «استطعنا أن نؤطر العديد من الشباب والأطفال».

كما أن «البدايات الأولى منذ تأسيس الفرقة بالمدينة كانت تعتبر بأعمالها جسما دخيلا على مكونات المدينة، لكن بقليل من الصبر والعمل الجاد آمن العديد بأهميتها ودورها بما في ذلك المؤسسات الرسمية المحلية».

وبعد أن عبّر عن شعوره الـذي لا يوصف «وأنا التقي بشاب نجح في مسار حياته وقد مر من إحدى ورشات الفرقة، والأمثلة عديدة» أكد أنه لا يؤمن بضرورة أن يصبح طلبة الفرقة فنانين في المسرح، الموسيقى أو السينما، بل يؤمن «أن يصبحوا فنانين في الحياة».

وفـي سياق الحديث عن المنجزات، أفاد بورحيم، بأن «العديد من المحطات الثقافية والفنية كانت سببا في اشعاع هذه المدينة الصغيرة» وذكر على سبيل المثال مسرحية (الليلة) التي كانت «من مؤشرات نجاح الفكرة حيث انطلقت من هذه المدينة الصغيرة لتتوج إقليميا بمهرجان الشباب وجهويا بالجائزة الكبرى بالمهرجان نفسه ورشـحـت للعدد من الجوائز في المهرجان الوطني للشباب وحصلت على جائزة أفضل إخراج في الأردن».

واستطرد المتحدث ليفتح قوسا بخصوص «علاقتي بالمهرجانات» لأنه حديث «ذو شجون لعدة اعتبارات مرتبطة أساسا بلجن التحكيم والجهات المنظمة» وعاد إلى التتويج الدولي في الأردن، الذي «لمست أهميته في كل من حولي من متتبعين وأصـدقـاء وحتى المؤسسات» مؤكدا أنه لم ينتظر ولم يضع «في اعتباري الحـصـول على أيـة جـائـزة، لأن ممارستي للمسرح وجودية، فأنا أبدع لأكون لا غير».

الطريق لم تكن معبدة

من التأسيس والاشتغال في مدينة صغيرة هامشية، وصل السؤال إلى أسباب الإعلان عن تنظيم مهرجان يعنى بفنون الفرجة في مدينة سيدي يحيى، وهو تحد آخر يخوضه الفنان بورحيم، الذي أكد أن «الطريق لم تكن معبدة للوصول إلى هذه المحطة»، في خضم ظروف اشتغال الفرق المسرحية عموما، لأن «المهرجان هو ثاني أهم أهداف الفرقة بعد تحقيق الهدف الأول وهو خلق معهد فن المسرح، الموسيقى والسينما، الذي يؤطر شباب المدينة للموسم الثالث على التوالي».

ويوضح المتحدث أن «مهرجان (لفراجة) نصبو من خلاله إلى ترسيخ تقليد ثقافي فني بالمدينة شكلا ومضمونا، واخترنا الفنون المشهدية كمحور للمهرجان، مستحضرين التراث الفني المحلي، الوطني والدولي بألوانه الفرجوية مساهمة منا في التعريف بهذه الأنماط وتنشيط المدينة وساكنتها المتعطشة لكل ما هو جميل، ونحن نؤمن كفرقة بدور المهرجان في المساهمة في التنمية المحلية».

وعن ثيمة المهرجان المخصصة للفرجة، قال بورحيم متحدثا لـ «القدس العربي»: «بكل بساطة هو تخصصنا، زيادة على ذلك نحن ندرك التركيبة البشرية للمحيط الذي نشتغل فيه، وتراكم تجربتنا بسيدي يحيى الغرب، وما راكمناه من خبرة في محطات أخرى، يجعلنا نحدد بعناية اختياراتنا، ونحاول الخروج إلى الناس في الأماكن العامة لنتقاسم معهم وأقعهم المعيش من خلال فنون الفرجة التي افتقدوا ان يتمتعوا بها في صيغ جديدة ومتجددة مع الحفاظ على خصوصيتها».

وأضـاف موضحا، «أننا نعرف أن لكل أمة تراثها الخاص تحتفل به وتعرف به في كل المحافل والمناسبات كي يبقى وثيقة حية تؤرخ لمرحلة زاهية من تاريخها العتيد، ومما لا شك فيه أن وطننا الحبيب يحفل بأشكال متنوعة من التراث المادي واللامـادي متعدد كسفير في إقبال جنسيات متعددة للوقوف على جراء انبهارها بها، ولم يكن ليتأتى لهذا التراث أن يظهر لولا وجود حراسه الساهرين عليه من الاندثار والضياع، ونحن نساهم من موقعنا في صقله وتقديمه بالشكل الذي يليق به كي يظل المغرب الثقافي حاضرا في أذهان مريديه».

طارق بورحيم

لماذا المسرح؟

وشدد طارق بورحيم على الإيمان «بأهمية الـتـراث ومـا يشكله فـي الضمير الجمعي للمجتمع» ليسأل «لماذا المسرح؟» وفي الجواب استحضر سـؤال الشاعر الألماني هولدرلين (لماذا الشعر في أزمنة البؤس؟) لذلك يقول المتحدث «اخترنا المسرح كمحور لهذه الدورة تحت شعار: المسرح قاطرة للتنمية، وذلك ارتباطا بتخصص وأهـداف الفرقة المنظمة، واخترنا الفضاءات العمومية لتحقق القرب والتفاعل المباشر مع ساكنة المدينة».

وجوابا على سؤال أهداف المهرجان المتمثلة في الاحتفاء بالموروث الفني والثقافي الأصيل في المغرب عموما وفي المنطقة خصوصا، وكيف السبيل إلى مزاوجة ذلك مع عروض مسرحية وورشات تفاعلية، أبرز بورحيم أن «المغرب يزخر بألوان مختلفة ومتعددة من التراث الفني، وشخصيا كمتتبع أجد أن الهيت الغرباوي (أحـد أنـواع الرقص والموسيقى والغناء منتشر في الغرب) على وجه التحديد لم ينل حقه، فهو لحد الآن حبيس المنطقة واحتفالات أهلها التقليدية، باستثناء بعض المحاولات القليلة، ثم إن خطر الانقراض يواجه هذا الفن الأصيل الذي يزخر بالكثير وأعتبره ديـوان منطقة الـغـرب» لذلك يضيف الفنان «سنحاول من خلال المهرجان تقديمه كما يستحق بشكله الأصلي وبأشكال مبتكرة، كما سنعمل على تأطير الشباب من خلال الورشات للتعريف به وضمان استمراره».

وعـن استضافة نجـوم كبار في المشهد الفني المغربي، ودورهـا فـي إعطاء شحنة الاستمرار للتظاهرة، إلى جانب المراهنة على الحضور الجماهيري، شدد بورحيم على أن ملح المهرجان يتمثل في نجوم الفن المغربي، وصناع فرجته وإبداعه ومعارفه، وذكر منهم محمد أمين بنيوب الناقد والمؤلف المسرحي، الذي عبر عن سعادة إدارة مهرجان «لفراجة» في استضافته «ولم يكن اختياره عبثا ليكون عرّاب الدورة الأولى، لأننا نتقاسم معه أهداف الفرقة نفسها».

وأوضـح أن إدارة المهرجان وجدت عناء شديدا في اختيار نجوم المهرجان، وكثيرة هي اقتراحات جمهور الفرقة ومتتبعيها، «ولا أخفيك سرا أن ساكنة المدينة متعطشة ومحبة للفنانين المغاربة، وتتوق للقائهم وقد عايشنا هذا في العديد من المحطات الفنية للفرقة بالمدينة، وسنكون سعداء باستضافة نجوم المهرجان وأوجه لهم خالص الشكر على قبول الدعوة، مع التأكيد على أن المهرجان سيعرف حضورا وازنا لفنانين مغاربة ودوليين.

الجـديـر بـالـذكـر، أن مهرجان «لفراجة» سيتشهد فعالياته مدينة سيدي يحيى الغرب في الفترة الممتدة من 28 إلى 31 من شهر أيار/ مايو 2024 واختارت الجهة المنظمة «مسرح الشارع» ممرا أساسيا للعبور إلى المتلقي، كما ارتكز على ثيمة «المسرح قاطرة للتنمية» كشعار يوجه أهدافه نحو خدمة الساكنة المحلية لهذه المدينة الهادئة.

وعلى مدار أربعة أيام سيكون الجمهور في هذه المدينة الصغيرة، على موعد مع عروض متنوعة منتقاة بعناية لتحقيق الفرجة والمتعة والمساهمة في إضافة وعي ركحي وفني لعموم الحضور الذي من المتوقع أن يكون كثيفا كما هي عادته خلال مختلف الأنشطة التي سهرت على تنظيمها الفرقة.

وحرصت الجهة المنظمة، على وضع برنامج غني بصم على حضور عربي من خلال محترف لكوريغرافيا ينشطه الفنان العراقي فادي أرنيفي، وعـرض مسرحي لضيفة الشرف الفرقة المسرحية الأردنية «مسرح الرحالة» إلى جانب ضيف الشرف الفنان المغربي محمد أمين بنيوب، الذي سيتجاوز حضوره الجلوس في المنصة الشرفية إلى الوقوف على شرفة «عراب» الدورة برصيده المسرحي المميز من مؤلفات وكتابات ومساهمات أكاديمية شتى في مجال أبي الفنون.

يشار إلى أن الفنان طارق بورحيم، من مواليد سنة 1975 بمكناس (وسـط) حاصل على الإجازة في السوسيولوجيا بجامعة ابن طفيل بالقنيطرة، وشارك في العديد من التدريبات والتكوينات المسرحية بالمغرب وخارجه، ومن بين أعماله إنجازا وإخراجا، مسرحيات «البكارة» و«رمـاد يـقـين» عن ديـوان للشاعر محمد بلو يحمل العنوان نفسه، و«الليلة» عن مسرحية شبح الألـوان للكاتب الطيبي عبد اللطيف، و«الغرباويات» عن مسرحية الشقيقات الثلاث لأنطوان تشيخوف.

مشروع فني يجمع عوالم FaceLyne

عبد معروف

يعتبر فن الشعاع الخيطي أو الرسم بالخيوط، فنًا يعتمد على رسم الصور بناءً على الخيوط والمسامير، ويتم تثبيت المسامير على اللوح وفقًا لشكل معين، ثم يتم ملء منطقة معينة بالمسامير عن طريق خيط يربط مسمارًا بالمسمار المقابل، بحيث تظهر اللوحة عندما تكون المساحة متصلة تمامًا بالخيط.

FaceLyne هو مشروع فني يجمع عوالم الإبداع، ويلامس العقل والمشاعر الإنسانية، ويلتقط هذا المشروع المبتكر، والذي يطبق لأول مرة في لبنان، الحداثة في الفن من خلال نسج صور شخصية فريدة وبجاذبية ساحرة.

يستخدم FaceLyne تقنية فن الخيوط لصياغة صور معقدة وآسرة للأفراد. فمزيج من الفن والعلم ومن خلال تحليل مكونات الصورة والفهم الشامل لشكل الوجه، ينسج بشكل يدوي ما لا يقل عن السبعمئة متر من الخيوط بدقة حول إطار أجوف لتشكيل التفاصيل المعقدة لوجه الشخص وإظهار سماته المميزة بشكل إبداعي ثلاثي الأبعاد. والنتيجة هي قطعة بصرية مبهرة تجمع بين التعبير الفني والدقة الفنية، وتعرض جمال كل من الوجه العمل الفني نفسه.

يشير الباحث الدكتور طوني وهبة في دراسة له إلى أن اسم FaceLyne يختصر معنى رسم الوجه من خلال الخيط ويعكس جوهر الرؤية الفنية بتجسيد جوهر وجمال وجه كل فرد. اختيار تهجئة «Lyne» بحرف «y» بدلًا من «i» ضيف لمسة من التفرد الإبداع عن التهجئة التقليدية ويعكس التزام الابتكار الفني والأصالة. كما يضفي على الاسم طابعًا عصريًا وأنيقًا يتماشى مع الهدف المتمثل في تقديم لوحات فنية معاصرة وجذابة بصريًا.

ويؤكد الدكتور وهبة أن الإبداع سمة المجتمعات المتقدمة، ووسيلة أساسية لتقليص الفجوة الحضارية والعلمية بين الأمم، وعامل حاسم في تقدم المجتمعات في مختلف مجالات النشاط الإنساني، ويمكننا القول إن أي مجتمع لا دون وجود أشخاص مبدعين في مجالات عدّة.

ويمكن إرجاع مفهوم فن الخيوط إلى ثقافات مختلفة، بما في ذلك قدماء المصريين والبابليين وعلماء الرياضيات اليونانيين، الذين استخدموا أنماطًا هندسية بسيطة كرسوم توضيحية رياضية. وبالرغم من بدايته كتجربة رياضية، لم يمض وقت طويل قبل أن يدرك الفنانون قدرته على نقل الجمال والأشكال متجاوزًا حدوده التقليدية. وغالبًا ما كان يستخدم نشاء تصميمات مجردة، بالإضافة إلى تمثيلات للأشياء الطبيعية مثل الحيوانات والنباتات، فتحول من مجرد هواية إنشاء تصميمات هندسية إلى مساحة من التعبير الفني اللامحدود.

في الشكل، يقدم FaceLyne بُعدًا فريدًا من خلال صياغة اللوحات على حلقات دائرية مجوفة. ولتحقيق التفاصيل الدقيقة المطلوبة، يتم وضع نظام معقد من المسامير بشكل استراتيجي وبتوزيع متساوٍ على طول محيط الحلقات، ما يضمن تمددًا موحدًا في جميع أنحاء العمل الفني بأكمله. تعمل هذه المسامير كنقاط تثبيت للخيوط المنسوجة بدقة. ما يجعل هذا الترتيب رائعًا حقًا هو تركيب الخيوط على كل المسافة المتوفرة من طول المسامير المغروسة على الحلقات الدائرية المجوفة مما يضيف عمقًا ثلاثي الأبعاد إلى العمل الفني النهائي.

في الجوهر، لا يكمن ابتكار FaceLyne في تقنيته الدقيقة فحسب، بل يكمن أيضًا في استخدامه لعلوم معالجة الصور الرقمية المتطورة مع اللمسة الفنية الضرورية من أجل تحليل الصور. فاندماج الفن والدقة العلمية هو حجر الزاوية في إنشاء كل صورة، يضمن النهج العلمي وضع المسامير بدقة، ودقة الخيوط، والسلامة الهيكلية للحلقات المجوفة. بينما توفر المقاربة العلمية الأساس، فإن الجانب الفني يجلب الروح والعاطفة التي تجعل كل صورة FaceLyne رائعة حقًا حيث تبدأ مقاربة كل صورة برؤية فنية، كسمفونية من الأشكال والظلال المصممة بدقة لالتقاط جوهر الموضوع. يصبح التآزر بين هذين المجالين واضحًا عندما تتشكل اللوحة. تندمج الحسابات العلمية مع الحدس الإبداعي، حيث يعمل كل منها في تناغم لإنشاء عمل فني يتجاوز حدود الأشكال الفنية التقليدية ويثير المشاعر والقصص والروابط.

دمج الفن والعلم والابتكار

الإبداع الفني يتجلى هنا مع الفنان الدكتور علاء هلال الذي يرسم لوحات فنية رائعة تحاكي العقل والخيال وتلامس القلب ورقة المشاعر، يتفنن بصنعها بالخيط فقط، إنها «FaceLyne» فن الرسم بالخيط

الابداع ويلامس العقل والمشاعر

ويؤكد الدكتور هلال أن مشروع FaceLyne بدأ بسعي خلاق، من أجل دمج الفن والعلم والابتكار في منحى فني فريد.

والدكتور هلال يحمل درجة الدكتوراه في معالجة الصور الرقمية والهندسة الطبية الحيوية من الجامعة اللبنانية وجامعة تروا للتكنولوجيا في فرنسا منذ عام 2013. ومنذ ذلك الحين يعمل كأستاذ محاضر وباحث في الجامعة اللبنانية. استطاع خلال هذه الفترة توسيع معرفته في معالجة الصور الرقمية وتطوير واكتساب خبرة بحثية وتطبيقية في مجالات فهم وتحليل الصور الطبية، فحص وتدقيق الصور الجنائية، ومعالجة الصور البيو–مترية. بشكل مرادف رافق المسار الأكاديمي للدكتور هلال شغف بتوظيف معرفته العلمية في اكتشاف آفاق جديدة للإمكانيات الفنية داخل التكنولوجيا.

وفي حزيران/يونيو 2022 أدرك الدكتور علاء هلال الإمكانات الكامنة لفن الخيوط لتجاوز الحدود التقليدية وبث الحياة في صور الوجوه، أي بورتريه. فكانت البداية بنسج صورة من الخيطان لولده ومن ثم بضعة صور إضافية. استطاع الدكتور هلال من بعدها من معالجة الطرق والسبل العلمية الضرورية وتمكن من تطوير التقنيات المطلوبة وتحسينها. وما بدأ كتجربة فنية سرعان ما تطور إلى مشروع مبتكر، ما جعل لمشروع FaceLyne هوية ومكانة رائدة في المشهد الفني.

تحمل صور FaceLyne أهمية عميقة تتجاوز جاذبيتها الجمالية، ومن خلال التشابك المعقد للخيوط، لا تلتقط هذه الصور وجوه الأفراد فحسب، بل تلخص أيضًا قوتهم ومرونتهم وروحهم. فتنقل بالتالي رمزًا للتضامن والأمل والتشجيع وتذكيرًا ملموسًا بالحب الذي لا يتزعزع.

بعد مرور حوالي سنتين فقط من إنشائه، يقف FaceLyne كشهادة على الإبداع الدؤوب والتفاني الذي لا يتزعزع تمت صياغة أكثر من 450 صورة لشخصيات محلية وعالمية.

من خلال الأبعاد المختلفة، تهدف FaceLyne إلى إظهار القوة الدائمة للفن لإثارة المشاعر ورواية القصص والمساهمة في الصالح العام للأفراد والمجتمع ككل.

يسعى الدكتور علاء هلال، مؤسس مشروع FaceLyne إلى وضع اسم لبنان على الخريطة العالمية لهذا النوع من الفن بالإضافة إلى تعزيز الفخر بالفن اللبناني من خلال تقديم FaceLyne كعلامة رائدة في الرسم من خلال فن الخيوط.

وعند التعمق فيما يتم إنتاجه من خلال FaceLyne يصبح من الواضح أن هذا المشروع هو أكثر من مجرد مسعى فني، فأهدافه تشمل رؤية متعددة الأوجه تجمع بين التميز الفني والرنين العاطفي والتأثير المجتمعي.

مشروع FaceLyne مدفوع بالتزام عميق بإحداث تغيير إيجابي في الحياة الإنسانية، وتمتد الأهداف إلى تعزيز الشعور بالمجتمع والتجارب الحياتية المشتركة. وبالتالي تكون أهمية السعي إلى إلهام روابط ذات مغزى من خلال هذا الفن، سواء من خلال الاحتفال بالحب، أو إحياء ذكرى معالم الحياة، أو تقديم الراحة في أوقات الضياع.

«جائزة محمود كحيل» في دورتها التاسعة لفائزين من أربع دول عربية

فاز فنانون من مصر ولبنان وتونس والعراق في مختلف فئات الدورة التاسعة لجائزة محمود كحيل لفنون الشرائط المصوّرة والرسوم التعبيرية والكاريكاتور السياسي؛ إلا أن احتفال توزيع الجوائز الذي كان مقرراً مساء الجمعة في بيروت، أُرجئ بسبب «الأوضاع الطارئة في المنطقة» حسب المنظمين.

وأوضح مركز رادا ومعتز الصواف لدراسات الشرائط المصورة العربية في الجامعة الأمريكية في بيروت الذي يتولى تنظيم هذه المسابقة منذ عام 2015 في بيان أنه اتخذ قرار تأجيل الاحتفال «حرصاً منه على سلامة ضيوفه وأعضاء لجنة التحكيم والفائزين الوافدين من مختلف الدول العربية ودول العالم والذين تعذر حضورهم بفعل الأوضاع الطارئة في المنطقة».

وتقدّمت إلى مختلف فئات الجائزة أعمال من 15 دولة عربية، ولوحظ أن عدد المشاركين هذه السنة ازداد ثلاثة أضعاف تقريباً مقارنة بالأعوام الماضية.

وتولت اختيار الفائزين لجنة تحكيم ضمّت كلاً من المصري محمد صلاح والسويسرية هيلين بيكلار والأرجنتينية ناشا فولنفايدر واللبنانيين حنان قاعي وجورج خوري (جاد). وحسب قائمة الفائزين التي أعلنها المركز في بيان، حصلت الفنانة المصريّة دعاء العدل للمرة الثانية على «جائزة محمود كحيل» عن فئة الكاريكاتور السياسي، بعدما كانت فازت بها للمرة الأولى عام 2017.

واعتبرت لجنة التحكيم أن لدى دعاء العدل التي تعمل في صحيفة «المصري اليوم» ونشرت رسومها قبل ذلك في جريدة «الدستور» وسواها، «القدرة على النفاذ سريعاً إلى صلب الموضوع وحقيقته» و«التنقل بين مواضيع متنوعة ومتشابكة بسلاسة وبتعبيرات ذكية، من دون اللجوء للأفكار المكررة أو المعتادة».

أما فئة الروايات التصويريّة، ففاز بجائزتها الرسّام اللبناني المقيم في باريس جوزف قاعي عن روايته الأخيرة «المضطرب» (L'Intranquille) التي تُرجمت إلى الإنكليزية بعنوان «رستلس» (Restless). ووصفت اللجنة قاعي بأنه «فنان ملتزم بقضايا الإنسان والفرد والأقليّات الملاحَقة، استحقّ عن جدارة تسمية شاعر الشريط المصور».

ونال العراقي أحمد عصام جائزة فئة الشرائط المصوّرة عن عمله «قصة شرق أوسطية». ولاحظت لجنة التحكيم أنه «يطرح أسئلة فلسفية حول الاستخدامات المختلفة للقصص المصورة وحول نتائج استيلاء السياسة عليها، وتأثيرها على الصراعات، وقدرتها على زعزعة الاستقرار».

وأشادت لجنة التحكيم بـ«التدرجات النابضة بالحياة» في أعمال الفنانة البصرية والرسامة ومصممة الغرافيك المصرية أميرة شطناوي التي فازت بجائزة الرسوم التصويرية والتعبيريّة، «ليس فقط على مستوى الألوان، إنما أيضاً في نسيجها الغني المجبوك من وجوه أصيلة وأشكال مفعمة بالحياة ومناظر طبيعية حقيقية».

وكانت جائزة رسوم كتب الأطفال التي شكلت النساء 86 في المئة من المتقدمين إليها من نصيب التونسية المولودة في سويسرا زينب حوالة عن كتابها الثاني «لماذا؟» الصادر عام 2023 والمتعلق بالبيئة. واعتبرت لجنة التحكيم أن رسومها «مزيج سلس من اللعب والعمق. وتضفي اختياراتها جائز حيوية على قصة خفيفة الروح ومثيرة للتفكير».

ومُنحت جائزة «قاعة إنجازات العمر» الفخرية التي تُمنح تقديراً لمن أمضى ربع قرن أو أكثر في خدمة فنون الشرائط المصوّرة والرسوم التعبيرية والكاريكاتور السياسي للفنان ومؤلف نحو 70 كتاباً للأطفال المصري وليد طاهر.

أما جائزة «راعي الشرائط المصوّرة» الفخريّة فذهبت إلى دار «أ ب ت» (Alifbata) التعاونية للنشر في مدينة مرسيليا الفرنسية، والمتخصصة في نشر ترجمات فرنسية لروايات تصويرية وشرائط مصورة كتبها مؤلفون وفنانون من العالم العربي.

ورغم تأجيل احتفال توزيع الجوائز، يعلن المركز قريباً عن موعد ومكان افتتاح معرض بعنوان «فلسطين: الفن التاسع يوثق ويتحدى» يتضمن حسب البيان «أعمالا تتمحور على معاناة الشعب الفلسطيني تاريخياً وحالياً ومنها ما نُشر أخيراً تفاعُلاً» مع الحرب في غزة. (أ ف ب)

شيرين سيف النصر النجمة الأرستقراطية التي انحازت للبسطاء

كمال القاضي

قبل عدة سنوات زهدت شيرين سيف النصر بالأضواء والشهرة فانسحبت بهدوء من الساحة الفنية وآثرت أن تعيش حياتها في سلام بعيداً عن الضوضاء ومطاردة الصحافة ووسائل الإعلام. فقد وعت الفتاة المصرية الفلسطينية المثقفة مُبكراً حقيقة ما يصير عليه مصير الفنان بعد زوال الشهرة والمجد فأبت إلا أن تختار هي بنفسها ميقات وموعد اعتزالها لتظل عزيزة غالية على جمهورها.

وبالفعل اتخذت شيرين قرار الاعتزال بإرادتها وبدون أدنى محاولة للدعاية، فقد انزوت وأمضت ما تبقى لها من العُمر القصير في بطولات مُطلقة قرب المسافة واختصر عليها الطريق فاكتسبت ثقة المعجبين بها في وقت قياسي، إذ تم التمهيد لنجوميتها ببعض الأعمال التلفزيونية كان على رأسها مسلسل «من الذي لا يُحب فاطمة» للكاتب الكبير أنيس منصور فارتفعت أسهمها وتم تثبيتها داخل حيز البطولة واستمرت بفعل هذا الدعم إلى أن عرفت طريقها إلى السينما وباتت من عناصر الجذب في شباك التذاكر كنجمة لها اعتبارها ومكانتها.

وبالطبع كان لأدوارها مع عادل إمام تأثير كبير في تحقيق نجوميتها وتأكيدها، إذ وقفت أمامه في عدة أفلام مثل «النوم في العسل» حيث لعبت دور صحافية تحقق بجدية في القضية المثارة حول الظاهرة الغريبة التي ربط الكاتب وحيد حامد أطرافها ببعض المُشكلات السياسية في تنويه ذكي عن تبعات القهر وتداعياته.

وهذا الدور الذي لعبته باقتدار شيرين ابنة الكاتب والصحافي إلهامي سيف النصر كان علامة فارقة في رحلتها الفنية، فلم تكن أجواء الصحافة وخلفياتها غريبة عنها فهي محيطة بأبعادها وكواليسها.

تجربة مُختلفة

جاء فيلم «أمير الظلام» ليُمثل تجربة مُختلفة ومحطة أخرى في مشوارها مع النجم عادل إمام، فالدور اتسم في طبيعته الدرامية بالمعنى الإنساني وتميز فيه أداء البطلة تميزاً ملحوظاً إذ اعتمد على المشاعر والأحاسيس المُرهفة من جانبها تجاه البطل الطيار الذي فقد بصره جراء حادث مؤسف فاستدعى الظرف المؤلم أن تؤازره وتقف بجواره لتدعمه نفسياً ثم سرعان ما تحول الشعور الإنساني إلى عاطفة صادقة وارتباط قوي.

وباستمرار التعاون بين النجمة الشابة وعادل إمام جاءت المسرحية الكوميدية «بودي غارد» لتضع النقاط على الحروف في ما يتعلق بقدرات الفنانة التي اكتسبت الكثير من الخبرات فصارت تؤدي أداءً احترافياً على المسرح مكنها من مواجهة الجمهور بشجاعة وبدون خوف وهو ما يُعد نقلة نوعية أضيفت لرصيدها كممثلة بعد ذلك.

وفي محاولة للاستفادة من نجوميتها وطبيعتها الارستقراطية جاء دورها في فيلم «سواق الهانم» أمام الفنان الراحل أحمد زكي لتُجسد شخصية الفتاة الغنية التي تمردت على التقاليد العائلية بتعاطفها مع السائق واقترابها منه كي تُثبت أنه لا فرق بين طبقة إجتماعية وأخرى إلا بالعمل الجاد والمُثابرة فهما المعيار الحقيقي لتصنيف الإنسان والحكم عليه، وأمام إيمانها بهذه الحقيقة تحدت الفتاة الجميلة الرقيقة سليلة الحسب والنسب عادات وتقاليد وثقافة أمها سناء جميل ابنة البكوات والبشوات وفق دورها وارتبطت بالسائق وتزوجته بعد أن وجدت فيه ما افتقدته في الآخرين من ذوي الياقات البيضاء النظيفة.

وبهذا انتصرت للطبقة الكادحة وأيدت كفاحها المُتمثل في كفاح السائق الاستثنائي النبيل المُنحدر من أصول شعبية بسيطة.

وبعض تفاصيل أدوار الفنانة الراحلة شيرين سيف النصر التي وافتها المنية عن عمر يناهز 56 عاماً، كان ترجمة حقيقية لثقافتها وأفكارها الاشتراكية المنحازة لمبدأ المساواة، الرافضة للعنصرية والفوارق الطبقية.

افتتاح معرض بينالي البندقية للجمهور بتقديم جوائز الأسد الذهبي

افتتح السبت معرض بينالي البندقية (فينيسيا) للفنون بشكل رسمي أمام الجمهور. ومن المتوقع أن يكون هناك زوار من مختلف أنحاء العالم إلى جناحي جيارديني وارسنال وغيرهما من الأماكن في المدينة التاريخية الواقعة شمال إيطاليا، لحضور الدورة الـ60 للمعرض، والتي تستمر حتى 24 تشرين الثاني/نوفمبر المقبل.

وبجانب معرض «ديموينتا» في مدينة كاسل الألمانية، يعد بينالي البندقية أحد أهم معارض الفن المعاصر في العالم ويجذب فنانين وضيوفا من مختلف أنحاء العالم.

وقال منظمون إن دورة هذا العام تركز على خبرة الغربة وقضيتي الهجرة والنفي. وتحت عنوان «الأجانب في كل مكان» يلعب الوجود في الغربة والشعور بالغربة دورا مهما.

ووجه منظم المعرض أدريانو بيدروسا من البرازيل الدعوة إلى 330 فنانا من العديد من الدول للمشاركة بأعمال مختلفة. بالإضافة إلى ذلك، تشارك أكثر من 80 دولة بأعمال في معرض بينالي بأسهاماتها الوطنية.

ومن المقرر أن يتم تقديم العديد من الجوائز في بداية هذا المعرض الفني المهم.

ومن المتوقع أن تحصل الرسامة والنحاتة الإيطالية–البرازيلية آنا ماريا مايولينو وفنان الغرافيك والمصور التركي نيل يالتر على جائزة الأسد الذهبي تقديرا لأعمالهما الفنية.

كما يتم منح جائزة الأسد الذهبي لأفضل مساهمة وطنية السبت.

(د ب ا)

القدس العربي
الاسبوعي
تاسست عام ١٩٨٩
الناشر:
مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير:
سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE. LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741 0208 44 +

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 1000 جنيه استرليني في عموم بريطانيا و1200 دولار أمريكي للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE. LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
Volume 35 - Issue 11322 Sunday 21 April 2024
السنة الخامسة والثلاثون العدد 11322 الأحد 21 نيسان (ابريل) 2024 – 12 شوال 1445 هـ

الهند: العثور على بقايا أكبر ثعبان في التاريخ يبلغ طوله حوالي 15 متراً

لندن ـ «القدس العربي»: آدم جابر

عثر باحثون في الهند على بقايا ما يبدو أنه أكبر ثعبان في التاريخ، يبلغ طوله حوالي 15 مترًا، أي بحجم ملعب كرة السلة، ما يعني أن حجمه قد يتجاوز أحجام جميع الحيوانات الحرشفية الزاحفة والهسهسة المعروفة سابقا.

وحدد باحثون هنود مؤخرًا ما يمكن أن يكون أكبر ثعبان موجود على الإطلاق. وبفضل دراسة الحفرية التي عثر عليها في عام 2005 قدر العلماء أن هذا الزاحف عاش قبل 47 مليون سنة، ويصل طوله إلى 15 مترا، أي بحجم ملعب كرة السلة. ونشر تحليل حول هذا الموضوع، يوم الخميس الماضي الموافق 18 نيسان/ابريل في مجلة «التقارير العلمية».

وتم اكتشاف الثعبان، الذي عاش قبل حوالي 47 مليون سنة، في عام 2005 في منجم الليجنيت (نوع من الفحم) في كوتش بولاية جوجارات. «كنا ننقّب في هذه المنطقة بحثًا عن حفريات الحيتان الأولى. لم نعثر على الحيتان فحسب، بل وجدنا أيضًا مجموعة من الحفريات الأخرى، بما في ذلك حفريات الثعابين» يقول ديباجيت داتا وسونيل باجباي، من المعهد الهندي للتكنولوجيا في رووركي.

وتم العثور على 27 فقرة على وجه التحديد، وهي الآن موصوفة بالتفصيل في مقال نشر يوم الخميس في مجلة «التقارير العلمية». وبفضل هذه العظام، تمكن العلماء من حساب أن طول فاسوكي يتراوح بين 10.90 متر و15.20 متر. «ولكن يجب التعامل مع هذه التقديرات بحذر» تحذر المقالة، التي تسلط الضوء على فقدان بعض الفقرات.

ومع ذلك، إذا تم تأكيد الفرضية العالية، فسيكون فاسوكي أكبر ثعبان معروف على الإطلاق. كان اللقب يحمله في السابق تيتانوبوا، «البوا العملاقة» الذي يتراوح طوله بين 12.80 و14.30 متر. تم اكتشافه في كولومبيا، وعاش قبل حوالي 60 مليون سنة.

وعلى سبيل المقارنة، يبلغ طول أكبر ثعبان حالي، وهو الثعبان الشبكي، حوالي 7 أمتار في المتوسط، على الرغم من أنه يمكن أن يصل بشكل استثنائي إلى حوالي عشرة أمتار. ويقارن الباحثون فاسوكي بالأناكوندا الحالية، والتي نادرًا ما يتجاوز أكبر ممثل لها، الأناكوندا الخضراء، 8 أمتار.

يتابع ديباجيت داتا وسونيل باجباي: «من خلال دراسة العينات الأحفورية، أدركنا بسرعة أننا كنا نتعامل مع ثعبان كبير جدًا، عندما رأينا تقديرات الحجم النهائية شعرنا بالسعادة والدهشة». إذا اتضح أن فاسوكي لم يكن بطلاً لجميع فئات الثعابين، فسيظل مع ذلك الأكثر شيوعا وفرضاً لنفسه في عائلته، Madtsoiidae وهي أبعاد لا تأتي دون عائق معين، وفقًا للباحثين، كان فاسوكي بالتأكيد، بسبب حجمه، حيوانًا مفترسًا وبطيئًا جدًا!

مايكروسوفت تعمل على أداة ذكاء اصطناعي تحول صورة ومقطع صوتي إلى وجه ناطق

ابتكر باحثون من شركة «مايكروسوفت» أداة ذكاء اصطناعي قادرة على تحويل صورة وجه ومقطع صوتي إلى فيديو واقعي جداً لـ«وجه يتكلم» حسب وثيقة نشرتها شركة التكنولوجيا الكبرى هذا الأسبوع.

وأشارت الشركة إلى أن «هدف الأداة لا يتمثل في إنشاء محتوى بقصد التضليل أو الخداع» لافتة إلى أنّ «الاداة، وعلى غرار تقنيات إنشاء محتوى أخرى، قد تُستخدم لأهداف مسيئة وانتحال صفة أيّ كان».

ويثير النمو السريع للذكاء الاصطناعي التوليدي، الذي يتيح بسهولة إنتاج مختلف أنواع المحتوى (نصوص وصور وأصوات...) بجودة عالية جداً، مخاوف كثيرة خصوصاً في ما يتعلق بالاستغلال لأغراض الاحتيال والتضليل. وأكّدت مايكروسوفت أن «بحثنا يركز على الصور الرمزية الافتراضية (أفاتار) بهدف الاستخدام الإيجابي» مضيفة «نعارض أي سلوك يهدف إلى إنشاء محتوى مضلل أو ضار». ولا تعتزم شركة التكنولوجيا، وهي مستثمر رئيسي في «اوبن إيه آي» مبتكرة برنامج «تشات جي بي تي» إتاحة الأداة الجديدة أو تقديم معلومات تقنية «طالما اننا غير متأكدين من أنّ الأداة ستُستخدم بشكل مسؤول بحسب القوانين المعمول بها».

ويلتقط البرنامج المسمى «فاسا–1» (VASA-1) صورة وجه بسيطة ويسجل مقطعا صوتيا ويحولهما إلى شريط فيديو يظهر وجها يتحرك ويتكلم بطريقة واقعية جداً.

وتعمل شركات أخرى على هذه التقنية، على غرار «رَنواي» إحدى الشركات المتخصصة في الذكاء الاصطناعي التوليدي للفيديو. وأنشأ باحثون من «غوغل» برنامج ذكاء اصطناعي مسمى «فلوغر» قادر على إنشاء مقاطع فيديو واقعية لوجوه ناطقة.

وأشارت «مايكروسوفت» إلى أنّ فوائد ابتكار هذه الأداة «مثل تعزيز المساواة في مجال التعليم، ومساعدة مَن يعانون صعوبات في التواصل، وتوفير الدعم العلاجي لمَن يحتاجونه» تبرر العمل عليها. (أ ف ب)

فندق الخيول بأنطاليا عالم الفروسية في أرقى حالاته

يتولى «فندق الخيول» التابع للاتحاد التركي للفروسية مهام إعداد أحصنة يصل ثمن بعضها إلى مليون دولار لسباقات دورية في قفز الحواجز في ولاية أنطاليا جنوبي تركيا.

يقع الفندق بمنطقة «دوشمه ألطي» في ولاية أنطاليا جنوبي تركيا التي تجذب السياح من جميع أنحاء العالم بشواطئها وطبيعتها ومدنها التاريخية.

ويستضيف الفندق الخيول التي يتم إعدادها للسباقات أو تلك التي يتركها أصحابها ممارسو ركوب الخيل كهواية من أجل الاعتناء بها.

ويتم تغذية الخيول تحت إشراف طبيب بيطري في الفندق وتلبية مختلف احتياجاتها من العشب والعلف، والدواء والفيتامينات.

ويجري الاعتناء بالخيل بشكل منتظم من قبل سائس، وتُنقل إلى أماكن السباقات بشاحنات خاصة.

وقالت غُل أويصال، مُشغلة فندق الخيول، إن ابنتها بدأت ركوب الخيل كهواية في البداية ثم أصبحت رياضية محترفة.

وذكرت أن اهتمام ابنتها بالخيول دفعها لتولي إدارة هذه المنشأة وتطوير أنشطتها.

وأضافت: «لدينا 46 حصانا في النادي، 15 منها خيول نقدم لها خدمات فندقية، أما الخيول الأخرى فنستخدمها في إعطاء دروس ركوب الخيل للأشخاص الذين لا يمتلكون خيلا».

وأشارت أويصال إلى أنهم ينظمون جولات للراغبين في ركوب الخيل برفقة سائس من جهة، ويقومون بتنشئة محترفين في الفروسية من جهة أخرى.

وأوضحت أنهم يهتمون بجميع احتياجات خيول السباقات المقيمة في الفندق، من تغذية إلى عناية، بغية تحضيرها للمنافسات على أكمل وجه.

وأوضحت أن السائس يقوم أيضا بعمل تدريب «اللونج» للحصان في حال لم يكن صاحبه سيأتي للتمرين في ذلك اليوم. ويتمثل هذا التدريب الذي يقوم به السائس في جعل الحصان يتحرك في دائرة واسعة باستخدام رسن طويل، أو يتم اجراء تدريبات للحصان من قبل مدرب، حسب أويصال.

وأضافت: «نعمل مع فريق مكون من 16 شخصا جميعهم من ذوي الخبرة».

وأردفت «عندما يكون هناك مرض، نقدم الإسعافات الأولية ثم نستدعي الطبيب البيطري، وبطبيعة الحال، نقوم أيضا بإبلاغ مالك الحصان».

كما لفتت أويصال إلى أنهم يقومون بعملية عناية لأسنان الخيول مرة واحدة في السنة عبر طبيب بيطري خاص لهذه الوظيفة، وإذا كانت هناك أسنان زائدة يتم خلعها.

وأشارت أيضا إلى تغيير حدوات الحصان كل 45 يوما لأن جميعها أحصنة نشطة.

وبيّنت أن هناك تطعيمات يجب أن تعطى للخيول كل 6 أشهر وأشارت إلى أنهم يقومون بذلك بانتظام.

وذكرت أويصال أنهم يعتنون بالخيول «كما لو كانت بشرًا» لافتة إلى أنهم يستضيفون «خيولا ناجحة».

(الأناضول)